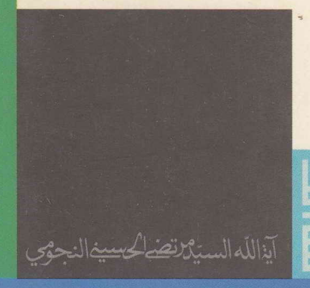
www.bustaneketab.com



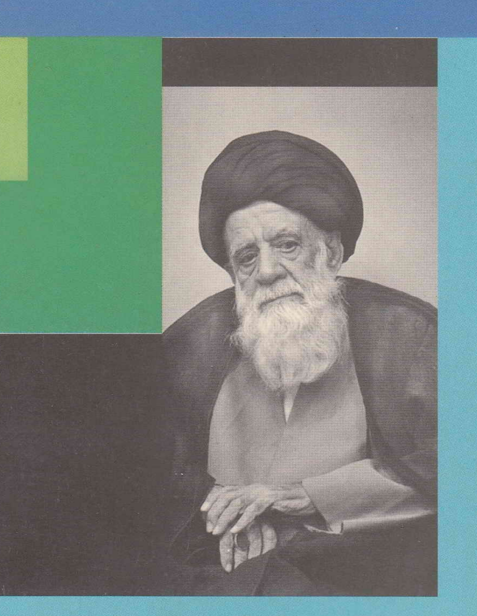
سلسلة مؤلفات آية الله النجومی/۶





آية الله السيد مرتضى الحسيني النجومي

المؤمن في تفسير سورة المؤمن



باهتمام ناصر الدين الأنصاري القمي



المؤمن

في تفسير سورة المؤمن

موضوع:

تفسیر:۱۱۳ (قرآن: ۲۶۲)

گروه مخاطب:

- تخصصی (طلاب و دانشجویان)

- عمومی

شماره انتشار کتاب (چاپ اول): ۱۸۸۰

مسلسل انتشار (چاپ اول و باز چاپ): ۴۴۴۷

کتاب‌های آیةالله نجومی/ ٦

حسینی نجومی، مرتضی، ۱۳۰۳ ـ ۱۳۸۸.

المؤمن في تفسیر سورة المؤمن / سیدمرتضی الحسیني النجومي؛ باهتمام ناصرالدین الأنصاري القمي. ـ قم: مؤسسه بوستان کتاب (مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیّه قم)، ١٤٣١ ق. = ١٣٨٩.

[٢٥٢] ص . ـ (مؤسسه بوستان کتاب؛ ۱۸۸۰. کتاب‌های آیةالله نجومی؛ ٦) (قرآن؛ ٢٦٢. تفسیر؛ ١١٣)

ISBN 978- 964 - 09 - 0558 - 6 ۵۸۰۰ تومان:

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.

ص . ع . به انگلیسی: Sayyid Morteza Husayni-Nojoumi. The Believer in the Exegesis of *the Surah of Al-Mumen (The Believer)*

کتاب‌نامه: ص. [٢٤٩] ـ ٢٥١.

١. تفاسیر (سوره مؤمنون). ٢. تفاسیر شیعه ـ قرن ١٤. الف. انصاری، ناصرالدین، ١٣٤٦ ـ ، مصحح. ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم. مؤسسه بوستان کتاب. ج. عنوان

BP ١٠٢/ ٧٤٥/ ٨ م ٥ ح ٢٩٧/١٨

١٣٨٩

المؤمن
في تفسير سورة المؤمن

آيةالله السيدمرتضى الحسيني النجومي
باهتمام ناصرالدين الأنصاري القمي





المؤمن في تفسير سورة المؤمن

●المؤلف: آيةالله السيد مرتضى الحسيني النجومي
●باهتمام: ناصرالدين الأنصاري القمي
●الناشر: مؤسسة بوستان كتاب
(مركز الطباعة و النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)
●المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ●الطبعة: الأولى / ١٤٣١ق، ١٣٨٩ ش
●الكمية ١٢٠٠ ●السعر: ٥٨٠٠ تومان

printed in the Islamic Republic of Iran

❖العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧ / ٣٧١٨٥، الهاتف: ٧-٧٧٤٢١٥٥ الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤، الهاتف: ٧٧٤٣٤٢٦
❖المعرض المركزي (١): قم، شارع شهداء (بتعاون أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب)
❖المعرض الفرعي (٢): طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (پشن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥
❖المعرض الفرعي (٣): مشهد المقدّسة، تقاطع خسروي، مجمّع ياس، الهاتف: ٢٢٣٣٦٧٢
❖المعرض الفرعي (٤): أصفهان، تقاطع كرماني، گلستان كتاب، الهاتف: ٢٢٢٠٣٧٠
❖المعرض الفرعي (٥): أصفهان، ساحة انقلاب، قرب سينما ساحل، الهاتف: ٢٢٢١٧١٢
❖المعرض الفرعي (٦) (للشباب): قم، بداية شارع شهداء (صفائيه)، الهاتف: ٧٧٣٩٢٠٠
❖التوزيع: بكتا (توزيع الكتب الإسلامية و الإنسانية)، طهران، شارع حافظ، قرب تقاطع كالج، بداية زقاق بامشاد، الهاتف: ٨٨٩٤٠٣٠٣
❖وكالات بيع كتب المؤسسة في البلد و خارجه (المنضمّ إلى ورقة الاستطلاع للآثار في نهاية الكتاب)

عبر البريد الالكتروني للمؤسسة: **E-mail:info@bustaneketab.com**
الآثار الحديثة في المؤسسة و التعرّف إليها في «وب سايت»: http://www.bustaneketab.com

مع جزيل الشكر والتقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في انتاج هذا العمل:

●أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ●أمين لجنة الكتاب: سيدرضا سجادى‌نژاد ●المنقّح و قراءة النص النهائية: ولي قرباني ●الملخص العربي: سهيلة خائفي ●الملخص الإنجليزي: مريم خائفي ●فيپا: مصطفى محفوظي ●مسؤول واحدة التنضيد و ترتيب الصفحات: أحمد مؤتمني ●المنضد: ليلا حاج‌اسماعيلي ●تصحيح التنضيد: إلهام قره‌گوزلو ●خبير و ضبط التطبيق: محمّدجواد مصطفوي ●التطبيق: سيديحيى ميرفتحي‌زاده ●الإشراف وضبط الإعداد : بيژن سهرابي ●الضبط الفني لترتيب الصفحات: حسين عبديان ●خبير التصميم والغرافيك و تصميم الغلاف: مسعود نجابتي ●مدير الإنتاج: عبدالهادي أشرفي ●مديرية الإعداد : حميدرضا تيموري ●برمجة ومراقبة الانتاج: أميرحسين مقدّم‌منش ●مديرية المطبعة : مجيد مهدوي و وبقية الزملاء في قسم الليتوغرافيا ، والطباعة والتغليف.

رئيس المؤسسة
السيد محمد كاظم الشمس

الفهرس ومواضع الآيات

المقدّمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَحِيمِ

الحَمْدُ لِلّه المؤمن المعين والصّلاةُ والسلام على محمّد وآله الطّاهرين.

من أعظم الألطاف الإلهيّة على أن وجّهت إليَّ دعوة لتدريس تفسير للقُرءآن الكريم في برهة معيّنة في كليّة الآداب بجامعة الرازي في كرمانشاه. وقد اغتنمت هذه الفرصة بجهات مختلفة، وشرعتُ في تفسير سورة المؤمن على بعض الطلّاب الدارسين في الكلّيّة المذكورة. وما أحسن هذه الدّعوة دعوة الإقبال إلى القُرءان الكريم الكتاب العزيز الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه، ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الكتاب الّذي هو مصدر السّعادة، ومنبع الهداية، معين الأداب والأخلاق، وهداية ونور لتربية الفطرة الإنسانيّة وسوقها إلى الكمال الذي لاحدّ له.

فدرّسنا السّورَة المباركة، وكتبنا تلك المحاضرات، فجاءت بحمداللّه مجموعة لطيفة مقدّمةً إلى أهل الفضل والكمال، مستدعياً منهم القبول والدعاء وفي الختام أشكر الفاضل المحقّق الشيخ ناصرالدين الأنصاري لإتمامه هذا الكتاب وسائر مؤلّفاتي وفّقه الله لمراضيه.

و نسأل اللّه تعالى العفو والتوفيق. والحمد للّه أوّلاً وآخراً.

كرمانشاه ٨١/١١/١٥ أقلّ العباد مرتضى الحسيني النجومي

فضيلة السورة وثواب قراءتها

سُورة المؤمن

وتسمّى سورة «غافر» وسورة «الطّول». والمرويّ عن ابن عبّاس وعطاء وعكرمة وجابر وابن الزّبير ومسروق وسمرَةِ بن جندب أنّهامكيّة. وحكى أبوحيّان الإتّفاق على ذلك.

وعن الحسن أنّها مكيّة إلّا قوله تعالٰى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ لأنّ الصّلوات نزلت بالمدينة وكانت الصّلاة بمكّة ركعتين من غير توقيت، ومن الواضح عدم اختصاص التّسبيح المأمور به في الآية بالصّلوة.

والحقّ قول الأكثرين، كما سيأتي. واختلفت الأقوال في عددها بين خمس وثمانين وأربع واثنين وستّ وثمان وثمانين.

وأمّا فضيلة السورة المباركة وثواب قرآءتها وتلاوتها، ففي تفسير البرهان [عن] ابن‌بابويه بإسناده عن أبي الصّباح، عن أبي جعفرعليه السلام قال: «من قرأ حم المؤمن فى كلّ ليلة غفراللّٰه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وألزمه كلمة التّقوىٰ وجعل الآخرة له خيراً مِنَ الدّنيا».

ومن خواصّ القرءان، روي عن النبيّصلى الله عليه وآله أنّه قال: «من قرأ هذه السّورة لم يقطع اللّٰه رجاءه يوم القيامة ويُعْطىٰ ما يُعْطون الخائفون الّذينَ خافوا اللّٰه في الدّنيا، ومن كَتَبها وعلّقها في حائط أو بستان اخضرّ ونما وإن كتبت وتركت في خانات أو دكّان

كثر الخير فيه وكثر البيعُ والشّراء».

وقال الصادق عليه السلام قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الصّادق عليه السلام: من كتبها وعلّقها في بستانٍ اخضرّ ونما، وإن تركها في دكّان كثرمعه البيع والشراء».

و في البرهان رواية أخرى طويلة فليراجع.[1]

و في تفسير نورالثقلين، في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأحم المؤمن في كلّ ليلة غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وألزمه كلمة التقوى، وجعل الأخرة خيرًا له من الدّنيا».

و بإسناده عن أبىعبد اللّه عليه السلام قال: «الحواميم رياحين القرآن، فإذا قرأتموها فاحْمدوا اللّه واشكروه كثيراً لحفظها وتلاوتها؛ فإنّ العبد ليقوم ويقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر والعنبر. وأنّ اللّه عزّوجلّ ليرحم تاليها وقارئَها ويرحم جيرانه وأصدقاءه، ومعارفه وكلّ حميم وقريب له. وأنّه في يوم القيامة يستغفر له العرش والكرسيّ، ومَلائكة اللّه المقرّبون».

في مجْمع البيان [عن] أبيّ بن كعب، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ قرأ سورة حم المؤمن لم‌يبق روح نبيٍّ، ولاصدّيق، ولامؤمن إلّا صلّوا عليه، واستغفروا له».

و روى أبو برزة الأسلمي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليقرأ الحواميم في صلاة اللّيل».

أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «الحواميمُ تاج القرآن».

فى تفسير علىّ‌بن إبراهيم [عن] الحسن، عن سيف بن عميرة، عن منصور بن حازم عن أبىعبداللّه عليه السلام قال: «من قرأ الحواميمَ في ليلة قبل أن ينام كان في درجة محمّد وآل محمّد، وإبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم، وكلّ قريب له أو بسبيل إليه. ثمّ قالَ أبو عبداللّه عليه السلام: الحواميم تأتي يوم القيامة أنثى من أحسن النّاس وجهاً وأطيبه، معها

---

١. البرهان، ج ٤، ص ٨٩- ٩٠.

ألف ألف ملك، مع كلّ ملك ألف ألف ملك حتّى تقف بين يدي اللّه عزّوجلّ فيقول لها الرّب: من ذاالّذي يقرؤك فيقضي قراءتك؟ فيقوم طائفة لايحصيهم إلّا اللّه، فيقول لهم: لعمرى لقد أحسنتم تلاوة الحواميم، فمتّم بها في حياتكم الدّنيا، وعزّتي وجلالي لاتسألوني اليوم شيئاً كائناً ما كان إلّا أعطيتكُم، ولو سألتموني جميع جنّاتي أو جميع ما أعطيته عبادي الصّالحين وأعددته لهم فيسألونه جميع ما أرادوا وتمنّوا، ثمّ يُؤمر بهم إلى منازلهم في الجنّة، وقد أعدّ لهم فيها ما لم يخطر على بالٍ ممّا لا عين رأت ولاأذنٌ سمعت».[1]

المناسبة مع آخر الزمر

يناسب أوّل السّورة المباركة مع آخر الزّمر بأنّه تعالى لمّا ذكر سبحانه هناك ما يؤل إليه حال الكافر وحال المؤمن متأخّراً عنه، وقريباً إلى مبتدأ هذه السورة المباركة، ذكر جلّ وعلا في أوّل هذه السّورة أنّه تعالىٰ غافر الذّنب، وقابل التوب؛ ليكونَ ذلك استدعاءً للكافر إلى الايمانِ، والإقلاع عمّا هو فيه.

و هي السّورة الأولى من الحاميمات السبعة المتتالية كلّ تلو الأخرىٰ. ومشتملة على مواضع اعتقاديّة ودينيّة مناسبة مَع طبائع السّور المكيّة. وتتابع آياتها واتحّاد مضامينها شاهدٌ على كونها كذلك كما أشرنا إليه، وذكرنا أنّ المتبّع قول الأكثرين، بَلِ الأجمعين من كونها مكّيّة، ولايعبأ بما قيل من أنّ فيها ما نزل بالمدينة.

مفاد السورة المباركة

والسورة المباركة مجموعة من القهر واللّطف، والانذار والتبشير، ودحض باطل

---

١. نور الثقلين، ج ٤، ص ٥١٠.

أقاويل الكافرين بوجوه من الحجج الناطقة بتوحّده في الربوبيّه والألوهيّة، وأمـر النبيّ بالصبر و وعده والمؤمنين بالنّصر وردّ استكبار الكافرين ومجادلتهم بالباطل؛ لدحض الحقّ الذي يدعون إليه؛ كما يشير إليه مكرّراً في الأيات.

[كما في الآيات التالية:] ﴿ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللّهِ إِلّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَـلا يَـغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى البِلادِ﴾.

﴿وَجادَلُوا بِالباطِلِ لِـيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾.

﴿اَلَّذِينَ يُجادِلُونَ فِىآياتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ﴾.

﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللّهِ أَنّىٰ يُصْرَفُونَ﴾.

إلى غير ذلك من الايات الّتي تكسر سَورةَ اسْتكبارِ الكافرين وجدالهم بذكر ما عاقب الله به الماضين من الأمم المكذّبين وما أعدّاللّه لهم من العذاب المهين بذكر طرف ممّا يجري عليهم في الأُخرة.

و من خصائص السورة قصّة موسى وفرعون ومؤمن آل فرعون وإنجائه موسى من القتل. ولعلّ تسميّة السورة بمؤمن من هذه الجهة، أي تعليم مؤمني مكّة بسلوك مؤمن آل فرعون، كسلوك أبي طالب مؤمن قريش عليه السلام.

ويشير أكثر من عشرين آية من السورة إلى هذا الأمر، ولعلّ النقاط الهامّة التي تتركّز عليها السورة التوجّه إلى اللّه تعالى وأسمائه الحسـنى، وتـهديد الكـافرين والجّبارّين بالعذاب المهين، وقضيّة مؤمن آل فرعون، والنظر إلى توحيد اللّه جـلّ جلاله وآياته، وبطلان الشرك وأدلّته، ودعوة الرسُول والمـؤمنين بـالصّبر وعـدهم بالنصر.

[المجادلة بالباطل لإدحاض الحقّ]

﴿حمٓ ١﴾

وقد أخذها الكوفيّون والشاميّون آية واحدة وجعلها غيرهم جزءَ آية، وقال قومٌ: موضعه نصب بتقدير «أُتْلُ حم» أو «اقرأ حم». وقال آخرون: موضعه جرّ بالقسم، وقالوا بالرفع فيه خبراً للمتبدإِ المحذوف، أي هٰذه حم. وقد فتح الميم عليّ بن عيسى بن عمر جعلاً له اسماً للسورة غير منصرف وغير منوّنٍ؛ لأنّه على وزن «قابيل وهابيل»، ويجوز كون الفتح لالتقاء الساكنين حيث سكّن القرّاء الميم. ومن جزم قال: لأنّها من حروف التهجّي ولايدخلها الإعراب.

ويجمع على حاميمات وحواميم، واستشهد للأوّل بما أُنْشِد فيه ابنُ عساكر في تاريخه:

هذا رسُول اللّه في الخيراتِ جاءَ بياسين وحاميمات

و أمّا الثاني، فقد يزعم أنّه من تحريف الرواة الأعاجم. وليس من كلام العرب، وقد يحكى عن أبي منصور اللغوى «أنّ من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، والصواب أن تقول: قرأت آل حم».

و في حديث ابن مسعود: «إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات دمثات

أتأنّق فيهنّ». وعلى هذا قول الكميت ابن زيد في الهاشميات:

وجدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منّا تقي ومعرب

وينبغي أن يعلم أنّ آل فى قولهم «آل حم» كما قال الخفاجي ليس بمعني الأل المشهور وهو الأهل بل هو لفظ يذكر قبلَ ما لايصّح تثنيته وجمعه من الأسماء المركبّة ونحوها، كتأبطّ شرّاً، فإذا أرادوا تثنيته أو جمعه زادوا قبله لفظة «آل» أو «ذو»، فيقال: جاءني آل تأبّط شرّاً، أو ذَوَاتا تأبّط شرّاً، أي الرّجلان أو الرّجال المسمّون بهٰذا الاسم. فآل حم بمعنى الحواميم، وآل بمعني ذو، والمراد به ما يطلق عليه ويستعمل فيه هذا اللّفظ. ونحن نقبل هذا الكلام بالنسبة إلى الأسماء المركّبة، كتأبّط شرّاً. وأمّا مثل الحواميم، فلا نقبله، لوقوعه في كلام أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضّاد، وقد عرفت آنفًا ما رواه أبو برزة الأسلمي عن رسول الله ﷺ قال: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليقرأ الحواميم في صلاة اللّيل».

و في تفسير عليّ بن إبراهيم بسنده عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ الحواميم في ليلة قبل أن ينام كان في درجة محمّد وآل محمّدٍ وإبراهيم صلوات اللّٰه عليهما و آل ابراهيم».

و قد قال الصادق عليه السلام: «اَعْرِبوا أحاديثَنا فإنّنا قومٌ بُلَغاء». ومن الواضح أنّ المراد من كلمة «آل حم» في شعر الكميت بن زيد في الهاشميات «وجدنا لكم في آل حم» المعنى المشهور وهو الآل والأهل.

والمراد من «حم» هي السور الحواميم، التي في شأن المؤمنين الكاملين الذين مصاديقهم الأجلى ومواردهم الأكمل هي أهل البيت المطّهرون الذين أذهب اللّٰه عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، وقد جعلت مودّتهم أجراً للرسالة والنبوّة، وقال اللّٰه تعالى مخاطباً لنبيّه الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِى القُرْبىٰ﴾

هذا. واختلفوا في معانى هذه الحروف في أوائل السور، وقالو بأنّها اسم للسور،

واستشهدوا بقول شريح بن أوفى العبسي (العجلي):

يذكّرني «حم» والريح شاهر   فهلّا تلاحم قبل التقدّم

لوقوع «حم» فاعلاً ليذكّرني.

وقال الكميت بن زيد في الهاشميات:

وجدنا لكم في آل حم آية   تأوّلها منّا تقيّ ومعزب

وحم في الشعر مضاف إليه، معرب غير منصرف، والاستشهاد لمكان وقوع حم معرباً في البيتين فليس بحرف. يريد بتلك الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ﴾[1]

و قالوا: إنّها من المتشابهات، ولايعلم تأويلها إلّا اللّه والراسخون في العلم. أو أنّها أسماء السّور. أو إشارة إلى اسمي الحميد والمجيد. وفي معاني الأخبار بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام: «و أمّا حم فمعناه الحميد المجيد».[2]

و قيل: إنّها اسم من الأسماء الإلهيّة، ومفتاح الخزائن السّماوية.

و قالوا: بأنّها مفتاح الأسمآء الشريفة الّتي في أوّلها الحاء والميم، كالحليم والحميد والحامد والحكيم والحيّ والحنّان، والحفيظ والمجيد، والمالك والمليك، والمبدئ والمعيد، والمعزّ والمنّان. وقالوا بأنّها اسم اللّه الأعظم. أو أنّها إشارة إلى «حميت المحبيّن» أو «قضى ما هو كائن» وغير ذلك من الوجوه المختلفة التي بعضها استحسانات ظنيّة.

١.الشورى: ٢٣.

٢.نور الثقلين، ج ٤، ص ٥١٠

[في بيان نزول القرآن الكريم من عندالله]

﴿تَنْزِيلُ ٱلكِتابِ مِنَ ٱللّٰهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ (٢)

تنزيل الكتاب يمكن أن يكون مبتدأً، ومن اللّٰه العزيز العليم خبره. أو خبر مبتدإ محذوف. أى هو تنزيل الكتاب بتأويل هو الكتاب المنزّل بإرجاع المصدر، أي التنزيل إلى الموصوف الذى يصلح أن يقع خبراً، ومسنداً وبالإضافة إلى المفعول، أى الكتاب. أو يكون خبراً لحم.

وفي قوله تعالى: ﴿مِنَ اللّٰهِ﴾ إيماءٌ إلى أنّه من اللّٰه (جلّ جلاله) لاممّا يقوله الكفّار من أنّه مختلق أو متقوّل أو ممّا يجوز أن يكذّب به.

وذكر الوصفين «العزيز العليم» لما في هذا الكتاب الجليل العظيم من الإعجاز وأنواع العلوم الّتي يضيق عن الإحاطة بها نطاق الأفهام ومقتضى إعجازه أن ينزّل من العزيز العليم.

و «العزيز» هو القادر الّذي لايغالَبُ ولايُقهَرُ، المنيع بقدرته على غيره، ولايقدر عليه غيرهُ، و «العليم» الكثير العلوم، والصفة المشبّهة من المتعدّي للمبالغة، فمثل هذا الكتاب المنزّل من العزيز العليم لايكون فيه ضيق ومنع وجهل وعجز وقصور لأنّه نازل ممّن له القدرة التامّة الغالبة والحكمة البالغة.

[غفران الذنوب من الله تعالى]

۝﴿غافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلعِقابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لا إِلـهَ إِلّا هُـوَ إِلَيْهِ المَصِـيرُ﴾

غافر الذنب وقابل التوب ترغيباً، وشديد العقاب ترهيباً.

التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع، وهو مصدر أو جمع التـوبة، كدوم ودومة وعوم وعومة. والطول! الزيادة والفضل.

يقال: لفلان على فلان طول والإفضال، يقال: طال عليه وتطوّل: إذا تفضّل.

غافر الذنب لأوليآئه وأهل طاعته، والذنب اسم جنس، فالمعنى: غافر الذنوب فيما مضى وفيما يستقبل ويستأنف. وقابل التوب. لمن تـاب إليـه مـن المـعاصى. والإتيان بصيغة اسم الفاعل للدلالة على الاستمرار التجدّدي، فإنّ المغفرة وقـبول التوب من صفات اللّه الفعليّة وهو لم يزل يغفر الذنب، ثمّ يغفر ويقبل التـوب ثـمّ يقبل. وفى الجمع بين غافر الذنب وقابل التوب نكتة جليلة وهو الجمع بين رحمتين للمذنب التائب قبول توبته، و جعلها محادّة للذنوب، كالجمع بين المغفرة والقبول، ولكنّه يعقّب بقوله (تعالى): ﴿شَدِيدِ ٱلعِقابِ﴾ لئلّا يعوّل علَى العفو، بل يخاف عقابه؛ لأنّه شديد العقاب، ويرجو ثوابه؛ لأنّه غافر الذّنب، فيكون العبد بين الخوف والرّجاء

كما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿نَـبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِـيمُ وَأَنَّ عَذابِي هُوَ العَذابُ ٱلأَلِـيمُ﴾.

والعقاب يختصّ بالعذاب دون العاقبة فإنّها تستعمل في موارد الثّواب، كالعاقبة للمتقّين، وتستعمل في العقوبة، نحو ﴿ثُمَّ كانَ عاقِـبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا﴾، وربّما يستشكل بكون شديد العقاب نكرة ولايحسن وقوعها صفة للمعرفة، كما تقول: مررت برجلٍ شديد القلب والشديد هٰذا صفة للنكرة. والمجوّز لذلك أنّ الصّفة وإن كانت نكرة إلّا أنّها مذكورة في سياق المعارف ولذا حسن ذكرها كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ * ذُو العَرْشِ المَجِيدُ * فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾؛ لأنّ فعّال نكرة محضة.

ومثله قوله تعالى: ﴿رَفِـيعُ ٱلدَّرَجاتِ ذُو ٱلعَرْشِ﴾[1] فرفيع نكرة. وذى الطّول أي ذي النعم، كما عن ابن عبّاس وقتادة، أو ذي القدرة كما عن ابن زيد والسدّي. أو ذي التفضّل على المؤمنين، عن الحسن وقتادة.

أو كون معناه، الإنعام الّذي تطوُل مدّته على صاحبه، فيقال: اللّهم طُل علينا أي أنعم. ﴿والله هُوَ ذِوٱلطَّوْلِ لا إِلٰـهَ إِلّا هُـوَ﴾ وهو معبود حقيقةً ولايستحقّ العبادة غيره تعالى، وإليه المصير، وتؤول الأمورٍ إليه حيث لا يملك أحد الأمرَ والنـهى والضّـرَ والنفع غيره تعالىٰ في يوم القيامة. والمعاني المذكورة للطول متقاربة، والله هو الغنيّ ذاتاً وصفةً وفعلاً، وجميع التفضّلات والكمالات منه جلّ شأنه من الإيمان والعلم والمال والثروة والقدرة والتقوى والتوفيق والأعمال الصـالحة والطـاعة والسـعادة والجنّة فالكلّ بإفاضته تعالىٰ وهو يعطي من يشاء. ولهذا عقّب كلمة ذي الطّول بلا إله إلّا الله، وإليه المصير، ليعلم العبد أنّ السّبب العمدة الداعي إلى الإيمان بالكتاب واتّباعه وهو الإيمان بالله تعالىٰ، والاعتقاد بأنّ المصير إليه، والاعتقاد بيوم الحساب

---

١. المؤمن: ١٥.

يستتبع الخوف والرجاء خوفَ العقاب ورجاء الثواب.

ثمّ لمّا أشار الأية الكريمة أنّ القرآن منزّل من اللّٰه العزيز العليم، وهو كتاب مبيّن للدين الّذي هو مفطور في الإنسان ويصلح باتّباعه دنيا العبد وآخرته. ومثل هـذا الكتاب لا يشوبه جهل، ولايدحضه باطل، فلا ينبغي أن يجادل فـيه أحـد، فـقال سبحانه.

[التبيبة على محاولة الكفّار للمجادلة في آيات الله]

﴿ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللّٰهِ إِلّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِىٰ البِلادِ﴾ ④

الجدال شدّة اللددّ في الخصومة، والمـجادلة الاحـتجاج واللـجاج والخـاصمة والمدافعة، و لعلّ الظهور العرفي للكلمة اللجاجُ في قبال الحقّ.

﴿ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللّٰهِ إِلّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جدالاً بالباطل، طـعناً فـي الأيـات، إدحاضاً للحقّ، وإطفاءً لنور الله عزّوجلّ كما يشهد على هذا الجدال الممقوت قوله تعالىٰ بعد: ﴿وَجادَلُوا بِالباطِلِ لِـيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[1] وبمقتضى النفى والإثـبات فـى الأية الشريفة لايخاصم في دفع حجج اللّه وإنكارها، وجحدها إلّا الذّين يجحدون نعم اللّه، ويكفرون بأيٰاته وأدلّته، وإلّا فالجدال والمخاصمة لإيضاح الحقّ وتقريره وحلّ المشكل والمعضل، واستنباط معاني القرآن، وكشف ملتبسه، وردّ الزيغ وأهله عن آيات اللّه، جدال محمود، ومخاصمةُ محمودةُ، وجهاد عظيم في سبيل اللّه، وقد قال اللّه تعالىٰ للرسول الأعظمﷺ ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]

---

١. المؤمن: ٤٠.

٢. النحل: ١٢٥.

والجدال في آيات اللّه من الكافر تارةً بأنّه يقول: إنّه سحر، ومرّةً؛ إنّه شعر، ومرّة إنّه قول الكهنة أو أساطير الأوّلين، أو تعليم من البشر، أو أشباه ذلك من سخيف المقال.

و ما يجادل في آيات اللّه إلّا الذّين كفروا ولاإشكال في أنّ إدحاض الحقّ القرآني، و إطفآء نور اللّه كفر، والكافر لا أحد أشقى منه عنداللّه، فلا يعبأ بذها به وإيابه في بلاد اللّه مختالاً فخوراً، فلا يغررك يا رَسول اللّهﷺ سلامتهم وإمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلّبهم في البلاد برحلة الشّتاء والصيف، وبالتجارات النافعة والمكاسب المربحة، فإنّ مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال، ووراءه شقاء الأبد. فلا يحسب في حقّهم أنّهم إنّما أمهلوا وتقلّبوا وتصرّفوا في البلاد، ولم يعاجلوا بالنّقمة والعذاب على كفرهم؛ لأنّهم على شيء من الحقّ. فإنّا نمهلهم لذلك ولكن ليبلغ الكتاب أجله ولتحقّ عليهم كلمة العذاب.

و في تفسير نورالثقلين: في كتاب كمال الدّين وتمام النّعمة بإسناده إلى عبدالرحمان بن سمرة قال: قال رسول اللّهﷺ:

«لعن المجادلون في دين اللّه على لسان سبعين نبيّاً، ومن جادل في آيات اللّه فقد كفر، قال اللّه عزّوجلّ: ﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللّهِ إِلّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ الحديث.

ثمّ يشير اللّه جلّ جَلاله إلى حال الأمم السابقة والأحزاب السّالفة المتحزّبة على أنبيآئهم بتمثيل حال الكّفار المعاندين للرّسول وبتلك الأمم في تكذيبهم، وعداوتهم للرّسل، وجدالهم بالباطل، وما ادّخر لهم من سوء العاقبة، وشدّة العقاب.

و في هذه تسلية من اللّه جلّ شأنه رسوله الكريم بالأسوة السّالفة من الأنبياء، وحلول نقمة اللّه على تلك الأمم بعد بلوغ أمدهم. وهذه سنّة اللّه في أمثالهم المكذّبين، فقال سُبحانه.

[تكذيب الأنبياء وعاقبته]

٥﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجادَلُوا بِالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾

كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم. أى الأمم المستمّرة على الكفر، والمتحزّبة على أنبيائها بالتكذيب. قال تعالى في سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحابُ لْـَٔيْكَةِ أُولٰئِكَ ٱلأَحْزابُ﴾[1]

و لم يَكْتفِ تلك الأحزاب على التكذيب والإنكار، بل ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من تلك الأُمم وهٰؤلاء الأحزاب ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ همّ به أى قصده ويغلب فيه القصد بالسّوء، أى قصدوا رسولهم ليأخذوه بالتمكن منه والإيقاع به، يقال للأسير أخيذٌ أى مأخوذ، وهمّت تلك الأمم برسلهم بتكذيبهم وحبسهم وتعذيبهم وقتلهم. وإنّما قال اللّٰه تعلىٰ برسولِهم لأنّه أراد الرّجال من تلك الأمم وهم أهل المكيدة والتعذيب والقتل غالباً أو تغليباً على نسائهم.

---

١. ص: ١٣.

و في قراءة عبدالله «برسولها». ولم يكتفوا أيضاً على التكذيب والتعذيب، بل وجادلوا الرسل بالباطل، وإيراد الشبهات، ودفع الحقّ بباطل من القول ليدحضوا به الحقّ أى ليبطلوا ويزيلوا الحقّ الذّى بيّنه اللّه وأظهره، يقال: أَدحضَ اللّه حُجّتَه، أي أزالها. و قال تعالىٰ: ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1] أى زائلة. وفى الدّرّ المنثور: أخرج الطبرانى عن ابن عبّاس رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: «من أعانَ باطلاً ليدُحِض بباطله حقّاً فقد بَرِئَتْ منه ذمّة اللّه وذمّةُ رسولِه صلى الله عليه وآله فأَخَذْتُهُم بسوء أعمالهم وأهلكتم ودمّرت عليهم وأنزلتُ بهم من العقاب والدّمار والهلاك جزاءً لِهَمّهِمْ بأخذ الرّسل وتعذيبهم.

و في الالتفات من الغيبة إلى التكلّم وحده إشارة إلى أنّ أمرهم في الطغيان والاستكبار إلى اللّه وحده لايدخل بينه وبينهم أحدٌ بنصرةٍ أو شفاعةٍ، وفى هذه النسبة ما لايخفى من التهديد العظيم.

﴿فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ استفهام تقريريّ لتوجيه ذهن المخاطب إلى ما يعلمه من كيفيّة إهلاكهم وقطع دابرهم لِيَحْضُرَ شدّة ما نزل بهم. قال قتادة: شديد واللّه. وبعد هذا التهديد الشديد من اللّه العزيز يقول جلّ جلاله.

١.الشورى: ١٦.

[حكم الله تعالى لكفّار بالنار]

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ ٱلنّارِ﴾ ⦗٦⦘

و كذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين كـفروا بـإهلاكـهم فـي الدنـيا بـالعذاب المستأصل و إهلاكهم في الأُخرة بالخذلان وعذاب النار. فإنّ الكفّار يعاقبون في الأُخِرة بالنّار كما عوقبوا في الدنيا بعذاب الإستئصال إلّا أنّهم في الآخرة أصحاب النّار أي ملازمون لها، والصحبة المقارنة المداومة.

و لايخفى لطف إضافة كلمة الرب إلى ضمير الخطاب الراجع إلى الرسول الكريم من العناية الرّبانيّة التامّة بالنسبة إليهﷺ وتطييب نفسه المقدسّةﷺ بأنّ الركن الذي يركن إليه هو الشّديد القويّ.

و ظهور جملة إنّهم أصـحاب النّـار فـي التـعليل، أى لأنّـهم أصـحاب النـار، ويستحقّون لهٰذا الخذلان بسوء سلوكهم.

و في تفسير نورالثقلين: وفي تفسير عليّ بن إبراهيم، حدّثنا محمّد بن عـبداللّـه الحميري عن أبيه، عن محمّد بن الحسين ومحمّد بن عبدالجبّار، جميعاً عن محمّد بن سنان، عن المنخل بن خليل الرقّي، عن جابر، عـن أبـي جـعفرعليه السلام فـي قـوله ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ ٱلنّارِ﴾ يعني بني أميّة.

ثمّ يلتفت الكلام الإلهي إلى تسلية الفرق المؤمنين وتبشيرهم بحسن عـاقبتهم، ودعاء الملائكة الحاملين العرش ومن حوله لهم.

و لايخفى لطف اتّصال هذا التبشير بما سبق من وعيد النار والعذاب للمكذّبين، والمجادلين في آيات اللّه بالباطل، والداحضين للحقّ، ومن حقّ عليه كلمة العذاب، و هم الممقوتون المعذّبون الكافرون بتوحيد اللّه، وهذا الإنذار الشّديد ربّما يوجب خوف المؤمنين وقلقهم قبال عفواللّه تعالى والتوبة عليهم، واتّصال تسبيح ملائكة الرحمان الحاملين للعرش ومن حوله، واستغفارهم للّذين آمنوا مبشّراً بألّاخـوف عليهم ولاهم يحزنون، فقال سُبحانه:

[الحاملون للعرش الله وذكرهم]

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧)

حملة العرش ومن حوله الملائكة الذّين يحملون العرش الذي منْه تظهر الأوامر، وتصدر الأحكام الإلهيّة التي بها يدبّر العالم. والذين حول العرش من الملائكه المقرّبين، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[1] وهم الكرّوبيّون، وَ سادةُ الملائكة وأشرافها المنزّهون ربّهم عمّا يصفه به هٰؤلاء المجادلون، ونشير في آخر تفسير الأية إلى كلمةٍ في العرش.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يسبّحون اللّه بالحمد، ويثنون عليه على فعله وتدبيره، وينزّهونه سبحانه عن كلّ مالايليق بساحة قدسه، كوجود الشريك في ملكه. والتسبيح إشارة إلى الجلال، والتحميد إلى الإكرام، وِ تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذي الجَلال وَالْاءكْرامِ.

---

١. الزمر: ٧٥.

﴿وَيُـؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إيماناً بوحدانيّته في ربوبيّته وألوهيّته، وينزّهونه عن كلّ نقص، ويحمدونه على أفعاله غير مستكبرين عن عبادته. وفـي هـذا إشـارة إلى شـرف الإيمان وفضله، والترغيب فيه، وشرف من تحلّىٰ به، وردّ للمشركين حيث يعدّون الملائكة المقرّبين شركاء للّه في ربوبيّته وألوهيّته، ويتّخذونهم أرباباً يعبدونهم.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾و يسألون المغفرة ﴿لِلَّذِينَ آمَـنُوا﴾ والمـلائكة مـعصومون، واللّـه تعالىٰ لا يردّ دعآءهم واستغفارهم. وهذا شرف للـمؤمنين حـيث جـعل اسـتغفار الملائكة لهم معطوفاً على إيمان للملائكة، وتنزيههم للّه تعالىٰ.

و في \الكشّاف تنبيهٌ على أنّ الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة، وأَنبعثه على إمْـحاض الشـفقة وإن تـفاوتت الأجـناس، وتـباعدت الأماكن، فإنّه لاتجانُسَ بين ملك وإنسان، ولابين سماويّ وأرضيّ قطّ.

ثم لمّا جاء جامعُ الإيمان جامعه التجانس الكلّي، والتـناسب الحـقيقي حـتّى استغفر مَنْ حول العرش لمن فوق الأرض، ودعاؤهم للمؤمنين.

﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضافٍ بتقدير يقولون ربّنا وحذف؛ لأنّه مفهوم ومعلوم من الكلام.

﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ نصبها على التّـميز، ومـعناه وسـعت رحـمتك وعلمك كلّ شيء﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَىءٍ﴾[١] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحـاطَ بِكُـلِّ شَـىءٍ عِلْماً﴾[٢] فنقل الفعل إلى الموصوف على وجه المبالغة، كما قالوا: طـبت بـه نـفساً، بإسناد الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم للإغراق، كأنّ ذاته رحمة وعلم واسعان كُلّ شيء.

وَ هٰذَا مبتدأ دعائهم واستغفارهم بادئين بالثناء عليه تعالى بسعه الرحمة والعلم؛ لأنّه برحمته ينعم على كلّ محتاج، فالرحمة مبدأ إفاضة كلّ نـعمة، وبـعلمه يـعلم

---

١. الأعراف: ١٥٥.

٢. الطلاق: ١٢.

حاجة كلّ محتاج مستعدّ للرحمة.

و في هٰذا تعليم وأدب بطريقة الدعاء، فإن السعادة مرهونة بالتعظيم لأمر اللّه، والشفقَة على خير خلق اللّه المستحقّين لها والتعظيم لأمر اللّه مقدّم على الشفقَة على خلق اللّه فقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ مشعر بالتعظيم لامر اللّه و﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ مشعر بالشفقة عَلى خلق اللّه، ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الجَحِيمِ﴾ فاغفر للذّين رجعوا إليك بالإيمان بوحدانيّتك واتّبعوا سبيلك الّذي شرعت لهم من الدّين، ولزموا المنهاج الّذي أمرتهم بلزومه، وطبّقوا جميع شؤنهم وعملهم عليه ﴿وَقِهِمْ عَذابَ الجَحِيمِ﴾ وهو غاية المغفرة وغرضها.

قال في مجمع البيان:

فى هذه الآية دلالة على أنّ إسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من اللّه تعالىٰ؛ إذ لو كان واجباً لكانَ لايحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله اللّه سبحانه لامحالة.

وَ ما أحسن وأجاد كلام العلّامة الطباطبائي في الميزان، ولابأس بنقله بتمامه وطوله في المقام فقال:

و فيه أنّ وجوب صدور الفعل عنه تعالىٰ لاينافي صحّة مسألته وطلبه منه تعالى، كما يشهد به قولهم بعد الاستغفار: ﴿رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدْتَهُمْ﴾ فقد سألوا لهم الجنّة مع اعترافهم بأنّ اللّه وعدهم إيّاها، وَ وَعْدُه تعالىٰ واجب الإنجاز، فإنّه لايُخلِفِ الميعاد. وأصرح من هٰذه الآية قوله يحكي عن المؤمنين: ﴿رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ ٱلقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ ٱلمِيعادَ﴾[1] وقبول التوبة عَلَى اللّهِ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولـٰئِكَ

---

١. آل عمران: ١٩٤.

﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.[١] فطلب كُلّ حقّ أوجبه اللّه تعالى على نفسه منه، كسؤال المغفرة للتائب هو في الحقيقة رجوعٌ إليه لاستنجاز ما وعده، وإظهار اشتياق للفوز بكرامته. وكذا لا يستلزم التفضّل منه تعالى كون الفضل جائز الصدور غير واجبة، فكلّ عطيّة من عطاياه تفضّل، سواء كانت واجبة الصدر أم لم تكن إذ لو كان فعل من أفعاله واجب الصّدور عنه لم يكن إيجابه عليه بتأثير من غيره فيه، وقهره عليه؛ إذ هو المؤثّر في كلّ شيء لا يؤثّر فيه غيره، بل كان ذلك بإيجاب منه تعالىٰ على نفسه، ويؤول معناه إلى قضائه تعالى فعل شيءٍ من الأفعال وإفاضة عطيّة من العطايا قضاء حتم، فيكون سُبحانه إنّما يفعله بمشيّة من نفسه منزّها عن إلزام الغير إيّاه عليه تفضّلا به، فالفعل تفضّل منه وإن كان واجب الصّدور. وأمّا لو لم يكن الفعل واجبَ الصّدور فكونه تفضّلاً أوضح[٢]

و في تفسير مقتنيات الدّرر:

في العيون عن الرضا عليه السلام في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي آمنوا بولايتنا. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: «إنّ للّه ملائكة يُسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يُسقط الريح الورق أوان سقوطه، ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ يعني رسول اللّه والأوصياء من بعده يحملون علم اللّه، ومن حوله يعني الملائكة يستغفرون للذّين آمنوا، أي لشيعة آل محمّد.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ أي للذين من ولاية غيرهم مثل بني أميّه. ﴿وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعني ولاية ولّي اللّهِ ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾، يعني من تولّىٰ عليّاً، وذلك صلاحهم ﴿وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لمن نجّاه اللّه عن ولايَة غير عليٍّ وأولاده المعصومين.

---

١. النساء: ١٧.

٢. الميزان، ج ١٧، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

و في الكافي مرفوعاً: «إنّ اللّه عزّوجلّ أعطى التائبين ثلاث خصالٍ لو أعطى خصلة منها جميع أهل السموات والأرض لنجوابها». ثمّ تلاهٰذه الآية، انتهى الحديث.[١]

و في تفسير نورالثقلين: في روضة الكافي: عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبداللّه عليه السلام أنّه قال لأبي بصير: «يـا أبـا محمّد، إنّ للّهِ ملائكةً يُسقِطون الذّنوب عن ظهورِ شيعتنا، كما يسقط الريح الورق أوان سقوطه، وذلك قوله عزّوجلّ:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استغفارهم واللّه لكم دون هذا الخلق» والحديث طويل.

محمّد بن أحمد عن عبداللّه بن الصّلت، عن يونس، عمّن ذكره، عن أبي بصير قال: أبو عبداللّه عليه السلام: «يابامحمّد إنّ للّه عزّ ذكره ملائكةً يُسقطون الذنوب عن ظهور شيعتِنا، كما تُسقط الرّيح الورق من الشجرِ أوان سقوطه، وذلك قوله عزّوجلّ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ واللّه ما أراد غيركم».

فى عيون الأخبار بإسناده عن الرضا، عن علّي أبيطالب عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله حديث طويل، وفيه يقول صلى الله عليه وآله «و أنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا يا عليّ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بولايتنا». في تفسير علىّ بن إبراهيم: حدّثني أبي عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داوود المنقري، عن حمّاد، عن أبي عبداللّه عليه السلام أنّه سُئِل: الملائكة أكثر أم بنؤأدم، فقال: «والذي نفسي بيده لَملائكة اللّه في السّموات أكثر من عدد التّراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلّا وفيه ملك يسبحّه ويقدّسه، ولافى الأرض

---

١. مقتضيات الدرر، ج ٩، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

شجرة ولامدر إلّا وفيها ملك موكّل بها يأتي اللّه كلّ يوم بعملها. والله اعلم بها، وما منهم أحدٌ إلّا ويتقرب كلّ يوم إلى اللّه بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعداءنا، ويسأل اللّه عزّوجلّ أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً».

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ﴾، يعني رسول اللّه صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده، يحملون علم اللّه ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعنى شيعة آل محمّد﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية فلان وفلان وبني أميّة ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي ولاية ولّي اللّه ﴿وَقِهِمْ عَذابَ الجَحِيمِ﴾ إلى قوله ﴿الْحَكِيمُ﴾ يعني من تولّى علّياً عليه السلام فذلك صلاحهم ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾، يعني يَوْمَ القيامة ﴿وَ ذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ ٱلعَظِيمُ﴾ لمن نجّاه اللّه مِن هٰولاء، يعني ولاية فلان وفلان وفلان.

في أصول الكافي: علّي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: «إنَّ اللّه عزّوجلّ أعطى التآئبين ثلاث خصال لو أعطى خصلةً منها جميعَ أهل السموات والأرض لنجوا بها. قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الجَحِيمِ * رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ ٱلحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ﴾.

والحديث طويل.

و في تفسير كنز الدقائق: في تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي، قال:

حدّثني جعفر بن محمّد الفزاري، قال: حدّثني أحمد بن الحسين بن محمّد بن

حاتم عن هارون بن الجهم، عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «قول اللّه تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾. يعني محمّداً وعليّاً والحسن والحسين وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى صلوات اللّه عليهم».[١]

و لكن في تفسير البرهان تبديل اسم إسماعيل بنوح عليه السلام[٢]

و في تفسير نور الثقلين، في تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن عبيد، قال: حدّثنا الحسن بن جعفر، قال: حدّثنا الحسين بن جعفر، قال: حدّثنا الحسين الشوا، قال: حدّثنا محمّد، يعني ابن عبداللّه الحنظلي، قال: حدّثنا وكيع، قال: حدّثنا سليمان الأعمش، قال: دخلت على أبي عبداللّه عليه السلام جعفر بن محمّد وقلتُ له: - جعلت فداك - إنِّ الناس يسمّونا: روافض، فما الروافضِ؟ فقال: «واللّهِ ما هم سمّوكموه، ولكنّ سمّاكم به في التوراة وَ الإنجيل على لسان موسى ولسان عيسى، وذلك أنّ سبعين رجلاً من قوم فرعون رفضوا دين فرعون فدخلوا في دين موسى، فسمّاهم اللّه تعالىٰ الرافضة. وأوحىٰ إلى موسى: أن أثبت لهم هذا الاسم في التّوراة حتى يملكونه على لسان محمّد، ففرّقهم اللّه فرقاً كثيرةً، وتشعبّوا شعباً كثيرة، فرفضوا الخير فرفضتم الشرّ، واستقمتم مع أهل بيت نبيّكم عليهم السلام فذهبتم حيث ذهب نبيّكم، واخترتم من اختار اللّه ورسوله، فأبشروا ثمّ أبشروا، فأنتم المرحومون، المتقبّل من محسنهم والمتجاوَز عن مسيئهِم، ومن لم يلق اللّه بمثل ما لقيتم، لم تُقبَل حسنة ولم يُتَجاوز عن سيّئةٍ، يا سليمان هل سررتك؟» فقلت: زدني جعلت فداك، فقال: «إنّ للّه عزّوجلّ ملائكةً يستغفرون لكم حتّى تتساقط ذنوبكم، كما يتساقط ورق الشّجر في يوم الرّيح، وذلك قول اللّه، تعالى، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم

١. كنز الدقائق، ج ١١، ص ٣٥٧.

٢. البرهان، ج ٤، ص ٩١.

شيعتنا، وهي والله لهم، يا سليمان هل سررتك»؟. فقلت: جعلت فداك زدني. قال عليه السلام: «ما هي عَلى ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها بُرَآء».

و في شرح الآيات الباهرة: قال محمّد بن العبّاس: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد بإسناد يرفعه إلى الأصبغ بن نباتة قال: إنّ عليّاً عليه السلام: «قال:إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُنزلِ عليه فَضْلي من السّماء وهي هٰذه الآية ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُـؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وما في الأرض يومئذٍ مؤمن غير رسولِ الله وأنا. وهو قوله عليه السلام: لقد استَغْفَرت لي الملائكة قبل جميع النّاس من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بسبع سنين وثمانية أشهر».[1]

و من الطريف ما في الدرّ المنثور للسيوطى: أخرج ابن أبي شيبة عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إنّ الملائكة الذين يحملون العرش يتكلّمون بالفارسيّة.[2]

و قال الآلوسى في روح المعاني: أي إذا تكلّموا بغير التسبيح وإلّا فالظاهر أنّهم يسبّحون بالعربيّة.[3]

و ينبغى لنا الآن أن نتعرضّ لمعنى العرش الواردة في الآيات والروايات. قال الراغب في المفردات: العرش في الأصل شيء مسقّف، وجمعه عروش، قال: ﴿وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِها﴾ ومنه قيل: عرشت الكرم وعرّشتها إذا جعلت له كهيئة سقف. قال: والعرش شبه الهودج للمرأة تشبيهاً في الهيئة بعرش الكَرْم، وعرشت البئر جعلت له عريشاً، وسمّي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوّه قال: وعرش اللّٰه ما لايعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس كما يذهب إليه أوهام العامّة، فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له تعالىٰ عن ذلك لامحمولاً والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠.
٢. الدرّ المنثور، ج ٥، ص ٣٤٧.
٣. روح المعاني، ج ٢٤، ص ٤١.

يُمْسِكُ ٱلسَّمٰواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زٰالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وقال قوم: هوالفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب، واستدلّ بما روى عن رسول اللّه ﷺ ما السمّوات السّبع والأرضون السبع في جنب الكرسيّ إلّا كحلقةٍ ملقاةٍ في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك». انتهى.

وقال الصّدوق في العقائد: اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق والعرش في وجهٍ أخر هوالعلم.[1]

و قال الشيخ المفيد: العرش في اللّغة هو الملك. قال:

إذا ما بنوا مـروان ثـلّت عـروشهم　　　و أودت كـما أودت أيـادوحمير

يريد: إذا مابنوا مروان هلك ملكهم وبادوا. وقال آخر: أظننت عرشُك لايـزُول ولايتغيّر؟ يعني أظننت ملكك لايزول ولايتغيّر؟. وقال الله تعالىٰ مخبراً عن واصف ملك ملكة سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يريد ولها ملك عظيم، فعرش اللّه تعالى هو ملكه، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك، والعرب تصف الاستيلاء بالاستواء. قال:

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف ودم مـهراقِ

يريد به: قد اسْتولىٰ على العراق.

وينبغى نقل بعض الرّوايات الواردة في الباب حتى تصف الإنسان على حقيقة العرش والكرسي، وننقل تباعاً العلّامتين المجلسي والطباطبائي (قـدّس سرهما) اكتفاءً بما أفاداه.

وفي بحارالأنوار سن: ابن فضّال، عن محمّد بن فضيل، عن ابن أبي حمزة، قال: أبوعبداللّه ؏: «شيعتنا أقرب الخلق من عرش اللّه يوم القيامة بعدنا».[2]

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٨، ص ٧.

٢. المصدر، ج ٧، ص ١٨٥، ح ٤٠.

يد: أبي عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول اللّه عزّوجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فقال: «السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي. والعرش هوالعلم الذي لايقدر أحدٌ قدره».[1]

وفي الحديث الشريف: «ليس العرش كما تظنّ كهيئة السرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر، وربّك عزّوجل مالكه، لا انّه عليه ككون الشيء على الشيء».[2] الخ.

وفي الكافي في سؤال الجاثليق عن الأمير سلام اللّه عليه) في جوابه عليه السلام: «فالذّين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم اللّه علمه».[3]

وفي الكافي في أسئلة أبي قرّة المحدّث عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال أبو قرّة: فإنّه قال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾ وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ﴾ فقال أبوالحسن عليه السلام: العرش ليس هواللّه، والعرش اسم علم وقدرة وعرش فيه كلّ شيء، ثمّ أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه؛ لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه، وخلقاً يسبحّون حول عرشه وهم يعملون بعلمه، وملائكة يكتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته، واللّه على العرش استوى، كما قال: والعرش ومن يحمله ومن حول العرش، واللّه الحامل لهم، الحافظ لهم، الممسك القائم على كلّ نفس، وفوق كلّ شيء وعلى كلّ شيء.

و في البحار:

عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل

---

١. المصدر، ج ٤، ص ٨٩، ح ٢٨.

٢. المصدر، ج ٣، ص ٣٣٣، ص ٤٢.

٣. المصدر، ج ٥٨، ص ١٠، ح ٨.

البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن حنّان بن سدير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي، فقال: «إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وصنع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يقول: الملك العظيم، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ يقول: على الملك احتوىٰ، وهذا ملك الكيفوفيّة في الأشياء، ثمّ العرش في الوصل مفرد من الكرسى؛ لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب. وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان؛ لأنّ الكرسيّ هو الباب الظّاهر من الغيب الّذي منه مطلع البدع، ومنها الأشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف، والكون، والقدر، والحّد، والأين، والمشيّة، وصفة الإرادة، وَ علم الألفاظ، والحركات، والترك، وعلم العود والبداء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسّي، وعلمه أغيب من علم الكرسيّ. فمن ذلك قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أي صفته أعظم من صفة الكرسيّ. وهما في ذلك مقرونان»، قلت: جعلت فداك، فلم صارَفِي الفضل جار الكرسّي؟ قال عليه السلام: «إنّه صار جاره؛ لأنّ علم الكيفوفيّة فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء، وأينيّتها، وحدّرتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف. وبمثل صرّف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما؛ لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز.

فمن اختلاف صفة العرش أنّه قال تبارك وتعالىٰ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾ ربّ الوَحْدانيّة عمّا يصفون، وقوم وصفوه باليدين، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماءِ، ووصفوه بالأنامل، فقالوا: إنّ محمّد صلى الله عليه وآله قال: «إنّي وجدت برد أنامله على قلبي» فلمثل هذه الصفات قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول: ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّلوه ولله المثل الأعلى الذي لايشبهه شيء ولايوصف ولايتوهّم، فذلك المثل الأعلىٰ.

ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم، فوصفوه ربّهم بأدنىَ الأمثال، وشبّهوه

بالمتشابه منهم فيما جعلوه به، فلذلك قال: ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلّا قَلِيلاً﴾ فليس له شبه ولامثل ولاعدل، وله الأسمآء الحسنى الّتي لايسمّى به غيره، وهى الّتي وصفها في الكتاب فقال. ﴿فَادْعُوهُ بِها وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمائِهِ﴾ جهلاً بغير علم، فالذّى يلحد في أسمائه جهلاً بغير علم يشرك وهو لايعلم، ويكفر به وهو يظّن أنّه يحسن، فلذلك قال: ﴿وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ فهم الّذين يلحدون في أسمائه بغير علم، فيضعونها غير مواضعها.

يا حنّان، إنّ الله تبارك وتعالىٰ أمر أن يتخّذ قوم أولياء، فهم الذينَ أعطاهم الفضل وخصّهم بما لم يخصّ به غيرهم، فأرسَل محمّدﷺ فكان الدليل على اللّه بإذن اللّه عزّوجلّ حتى مضىٰ دليلا هادياً، فقامَ من بعده وصيّهعليه السلام دليلاً هادياً على ماكان هو دلّ عليه من أمر ربّه من ظاهر علمه ثم، الأئّمة الراشدونعليهم السلام».[١]

بيان العلّامة المجلسي في العرض والكرسي

ونقل هنا بيان العلّامة المجلسي بطوله في باب العرش والكرسي وحملتهما في البحار:

بيان، «صفات كثيرة»، أي معان شتّى وإطلاقات مختلفة. «ملك الكيفوفيّة في الأشياء» أي كيفيّة ارتباطه سبحانه بملخوقاته وتدبيره لها، و علمه بها، ومباينته عنها، ولذا وصف ذلك بالإستواء، فليس بشيء أقرب من شيء، ورحمته وعلمه وسعا كلّ شيء، ويحتملُ أن يكون المراد تدبير صفات الأشياء وكيفيّاتها وأوضاعها وأحوالها، ولعّله أظهر. «ثمّ العرش في الوصل مفرد» أي إذا عطف أحدهما على الأُخر ووصل بينهما في الذكر، فالعرش مفرد عن الكرسى، ومبائن له، وفى غير ذلك قد يطلقان على معنى واحد

١.المصدر، ص ٣٠ -٣١

كالعلم. «و هما جمعاً غيبان» أي مغيبان عن الحواسّ. قوله عليه السلام «لأنّ الكرسيّ هو البابُ الظّاهر» يظهر منه مع غاية غموضه أنّ المراد بالكرسيّ والعرش هنا نوعان من علمه سُبحانه، فالكرسيّ العلم المتعلّق بأعيان الموجودات، ومنه يطلع ويظهر جميع الموجودات بحقائقها وأعيانها، والأمور البديعة في السماوات والأرض وما بينهما، والعرش العلم المتعلّق بكيفيّات الأشياء ومقاديرها وأحوالها وبدؤها وعودها، ويمكن أن يكون أحدهما عبارةً عن كتاب المحو والإثبات، والآخر عن اللوح المحفوظ. قوله عليه السلام: «لأنّ علم الكيفوفيّة» أي أنّهما إنّما صارا جارين مقرونين، لأنّ أحدهما عبارة عن العلم المتعلّق بالأعيان والأخر عن العلم المتعلّق بكيفيّات تلك الأعيان، فهما مقرونان، و من تلك الجهة صحّ جعل كلّ منها ظرفاً للآخر؛ لأنّ الأعيان لمّا كانت محالّ للكيفيّات فهي ظروفها وأوسع منها، ولمّا كانت الكيفيّات محيطة بالأعيان فكأنّها ظرفها وأوسع منها، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار، ولعّله أشيرُ الى هذا بقوله: «أحدهما حمل صاحبه في الظرف» بِالظاء المعجمةِ أي بحسب الظرفيّة، وفي بعض النسخ بالمهملة، أي حيث ينتهي طرف أحدهما بصاحبه إذا قرِئ بالتّحريك، وإذا قرئ بالسكون فالمراد نظر القلب. «و بمثل صرّف العلماء» أي علماء أهل البيت عليهم السلام عبرّوا عن هذه الأمور بالعبارات المتصرّفة المتنوّعة على سبيل التمثيل والتشبيه فتارةً عبّروا عن العلم بالعرش، وتارة بالكرسيّ، وتارة جعلوا العرش وعاء الكرسيّ. وتارة بالعكس، وتارةً أرادوا بالعرش والكرسي الجسمين القطمين، وإنّما عبّروا بالتمثيل ليستدلّوا على صدق دعواهما. أي دعواهم لهما، وما ينسبون إليهما، ويبيّنون من غرائبهما وأسرارهما. وفى أكثرالنسخ «و ليستدلّوا» فهو عطف على مقدّر، أي لتفهيم أصناف الخلق، وليستدلّوا، ولعلّ الأظهر «دعواهم».

قوله عليه السلام: «فمن اختلاف صفات العرش» أي معانيه، قال في سورة الأنبياء ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ فالمراد بالعرش هنا عرش الوحدانيّة، إذ هي أنسب

بمقام التنزيه عن الشريك إذا المذكور قبل ذلك ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللّٰهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ ٱللّٰهِ رَبِّ ٱلعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ﴾ وقال سبحانه في سورة الزخرف، ﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلعابِدِينَ * سُبْحانَ رَبِّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ رَبِّ ٱلعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ﴾ والمناسب هنا عرش التقدّس والتنزّه عن الأشباه والأمثال والأولاد، فالعرش في كُلّ مقام يراد به معنى يعلمه الراسخون في العلم. ثمّ إنّه ظاهر الكلام يوهم أنّ الظرّف في قوله: ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾ متعلّق بالعرش وهو بعيد، بل الظاهر تعلّقه بسبحان، وعلى ما قرّرنا عرفت أنّه لاحاجة ارتكاب ذلك. ويدلّ الخبر على أنّ خطاب «وما أوتيتم» متوجّه إلى السّائلين عن الروح وأضرابهم لاإلى النّبي صلى الله عليه وآله قوله عليه السلام «من ظاهر علمه» إنّما خصّ بالظّاهر لأنّ باطن علمه لايطيقه سائر الخلق سوى أوصياءه عليهم السلام.

و اعلم أنّ هذا الخبر من المتشابهات، وغوامض المخبيّات، والظاهر أنّه وقع من الرواة والنّساخ، لعدم فهمهم معناه تصحيفات وتحريفات أيضاً. فلذا أجملت الكلام فيه، وما ذكرته إنّما هو على سبيل الاحتمال، واللّه يعلم وحججه حقائقَ كلامهم عليهم السلام.[1]

بيان العلّامة الطباطبائي فى الميزان

وقال العلّامة الطباطبائى في الميزان[1]:

قد استقرّت العادة منذ القديم أن يختصّ العظماء من ولاة الناس وحكّامهم ومصادر أمورهم من المجلس بما يختصّ بهم ويتميّزون به عن غيرهم، كالبساط والمتّكأ حتى آل الأمر إلى إيجاد السّرر والتّخوت، فاتُّخِذ للملك ما يسمّى عرشاً وهو أعظم وأرفع وأخصّ بالملك، والكرسيّ يعمّه وغيره، واستدعى التّداول والتلازم أن يعرف الملك

---

١. المصدر، ص ٣١ـ٣٣.

بالعرش كما كان العرش يعرف بالملك في أوّل الأمر، فصار العرش حاملاً لمعنى الملك ممثّلاً لمقام السلطنة إليه يرجع وينتهي، وفيه تتوحّد أزمّة المملكة في تدبير أمورها وإدارة شؤنها.

واعتبر لاستيضاح ذلك مملكة من الممالك قطنت فيها أُمّة من الأمم لعوامل طبيعيّة أو اقتصاديّة أو سياسيّة استقلّوا بذلك في أمرهم، وتميّزوا عن غيرهم فأوجدَوا مجتمعاً من المجتمعات الإنسانيّة، واختلطوا وامتزجوا بالأعمال ونتائجها، ثمّ اقتسموا في التمتّع بالنتائج فاختصّ كلّ بشيءٍ منها على قدر زنته الاجتماعيّة، كان من الواجب أن تُحفظ هذه الوحدة والاتّصال المتكوّن بالاجتماع بمن يقوم عليها، فإنّ التَجربة القطعيّة أوضحت للإنسان أنّ العوامل المختلفة والأعمال والإرادات المتشتّة إذا وجّهت نحو غرض واحد وسيرت في مسير واحد لم تدم على نعت الاتّحاد والملاءمة إلّا أن تجمع أزّمة الأمور المختلفة في زمام واحد وتوضع في يدِمَن يحفظه، ويديم حياته بالتدبير الحسن فتحيا به الجميع وإلّا فسرعان ما تتلا شئ وتتشتّت.

ولذلك نرى أنّ المجتمع المترقيّ ينّوع الأعمال الجزئيّة نوعاً نوعاً ثم يقدّم زمام كلّ نوع إلى كرسيّ من الكراسيّ، كالدّوائر والمصالح الجزئيّة المحلّيّة. ثمّ ينوّع أزّمة الكراسي فيعطي كلّ نوع كرسيّاً فوق ذلك، وعلى هذا القياس حتى ينتهي الأمر إلى زمام واحد يقدّم إلى العرش، ويهدى لصاحب العرش.

ومن عجيب أمر هذا الزمام وانبساطه وسعته في عين وحدته أنّ الأمر الواحد الصادر من هذا المقام يسير في منازل الكراسيّ التابعة له على كثرتها واختلاف مراتبها، فيتشكّل في كلّ منزل بشكل يلائمه، ويعرف فيه، ويتصوّر لصاحبه بصورة ينفع بها ويأخذها ملاكاً لعمله.

يقول: مصدر الأمر: «ليجرالأمر» فتأخذه المصالح الماليّة تكليفاً مالياً ومصالح السياسة تكليفاً سياسيّاً، ومصالح الجيش تكليفاً دفاعيّاً وعلى هذا القياس كلمّا صعد أو نزل،

فجيمع تفاصيل الأعمال والإرادات والأحكام المجراة فيها المنبسطة فيِ المملكة وهي لاتحصىٰ كثرة أو لاتناهىٰ لاتزال تتوحّد وتجتمع فيالكرسيّ حتّى تنتهي إلى العرش فتتراكم عنده بعضها على بعض، وتندمج وتتداخل وتتوحّد حتّى تصير واحداً فـي وحدته كلّ التفاصيل فيما دون العرش، وإذا سار هذا الواحد إلى ما دونه لم يزل يتكثّر ويتفصّل حتّى ينتهي إلى أَعْمال أشخاص المجتمع وإرادتهم.

هذا في النظام الوضعي الاعتباري الذي عندنا، وهو لامحالة مأخوذ من نظام التكوين، والباحث عن النظام الكونيّ يجد أنّ الأمر فيه على هذه الشاكلة، فالحوادث الجزئيّة تنتهي إلى علل وأسباب جزئّية، وتنتهي هي إلى أسباب أخرى كلّية حتّى تنتهي الجمعى إلى اللّه سبحانه غير أنّ اللّهَ سبحانه مع كلّ شيء وهو محيط بكلّ شيء وليس كذلك الملك من ملوكنا لحقيقيّة ملكه تعالىٰ واعتباريّة ملك غيره.

ففي عالم الكون على اختلاف مراحله تنتهي إليها جميع أزمّة الحوادث الملقاة على كواهل الأسباب، وأزمّة الأسباب على اختلاف أشخاصها وأنواعها، وترتّب مراتبها هو المسمّى عرشاً كما سيجيء. وفيه صور الأمور الكونيّة المدبّرة بتدبير اللّه سبحانه كيفما شاء، وعنده مفاتح الغيب.[1]

ولابأس باستدامة نقل كلام العلّامة الطباطبائی‌ﷺ بطوله وإن كان نقلُ هذا المقدار بتفصيلٍ من مأخذٍ غير معهود من أرباب التصنيف والتأليف. ومن الجدير جدّاً نقل كلامه (قدّه) مفصّلاً استتماماً للانتفاع بهِ فقال:

كلام في معنى العرش

للناس في معنى العرش بل في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾ والآيات التي

---

١. الميزان، ج ٨، ص ١٥١-١٥٣.

في هذا المساق مسالك مختلفة، فأكثر السلف على أنّها ومٰا يشاكلها من الآيات من المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى اللّه سُبحانه، وهٰؤلاٰء يرون البحث عـن الحقائق الدّينيّة والتطلّع إلى ماوراء ظواهر الكتاب والسنّة بدعة، والعقل يخطّئهم في ذلك والكتاب والسنّة لايصدّقانهم، فآيات الكتاب تحرّض كلّ التحريض على التدّبر في آيات اللّه وبذل الجهد في تكميل معرفة اللّه ومعرفة آياته بالتذكّر والتفكّر والنظر فيها والاحتجاج بالحجج العقليّة. ومتفرّقات السنّة المتواترة معنى توافقها، ولامعنى للأمر بالمقدّمة والنهي عن النتيجة، وهؤلآء هم الذين كانوا يحرّمون البحث عن حقائق الكتاب والسنّة –حتى البحث الكلاميّ الذي بنٰاؤه على تسليم الظواهر الدينيّة ووضعها على مٰا تفيده بحسب الفهم العامي ثمّ الدفاع عنها بما تيسّر من المقدّمات المشهورة والمسلّمة عند أهل الدين – ويعدّونها بدعة فلنتركهم وشأنهم.

و أمّا طبقات الباحثين فقد اختلفوا فى معناه على أقوال: ١. حمل الكلمة على ظاهر معناها فالعرش عندهم مخلوق كهيئة السرير، له قوائم، وهو موضوع على السمآء السابعة واللّه تعالى عمّا يقول الظالمون، مستوٍ عليه كاستواء الملوك منّا على عروشهم، وأكثر هٰؤلاء على أنّ العرش والكرسيّ شيء واحد، وهو الذي وصفناه. وهٰولاٰءهم المشبّهة من المسلمين، والكتاب والسنّة والعقل تخاصمهم في ذلك، وتُنزّه رَبَّ العالمين أن يماثل شيئاً من خلقه ويشبه في ذاتٍ، أو صفة أو فعل تعالىٰ وتقدّس.

٢. إنّ العرش هو الفلك التاسع المحيط بالعالم الجسماني والمحدّد للجهات والأطلس الخالي من الكواكب، والراسم بحركته اليوميّة للزمان، وفي جوفه مماسّاً به الكرسي وهو الفلك الثامن الذي فيه الثوابت. وفي جوفه الأفلاك السبعة الكليّة التـي هـي أفـلاك السيّارات السبع: زحل، والمشتري، والمرّيخ، والشمس، والزهرة، وعـطارد، والقـمر بالترتيب محيطاً بعضها ببعض.

و هٰذه هي التي يفرضها علم الهيئة على مسلك بطلميوس لتنظيم الحركات العـلويّة

الظاهرة للحسّ طبّقوا عليها ما يذكره القرآن من السماوات السبع والكرسي والعرش، فما وجدوا من أحكامها المذكورة في الهيئة والطبيعيّات لايخالف الظواهر قبلوه.

و ما وجدوه يخالف الظواهر الموجودة في الكتاب ردّوه كقولهم: ليس للفلك المحدّد وراء، لاخلاء، ولاملاء، وقولهم بدوام الحركات الفلكيّة، واستحالة الخرق والإلتيام عليها. وكون كلّ فلك يماسّ بسطحه سطح غيره من غير وجود بعد بينها، ولاسكنة فيها، وكون أجسامها بسيطة متشابهة لاثقب فيها ولاباب.

والظواهر من القرآن والحديث تثبت أنّ وراء العرش حجباً وسرادقات، وأنّ له قوائم، وأنّ له حملة، وأنّ الله سيطوي السماء كطّي السجل للكتب، وأنّ في السماء سكنة من الملائكة ليس فيها مواضع إهاب إلّا وفيه ملك راكع أو ساجد يلجونه، وينزلون منه، ويصعدون إليه، وأنّ للسماء أبواباً، وأنّ الجنّة فيها عند سدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال العباد إلى غير ذلك ممّا ينافي بظاهرهماافترضه علماء الهيئة والطبيعّات سابقاً.

والقائلون منّا أنّ السماوات والكرسي والعرش هي ما افترضوه من الأفلاك التسعة الكلّية يدفعون ذلك كلّه بمخالفة الظواهر.

و لم ينبهُم هذا الاختلاف فيالوصف على أنّ ما يصفه القرآن غير ما يفترضه أولئك؛ لتوجيه الحركات العلوّية حتّى أوضحت الأبحاث الأخيرة العميقة في الهيئة والطبيعيات المؤيّدة بالحسّ والتجربة بطلان الفرضيات السابقة من أصلها، فاضطّر هٰولاء إلى فسخ تطبيقهم ورفع اليدعنه.

٣. أن لامصداق للعرش خارجاً وإنّما قوله تعالى:﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى العَـرْشِ﴾ و ﴿ٱلرَّحْمـٰنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوىٰ﴾ كناية عن استيلائه تعالى على عـالم الخـلق، وكثيراً ما يطلق الاشتواء على الشيء على الاستيلا عليه كما قيل:

قد استوىٰ بشر على العـراق ... من غير سـيف ودم مـهراق

أو أنّ الاستواء على العرش معناه الشروع في تدبير الأمور كما أنّ الملوك إذا أرادوا

الشروع في إرادة أمور مملكتهم استووا على عروشهم، وجلسوا عليه، والشروع والأخذ في أمر وجميع ما ينبئُ عن تغيّر الأحوال وتبدّلها وإن كانت ممتنعة في حقّه تعالى لتنزّهه تعالى عن التغّير والتبدّل لكن شأنه تعالىٰ يسمّى شروعاً وأخذاً بالنظر إلى حدوث الأشياء بذواتها وأعيانها يومئذ فيسمّى شأنه تعالىٰ وهو الشمول بالرحمة إذا تعلّق بها شروعاً وأخذاً بالتدبير، نظير سائر الأفعال الحادثة المقيّدة بالزمان المنسوبة إليه تعالىٰ، كقولنا: خلق اللّٰه فلاناً، وأحيا فلاناً، وأمات فلاناً، ورزق فلاناً ونحو ذلك..

و فيه أنّ كون قوله:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾ جارياً مجرى الكناية بحسب اللفظ وإن كان حقّاً لاينافى أن يكون هناك حقيقة موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظيّة، والسلطة، والاستيلاء والملك، والإمارة، والسلطنة، والرئاسَة، والولاية، والسيادة، وجميع ما يجري هذا المجرى فينا أمور وضعيّة اعتباريّة ليس في الخارج منها إلّا آثارها على ما سمعته منّا كراراً في الأبحاث الاعتباريّة السّابقة، والظواهر الدينيّة تشابه من حيث البيان ما عندنا من بيانات أمورنا وشؤوننا الاعتباريّة لكنّ اللّٰه سبحانه يبيّن لنا أنّ هذه البيانات وراءها حقائق واقعيّة، وجهات خارجيّة ليست بوهميّة اعتباريّة.

فمعنى الملك والسلطنة والإحاطة والولاية وغيرها فيه سبحانه هوالمعنى الذي نفهمه من كلّ من هٰذه الألفاظ عندنا، لكّن المصاديق غير المصاديق فلها هناك مصاديق حقيقيّة خارجيّة على ما يليق بساحة قدسه تعالىٰ، وأمّا ما عندنا من مصاديق هٰذه المفاهيم، فهي أوصاف ذهنيّة ادّعائيّة، وجهات وضعيّة اعتباريّة لاتتعدّى الوهم، وإنّما وضعناها وأخذنابها للحصول على آثار حقيقيّة هي آثارها بحسب الدعوىٰ، فلايسمّى الرئيس رئيساً إلّا لأن يتّبع الذين نسّميهم مرؤوسين إرادته وعزائمه لالأنّ الجماعة بدون حقيقة وهو رأسهم حقيقة، ولانسمّي جزء الهيئة المؤتلفة عضواً؛ لأنّه يد أو رجل أو كبد أورئة حقيقةً، بل لأن يتصدّى من الأمور المقصودة في هٰذا التشكيل والاجتماع

ما يتصدّاه عضو من الأعضاء الموجودة في بدن الإنسان مثلاً. وهٰذا هو الذى يسميّه اللّٰه تعالىٰ لَعِباً ولَهْواً إذ يقول: ﴿وَما هٰذِهِ الحَياةُ ٱلدُّنْيا إلّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[١]

فالمقاصد الدنيويّة من زينة، ومال، وأولاد، وتقدّم، ورئاسة وحكومة وأمثالها ليست إلّا عناوين وهميّة لاتحقّقَ لها إلاّ في الأوهام، وليس الاشتغال بها لغير المقاصد الأخرويّة إلّا اشتغالاً بأمور وهميّة، وصور خيالية، ولاالمسابقة في تحصيلها إلّاكمسابقة الأطفال في تحصيل التقدّم في الملاعب التي يشتغلون بها، وليس إلّا تحصيل حالة خياليّة ليس منها في خارجه عين ولاأثر.

و حاشاللّٰه سبحانه أن يذمّ هذه الحياة الفانية الغارّة، ويسمّيها لعباً لما تشتمل عليه من الشؤون الوهميّة، ثمّ يكون تعالى وتقدسّ أوّل اللّاعبين:

و بالجملة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾ في عين أنّه تمثيل يُبيِّن به أنّ له إحاطة تدبيريّة لملكه يدلّ على أنّ هناك مرحلة حقيقيّة هي المقام الذى يجتمع فيه جميع أزمّة الأمور على كثرتها واختلافها، ويدلّ عليه آيات أخر تذكر العرش وحده، وينسبه إليه تغالى كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾[٢] و قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾[٣] وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾[٤] وقوله: ﴿حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ﴾.[٥]

فالآيات ـ كما ترىٰ ـ تدلّ بظاهرها على أنّ العرش حقيقة من الحقائق العينيّة وأمر من الأمور الخارجيّة، ولذلك نقول: إنّ «للعرش» في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾

---

١. العنكبوت: ٦٤.

٢. التوبة: ١٢٩.

٣. المؤمن: ٧.

٤. الحاقة: ١٧.

٥. الزمر: ٧٤.

مصداقاً خارجيّاً ولم يوضع في الكلام لمجرّد تتميم المثل كما نقوله في أمثال كثيرة مضروبة في القرآن فلا نقول في مثل آية النّور مثلاً: إنّ في الوجود زجاجةً إلهيّةً أو شجرةً زيتونةً إلهيّةً أو زيتاً إلهيّاً، ونقول: إنّ في الوجود عرشاً إلهيّاً أو لوحاً وقلماً إلهيين، وكتاباً مكتوباً، فافهم ذلك.[١]

ثمّ يديم كلامه ﵀ في صفحات بعد هذا، وينقل حديث الجاثليق عن الكافي ويذيّله بإفاداته في البحث الروائي ويقول:

و في الكافي عن البرقي رفعه، قال: سأل الجاثليق عليّاً ﵇ فقال: أخبرنى عن اللّٰه عزّوجلّ يَحمِلُ العرشَ أو العرشُ يَحمِله؟ فقال عليه السّلام): «اللّٰه عزّوجلّ حامل العرش والسّماوات والأرض وما فيهما وما بينهما. وذلك قول اللّٰه عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زٰالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾».

قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فكيف ذاك، وقلتَ: «إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض».

فقال أميرالمؤمنين ﵇: «إنّ العرش خلقه اللّٰه تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نورٍ أحمرَ منه احمرّت الحمرةُ، ونورٍ أخضرَ منه اخضرّت الخضرةُ. ونورٍ اصفر منه اصفرّت الصّفرة. ونورٍ أبيضَ منه ابيضَّ البياضُ. و هوالعلم الذي حمّله اللّٰه الحَمَلَة، وذلك نور من نور عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، والأديان المتشتّتة، فكلّ شيء محمول يحمله اللّٰه بنوره وعظمته وقدرته لايستطيع لنفسِهِ ضرّاً ولانفعاً لاموتاً ولاحياةً ولانشوراً، فكلّ شيء محمول؛ واللّٰه

---

١. الميزان، ج ٨، ص ١٥٧ـ ١٦٠.

تبارك وتعالىٰ المُمسِك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً».

قال له: فأخبِرنى عن اللّه أين هو؟

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومَعَنا، و هو قوله: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا﴾

فالكرسيّ محيط بالسموات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرىٰ، وإن تجهر بالقولِ فإنّه يعلم السّرو أخفىٰ، وذلك قولُه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ ٱلعَلِيُّ ٱلعَظِيمُ﴾.

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم اللّه علمه، وليس يخرج من هـذه الأربعة شيء خلقه اللّه في ملكوته. وهو الملكوت الذي أراه اللّه أصفياءه، وأراه خليله، فقال: ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ وكيف يحمل حملة العرش اللّه وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته» الخبر.

بحث روائى في حملة العرش

أقول: قوله: «أخبِرنى عن اللّه عزّوجلّ يحمِل العرشَ أو العرشُ يَحْمِله إلخ» ظاهر في أنّ الجاثليق أخذ الحمل بمعنى حمل الجسم للجسم، وقوله عليه السلام «اللّـه حـامل العـرش السماوات والأرض» إلخ أخذُ للحمل بمعناه التحليلى، وتفسير له بمعنى حمل وجود الشيء وهو قيام وجود الأشياء به تعالى قياماً تبعيّاً محضاً لاآستقلاليّاً، ومن المعلوم أنّ لازم هذا المعنى أن يكون الأشياء محمولة له تعالىٰ لاحاملة. ولذلك لمّا سمع الجاثليق ذلك سأله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾ فإنّ

حمل وجود الشيء بالمعنى المتقدّم يختصّ به تعالى، لايشاركه فيه غيره، مع أنّ الآية تنسبه إلى غيره، ففسّر عليه السلام الحمل ثانياً بحمل العلم، وفسّرالعرش بالعلم، غير أنّ ذلك حيث كان يوهم المناقضة بين التفسيرين زاد عليه السلام في توضيح ما ذكره من كون العرش هوالعلم أنّ هذا العلم غير ما هو المتبادر إلى الأفهام العاميّة من العلم، وهوالعلم الحصوليّ الذي هو الصورة النفسانيّة، بل هو نور عظمته وقدرته حضرت لهؤلاء الحملة بإذن اللّه، وشوهدت لهم، فسميّ ذلك حملاً، وهو مع ذلك محمول له تعالىٰ، ولامنافاة كما أنّ وجود أفعالنا حاضرة عندنا، محمولة لنا و هي مع ذلك حاضرة عنداللّـه سـبحانه، محمولة وهو المالك الذي ملّكنا إيّاها.

فنور العظمة الإلهيّة وقدرته الذي ظهر به جميع الأشياء هوالعرش الذي يحيط بما دونه وهو ملكه تعالى لكلّ شيء، دون العرش وهو تعالىٰ الحامل لهذا النور، ثمّ الذين كشف اللّه لهم عن هذا النور يحملونه بإذن اللّه،واللّه سُبحانه هوالحامل للحامل والمحمول جميعاً.

فالعرش في قوله:﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلعَرْشِ﴾ وإن شئت قلت: الاستواء على العرش هوالمُلك، وفي قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ الاية هوالعلم، وهما جـميعاً واحـد، وهوالمقام الذي يظهر به جميعالأشياء ويتمركز فيه إجمال جميع التدابير التـفضيليّة الجارية في نظام الوجود، فهو مقام الملك الذي يصدر منه التدابير، ومقام العلم الذي يظهر بهالأشياء.

و قوله عليه السلام: «فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين» إلخ يريد أنّ هذا المقام هوالمقام الذي ينشأ منه تدبير نظام السعادة الذي وقع فيه مجتمع المؤمنين، وتسير عليه قافلتهم في سيرهم إلى الله سبحانه، وينشأ منه نظامُ الشقاء الذى ينبسط على جميع المعاندين أعداء اللّه الجاهلين بمقام ربّهم، بل المقام الذي ينشأ منه النظام العالميّ العامّ الذي يعيش تحته كلّ ذي وجودٍ، و يسير به سائرهم للتقرّب إليه بأعمالهم وسننهم، سواء

علموا بما هم فيه من ابتغاء الوسيلة إليه تعالى أو جهلوا.

و قوله عليه السلام: «و هو حياة كلّ شيء، ونور كلّ شيء» كالتعليل المبيّن لقوله قبله: «فكلّ شيء محمول يحمله الله الى آخر ماقال، ومحصّله أنّه تعالى هو الذي به يوجد كلّ شيء وهو الذي به يدرك كلّ شيء فيظهر به طريقه الخاصّ به في مسير وجوده ظهور الطّريق المظلم لسائره بواسطة النور، فهي لاتملك لأنفسها شيئاً، بل اللّٰه سُبحانه هوالمالك لها الحامل لوجودها.

و قوله عليه السلام: «هو هاهنا وهاهنا، وفوق وتحت» إلخ يريد أنّ اللّهَ سبحانه لمّا كان مقوّماً لوجود كلِّ شيء، حافظاً وحاملاً له لم يكن محلّ من المحالّ خالياً عنه، ولاهو مختصّاً بمكان دون مكان، وكان معنى كونه في مكان أو مع شيء، ذي مكان أنّه تعالى حافظ له، وحامل لوجوده، ومحيط به، وهو وكذا غيره محفوظ بحفظه تعالى، ومحمول ومحاط له. وهذا يؤل إلى علمه الفعليّ بالأشياء. ونعني به أنّ كلّ شيء حاضر عنده تعالى غير محجوب عنه، ولذلك قال عليه السلام أولاً: «فالكرسي محيط بالسمّاوات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرىٰ» فأشار إلى الإحاطة ثمّ عقبّه بقوله: ﴿وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْـقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّـرَّ وَأَخْفَىٰ﴾ فأشار إلى العلم، فأنتج ذلك أنّ الكرسيّ ويعني به العرش مقام الإحطة والتدبير والحفظ، وأنّه مقام العلم والحضور بعينه، ثمّ طبّقه على قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ ٱلسَّمـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية.

و قوله عليه السلام: «و ليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق اللّٰه في ملكوته» كأنّه إشارة إلى الألوان الأربعة المذكورة في أوّل كلامه عليه السلام، وسيجيء كلام فيها في أحاديث المعراج إنْ شاءاللّٰه.

و قوله عليه السلام: «و هو الملكوت الذي أراه اللّٰه أصفياءه»، فالعرش هو الملكوت غير أنّ الملكوت إثنان: ملكوت أعلى، وملكوت أسفل، والعرش لكونه مقام الإجمال وباطن البابين من الغيب ـ كما سيأتي ما يدلّ على ذلك من الراوية ـ كان الأحرى به أن يكون

الملكوت الأعلىٰ.

و قوله ﷺ: «وكيف يحمل حملة العرش اللّٰه» الخ تاكيد وتثبيت لأوّل الكلام: «إنّ العرش هو مقام حمل وجود الأشياء وتقويمه»، فحملة العرش محمولون له سبحانه، لاحاملون، كيف؟ ووجودهم وسير وجودهم يقوم به تعالى لابأنفسهم، ولاعتباره ﷺ هذا المقام الوجودي علماً عبّرعن وجودهم، وعن كمال وجودهم بالقلوب، ونورالاهتداء إلى معرفة اللّٰه، إذ قال: «وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته».

و في التوحيد بإسناده عن حنّان بن سدير، قال: سألت أباعبداللّٰه ﷺ عن العرش والكرسيّ فقال: «إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وضع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يقول: ربّ الملك العظيم، وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ يقول: على الملك احتوىٰ، وهذا علم الكيفوفيّة في الأشياء.

ثمّ العرش في الوصل مفرد عن الكرسيّ؛ لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان، لإنّ الكرسيّ هوالباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها الأشياء كلّها، والعرش هوالباطن الذي يوجد فيه علم الكيف، والكون، والقدر، والحدّ، والأين، والمشيّة، وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحركات، والترك، وعلم العود والبدء،فهما في العلم بابان مقرونان؛ لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسيّ، وعلمه أغيب من علم الكرسيّ، فمن ذلك قال:﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسيّ، وهما في ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك، فلم صارفي الفضل جار الكرسيّ؟ قال ﷺ: «إنّه صار جاره؛ لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وإنّيتّها، وحدّرتقها وفتقها، فهٰذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الصّرف، وبمثل صرّف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما، لانّه يختصّ برحمته من يشاء وهوالقويّ العزيز».

أقول: قوله عليه السلام: «إنّ للعرش صفات كثيرة» إلخ يؤيّد ما ذكرناه سابقاً أنّ الاستواء على العرش اجتماع أزمّة التدابير العالميّة عندالله ويؤيّده ما في آخر الحديث من قوله: «و بمثل صرّف العلمآء».

وقوله عليه السلام: «و هذا علم الكيفوفيّة في الأشياء» المراد به العلم بالعلل العالية والأسباب القصوىٰ للموجودات، فإنّ لفظ «كيف» عرفاً كما يسأل بـه عـن الفـرض المسمّى اصطلاحاً بالكيف، كذلك يسأل به عن سبب الشيء و لمّه، يقال: كيف وجد كذا؟ وكيف فعل زيد كذا؟ وهولا يستطيع.

و قوله عليه السلام: «ثمّ العرش في الوصل مفرد عن الكرسيّ» إلخ مراده أنّ العرش والكرسيّ واحد من حيث إنّهما مقام الغيب الذي يظهر منه الأشياء، وينزل منه إلى هذا العالم لكنّ العرش في الصّلة الكلاميّة متميّز عن الكرسي؛ لانّ هذا المقام فـي نفسه يـنقسم إلى مقامين وينشعب إلى بابين لكنّهما مقرونان غير متباينين: أحدهما: الباب الظاهر الذي يلى هذاالعالم، والآخر: الباب الباطن الذي يليه، ثمّ بينّه بقوله: «لأنّ الكرسيّ هوالباب الظاهر» إلخ.

قوله عليه السلام: «لأنّ الكرسيّ هوالباب الظاهر الذّي منه مطلع البدع، ومنها الأشياء كلّها» أي طلوع الأمور البيعة على غير مثال سابق، ومنها يتحقّق الأشياء كلّها؛ لأنّ جميعها بديعة على غير مثال سابق، وهي إنّما تكونُ بديعةً إذا كان ممّا لايتوقّع تحقّقها من الوضع السابق الذي كان أنتج الأمور السّابقة على هذا الحادث التي تذهب هي ويقوم هذا مقامها، فيؤول الأمر إلى البداء بإمحاء حكم سبب وإثبات حكم الآخر موضعه فجميع الوقايع الحادثة في هذا العالم المستندة إلى عمل الأسباب المتزاحمة، والقوى المتضادّة بدع حادثة وبداءات في الإرادة. وفوق هذه الأسباب المتزاحمة والإرادات المـتغائرة التي لاتزال تتنازع في الوجود سبب واحد وإرادة واحدة حاكمة لايقع إلّا ما يريده فهو الذي يحجب هذا السبب بذاك السبب ويغيّر حكم هذه الإرادة بتلك الإرادة، ويـقيّد

إطلاق تأثير كلّ شيء بغيره كمثل الذي يريد قطع طريق لغاية كذا فيأخذ في طيّه، وبينهما هو يطوي الطريقَ يقف أحياناً ليستريح زماناً، فعلّة الوقوف ربّما تنازع علّة الطيّ والحركة وتوقفها عن العمل، والإرادة بغير الإرادة لكن هناك إرادة أخرى هي التي تحكم على الإرادتين جميعاً وتنظّم العمل على ماتميل إليه بتقديم هذه تارة وتلك أخرى والإرادتان أعني سببي الحركة والسكون وإن كانت كلّ منهما تعمل لنفسها وعلى حدتها وتنازع صاحبتها لكنّهما جميعاً متّفقتان في طاعة الإرادة التي هي فوقهما، ومتعاضدتان في إجراء ما يوجبه السبب الذي هو أعلى منهما وأسنىٰ.

فالمقام الذي ينفصل به السببٰان المتنافيان وينشأ منه تنازعهما بمنزلة الكرسيّ والمقام الذي يظهر فيه متلائمين متآلفين بمنزلة العرش، وظاهر أنّ الثاني أقدم من الأوّل وأنّهما يختلفان بنوع من الإجمال والتفصيل، والبطون والظهور.

و أخرىٰ بالمقامين أن يسميّا عرشاً وكرسيّاً لأنّ فيهما خواصّ عرش الملك وكرسيّه فإنّ الكرسيّ: الذّى يظهر فيه أحكام الملك من جهة عمّاله وأيديه العمّالة، وكلّ منهم يعمل بحيال نفسه في نوع من أمور المملكة وشؤونها، وربّما تنازعت الكراسيّ، فيقدّم حكم البعض على البعض ونسخ البعض حكم البعض، لكنهّما جميعاً تتوافق وتتحّد في طاعة أحكام العرش وهو المختصّ بالملك نفسه فعنده الحكم المحفوظ عن تنازع الأسباب غير المنسوخ بنسخ العمّال والأيدي، وفي عرشه إجمال جميع التفاصيل وباطن ما يظهر من ناحية العمّال والأيدي.

و بهٰذا البيان يتّضح معنى قوله عليه السلام: «لأنّ الكرسيّ هوالبابُ الظاهر» إلح فقوله: «منه مطلع البدع» أي طلوع الأمور الكونيّة غيرالمسبوقة بمثل، وقوله: «ومنها الأشياء كلّها» أي تفاصيل الخلقة ومفرداتها المختلفة المتشتّتة.

و قوله: «والعرش هو الباب الباطن» قبال كون الكرسيّ هو الباب الظاهر. والبطون والظهور فيهما باعتبار وقوع التفرّق في الأحكام الصادرة وعدم وقوعه، وقوله: «يوجد

فيه» إلخ أي جميع العلوم والصّور التي تنتهي إلى إجمالها تفاصيل الأشياء.

و قوله: «علم الكيف» كأنّ المراد بالكيف خصوصيّة صدور الشيء عن أسبابه. وقوله: «والكون» المراد به تمام وجوده، كما أنّ المراد بالعود والبدء أوّل وجودات الأشياء ونهايتها وقوله: «والقدر والحدّ» المراد بهما واحدغير أنّ القدر حال مقدار الشيء بحسب نفسه، والحدّ حال الشيء بحسب إضافته إلى غيره ومنعه أن يدخل حرمة نفسه ويمازجه، وقوله: «والأين» هو النسبة المكانيّة، وقوله: «والمشيّة وصفة الإرادة» هما واحد.

و يمكن أن يكون المراد بالمشيّة أصلها وبصفة الإرادة خصوصيتها. وقوله: «علم الألفاظ والحركات والترك» علم الألفاظ هوالعلم بكيفيّة انتشاء دلالة الألفاظ بارتباطها إلى الخارج بحسب الطبع فإنّ الدلالة الوضعيّة تنتهي بالأخرة إلى الطّبع، وعلم الحركات والترك، العلم بالأعمال والتروك من حيث ارتباطها إلى الذّوات، ويمكن أن يكون المراد بمجموع قوله: «علم الألفاظ وعلم الحركات والترك» العلم بكتفية انتشاء اعتبارات الأوامر والنواهي من الأفعال والتروك، وانتشاء اللغات من حقائقها المنتهية إلى منشأ واحد، والترك هو السكون النسبيّ في مقابل الحركات.

و قوله: «لأنّ علم الكيفوفيّه فيه» الضمير للعرش، وقوله: «و فيه الظاهر من أبواب البداء» الضمير للكرسيّ، والبداء ظهور سبب على سبب آخر وإبطاله أثره، وينطبق على جميع الأسباب المتغائرة الكونيّة من حيث تأثيرها.

و قوله عليه السلام: فهٰذان جاران أحدهما حمل صاحبه فى الصرف» المراد به على ما يؤيّده البيان السابق أنّ العرش والكرسيّ جاران متناسبان، بل حقيقة واحدة مختلفة بحسب مرتبتي الإجمال والتفصيل. وإنّما نسب إلى أحدهما أنّه حمل الآخر بحسب صرف الكلام وضرب المثل، وبالأمثال تبيّن المعارف الدقيقة الغامضة للعلماء.

وقوله: «و ليستدلّوا على صدق دعواهما» أي دعوى العرشِ والكرسيّ أي وجعل هذا

المثل ذريعة لأن يستدلّ العلماء بذلك على صدق المعارف الحقّة الملقاة إليهم في كيفيّة انتشاءالتدبير الجاري فيالعالم منمقامي الإجمال والتفصيل والباطن والظاهر. فافهم ذلك.

و في التوحيد بإسناده عن الصادقﷺ أنّه سئل عن قوله تعالى:﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾ الآية، فقال: «ما يقولون»؟ قيل: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه، فقال: «كذبوا، من زعم هذا فقد صيّرالله محمولاً و وصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أنّ الشيء الذّي يحمله هو أقوى منه. قال: «إنّ الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون سماء أو أرض أو جنّ أو انس أو شمس أو قمر».

أقول: وهو كسابقه فيالدلالة على أنّ العرش هوالعلم، والماء أصل الخلقة، وكان العلم الفعليّ متعلّقاً به قبل ظهور التّفاصيل.

و في الاحتجاج عن عليّﷺ: أنّه سئل عن بُعدِ مابين الأرض والعرش، فقال: «قول العبد مخلصاً: ﴿لا إِلـهَ إِلّا الله﴾.

أقول: وهو من لطائف كلامهﷺ أخذه من قوله تعالىٰ؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّـيِّبُ وَالعَمَلُ ٱلصَّالِـحُ يَرْفَعُهُ﴾، ووجهه أنّ العبد إذا نفى عن غيره تعالى الأُلوهيّة بإخلاص الألوهيّة والاستقلال له تعالى أوجب ذلك نسيان غيره، والتوجّه إلى مقام استناد كلّ شيء إليه تعالىٰ، وهذا هو مقام العرش على ما مرّبيانه.

و نظيره في اللطّافة قولهﷺ وقد سئل عن بُعدِ مابين الأرض والسّماء: «مدّ البصر ودعوة المظلوم».[١]

انتهى ما أردنا نقله من كلام العلّامة الطّباطبائيﷺ في الميزان.

---

١. المصدر، ص ١٦٦ ـ ١٧٤.

[دعاء نوح لإدخال المؤمنين الجنّة]

۞﴿رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدْتَهُمْ﴾

تكرار النداء بلفظ ربّنا للاستعطاف والاعتناء بلفظة الربّ مختصّاً بوقت الدّعاء دون اسم اللّه مع أنّه أعظم للتوجّه إلى مناسبته المقام وربوبيّة حضرة الحقّ جلّ جلاله، فإنّ الربّ هوالذى يدبّر أمر مرّباه ومملوكه، ويتولّى إصلاح أموره من جميع الجهات المادّيّة والمعنويّة والدّنيويّة والأخرويّة، فكأنّ العبد بلسان حاله يقول: كنتُ فيكتم العدم المحض، والنفي الصرف، فأخرجتنى إلى الوجود وربيّتني في إحسانك وعنايتك ودبّرت أمري، فانظر إليّ بعين التربية، ولاتخلني طرفة عين عن تربيتك وإحسانك القديم إليّ، فبعد هذا الخطاب والنداء إلى ربّه فليحسن الداعي الثنآء عليه، والصلاة على رسوله وآله الغرّ، ثمّ يستدعي حوائجه والعقل يحكم برعاية هذا الترتيب. وهذا هو السبب في تقديم الثنآء على اللّه على الدعآء، ولهذه النكتة الشريفة نرى الدعاء في أكثر الأمور مذكوراً بلفظ «ربّنا» كما قالت الملائكة: ﴿رَبَّنا وَسِعْتَ﴾ الآية وقال آدمُ عليه السلام: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا﴾[1]، وقال نوحُ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ

---

١. الأعراف: ٢٢.

بكَ أَنْ أَسْأَلَكَ ما لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ﴾[١] الآية وقال أيضاً: ﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهاراً﴾[٢] وقال أيضاً: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوالِدَىَّ﴾[٣]، وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ﴾[٤] وقال: ﴿رَبَّنا ٱغْفِرْ لِى وَلِوالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلحِسابُ﴾[٥]، و قال: ﴿رَبَّنا وَٱجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[٦]، قال موسىٰ في قصّة الوكز: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى﴾[٧]، وقال سليمان: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكاً﴾[٨]، وقال عيسى: ﴿رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً﴾[٩]، وقال اللّه لرسوُله ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ﴾[١٠] وحكى سبحانه عن المؤمنين أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنا ما خَلَقْتَ هٰذا باطِلاً﴾. و أعاد إلى آخر السورة هذه اللفظة خمس مرّات.[١١] فلابدّ أن نتعلّم منالتعليم القرآني والتربية الإلهيّة أنّ الأولى فيالدعاء أن ينادي العبد ربّه بقوله: «يا ربّ» كما وردت في آداب الدعاء خصوص هذه اللفظة المباركة.

﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾ جنّات جمع الجنّة، وهي مشتقّة من جنّ الشيء، يجنّه جنّاً؛ ستره، وكلّ شيء سُتِرَ عنك فقد جُنَّ عنك. وفيالحديث «جَنّ عليه اللّيل» أي ستره، وبه سمّي الجنّ لاستتارهم واختفآئِهِمْ عنالأبصار، وجنّ الليل وجنُونه وجنّاته شدّة

---

١. هود: ٤٧.

٢. المؤمنون. ٩٨.

٣. إبراهيم: ٤١.

٤. البقرة: ٢٦٠.

٥. إبراهيم: ٤١.

٦. البقرة: ١٢٨.

٧. القصص: ١٦.

٨. الشعراء: ٨٣.

٩. المائدة: ١١٧.

١٠. المؤمنون: ٩٨.

١١. آل عمران: ١٩١.

ظلمته، وادْلِهمامه، وسمّي القلب جناناً؛ لأنّ الصدر أجَنَّهُ والجنين: الولد مادام في بطن أمّه؛ لاستتاره فيه، وكلّ مستور جنين حتى مثل حقد جنين، والجَنّة في المقام البستان والحديقة الكثيرة الشجر التي تلتّف وتتكاثف أشجارها بحيث تكون كالستر والظلّ بالتفاف أعضانها. ولاينفذ النور إلى ما تحتها وأرضها. والجنّة هي دارالنعيم في الدار الآخرة من الاجتنان، وهو الستر لتكاثف أشجارها، وتظليلها بالتفاف أعضانها؛ ولكثرة التفافها وتكاثفها وتظليلها لما تحتها، فكأنّ النور لاينفذ إلى أرض الجنّة ويتخيّل كأنّ الأنهار تجري من تحتها لافي أرضها.

﴿وَجَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها ٱلأَنْهارُ﴾ والعدنُ: الخلود والإقامة الدّائمة. و﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾ أي جنّات عدنٍ وإقامة وخلود. لازوال ولاتزلزل فيها، يقال: عَدَنَ فلانٌ بالمكان يعدِنُ ويعدُنُ عَدْناً وعُدُوناً، أقام وَعَدَنْتُ البلدَ توطّنْتُه ومركز كلّ شيء معدنه وجنّات عدن منه، جنّات إقامة لمكان الخلد. واسم عدنان مشتّق من العدن وهو أن تلزم الإبل المكان فتألفه ولاتبرحه. والمعدِن بكسر الدال وهوالمكان الذى يثبت فيه الناس لأنّ أهله يقيمون فيه، ولايتحوّلون عنه شتاءً ولا صيفاً.و معدن الذهب والفضّة سمّي معدناً لإنبات اللّه فيه جوهَر هما وإثباته إيّاه فيالأرض حتى عَدَن أي ثبت فيها.[١]

و عن رسول اللّه ﷺ: «عدنٌ دار اللّه التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة: النبييّن، والصدّيقين، والشهداء، يقول اللّه عزّوجلّ: طوبى لمن دَخَلَكَ».

﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ والوعد وعده تعالى لهم بلسان رسله وفي كتبه لطفاً لهم وعنايةً بهم. ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ﴾ موضع «مَنْ» نصب بالعطف

---

١. راجع لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٧٩، «جنّ».

على موضع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ أو بالعطف على ضمير ﴿وَعَدْتَهُمْ﴾، و أشار إلى هذا الفرّآء والزّجّاج. وقرأ «صَلُح» بضمّ اللّام والفتح أفصح. والمراد بالصّلوح صلاحيّة دخول الجنّة فالدعاء استدعاءٌ، لإدخال كلّ من يصلح لدخول الجنّة من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم. وذلك لأنّ الرجل إذا حضر معه في موضع عيشه وسروره أهله وعشيرته كان ابتهاجه أكمل وقد جعلوا هذه الطائفة الصّالحة تابعة للطائفة الأولى الذين تابوا واتّبعوا سبيل اللّه ووعدهم اللّه جنّات عدنٍ. فالطائفة المتبوعة الأولى هم الكاملون في الإيمان والعمل على مقتضى حقيقة معنى قولهم: ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ والطائفة التابعة الثانية دون هؤلاء في المنزلة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على ما يشاء، ٱلْحَكِيمُ في أفعالك. وفي هذا استشفاع بسعة رحمةاللّه وسعة علمه لذكر الحاجة، وهي المغفرة والجنّة.

و في «الميزان» كان مقتضى الظاهر أن يقال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لكنّه عدل إلى ذكر الوصفين «العزيز الحكيم»؛ لأنّه وقع في مفتتح مسألتهم الثناء عليه تعالى بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾، ولازم سعة الرحمة وهي عموم الإعطاء أنّ له أن يعطي ما يشاء لمن يشاء ويمنع ما يشاء ممّن يشاء. وهذا معنى العزّة التي هي القدرة على الإعطاء والمنع. ولازم سعة العلم لكلّ شيء أن ينفذ العلم في جميع أقطار الفعل فلا يداخل الجهل شيئاً منها، ولازمه إتقان الفعل وهو الحكمة.

[الدعاء لوقاية المؤمنين عن استبئات]

٩ ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ﴾

استدعاء لملائكة الرحمة، حاملين العرش ومن حوله بصرف سوء عاقبة السيّئات عن المؤمنين، ومن اتّقى السيّئات يصرف عنه سوء العاقبة، وينجو من العذاب وذلك هوالفوز العظيم للنجاة من النّار ودخول الجنّة. ولعلّ هذا تعميم بعد تخصيص بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿وَقِـهِمْ عَذابَ الجَحِـيمِ﴾ لشموله العقوبة الدّنيويّة والأخروتة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّـيِّئاتِ﴾.

وَ قاهُ يَقيهِ وِقايَةً، أي حفظه ممّا يؤُذيه ويَضرّه. و«السيّئات» مَفعول ثـانٍ لِـقِهِمْ. جمع السيّئةِ محلّاة بالألف واللّام دالّة على العموم. والكلام على تقدير المضاف، أي «وقهم جزاء السيّئات، وادفع عنهم عذابها، وجزاءها، ويجوز أن يكون المراد من السيّئاتِ نفس العذاب اتّساعاً ومجازاً، كما في ﴿وَجَزَآؤُ سَيِّـئَةٍ سَيِّـئَةٌ مِثْلُها﴾[1]

أو من باب ذكر الملزوم وإرادة اللازم، وهو الجزاء والعقاب، هذا على تقدير

---

١. الشورى: ٤٠.

المضاف. وإن قلنا بتعلّق الوقاية على نفس السيّئاتِ، فـيحتَمِلُ أن يكـون بـمعنى الوقاية والحفظ عن العقائد الفاسدة، والملكات الرذيلة، والصّفات الخبيثة، والأعمال القبيحة، والأفعال السيّئة. وهذا يستلزم كون «يـومئذ» إشـارة إلى الدنـيا. وظـاهر السياق كون المراد يوم القيامة. ويستلزم هذا تقدير المضاف، أي جزاء السيّئات وَ أهوالَها وعقابها.

﴿وَمَنْ تَقِ ٱلسَّـيِّئَاتِ﴾ تصرف وتدفع عنه شرّ معاصيه وعذابها شرّ عاقبة سيّئآته من صغيرةٍ اقترفَها، أو كبيرةٍ تابَ منها تفضّلت عليه. و﴿رَحِمْتَهُۥ﴾ وأنعمت عليه بدفع عذابها وإسقاط عذابها «يومئذ» يوم القيامة ويوم الجـزاء والمـؤاخـذة. ذلك هـذه الرحمة المفهومة من ﴿رَحِمْتَهُۥ﴾ أو الوقاية المفهومة من فـعلها أو مـجموعِها ﴿هُـوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِـيمُ﴾ الظفر بالبغية والفلاح العظيم، النجاة من النار ودخـول الجـنّة وهـو الفوز الذي لافوز أجمل منه، والظفر الذي لاظفر مثله، والنجاة التي لاتساويها نجاة، والوصول إلى نعيم لاينقطع وملك لاتصل العقول إلى كنه جلاله وعظمته. والعـظيم في القرآن ذوعظمة لاتوصف ولاتحدّ:

و تعبد هٰذه الآيات الكريمة التي تنبئ عن التفضّل على الذين أُمـنوا بـاستغفار الملائكة لهم، ودعائهم للمؤمنين ولمن صـلح مـن آبـائهم وأزواجـهم وذريّـاتهم بالدخول في جنّات عدن الّتي وعدالله جلّجلاله لهم، وهو الفـوزُ العـظيمُ، يـعود الكلام الإلٰهى إلى سوء حال الكافرين المتقدّم ذكرُهم، فقال عزّ اسمُه.

[كفران الذين يُدعَونَ إلى الإيمان بالله تعالى]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُـنادُونَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ١٠

اختلف في وجه دخول اللّام في قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ من أنّه بمعنى أنّ «أو» للابتداء.

قال الفرّآء في معاني القرآن: يُنادون لمقتِ اللّه، أي يَنادون أنّ مقتَ اللّه ايّاكم. لأنّ اللّام تنوب عن أنّ في مثل الكلام كما يقولون: «ناديتُ» أنّ زيداً قائم، وناديت «لزيْدٌ قائم».

و في التبيان، قال البصريّون: هذه لام الابتداء، كما يقولُ القائل: لزيد أفضل من عمروٍ، أي يقال لهم، والنداء قول. و في فتح القدير للشّوكاني: قال الأخفش: هذه اللّام في «لمقتُ» هي لام الابتداء أوقعت بعد «ينادون»؛ لأنّ معناه يقال لهم، والنداء قول، وفيالكلام حذف، أي لمقت اللّه إيّاكم. وتوضيحاً لمعنى الآية الشريفة نقول: إنّ معنى ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ﴾ دعوتهم إلى الإيمان في الدنيا، وهي ظرف متعلّق لمقتُ اللّهِ. وظهور «إذ» في الظرفيّة و هيَ الغالب فيالكلمة، ولابدّ من استعمالها في الماضي ولو معنىً وهذا هو الفرق المهمّ بين «إذ» و«إذا» فإنّ إذا تختصّ بالمستقبل

كما أنّ إذ تختصّ بالماضى. وكلمة إذ تلزم الإضافة إلى الجملة، اسميّةً كانت أو فعليّةً ماضية لفظاً، نحو ﴿وَإِذ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ وَإِذِ ٱبْتَلىٰ إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ﴾. وإن كانت الجملة مضارعة لفظاً، فلابدّ من كونها ماضيةً معنىً نحو ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ ٱلْقَواعِدَ مِنَ ٱلبَيْتِ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلا بدّ من أن يكون «إذ» في الآية الشريفة في المقام ظرفيّة وهي تلزم الماضويّة في الفعل، ومشيرة إلى ظرف دعوتهم في الدنيا من قبل الأنبياء والمرسلين، وإنكارهم لتلك الدعوة الشريفة المباركة.

و اعتراض غير واحد عليه بلزوم الفصل بين المصدر ومفعوله بأجنبيّ وهو الخبر، غير وارد لأنّ الظروف متّسع فيها، كما في أمالي ابن الحاجب أنّه لا بأس بذلك.

فلنتوجّه إلى الآية الشريفة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادُونَ لَمَقْتُ ٱللّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

في قبال استبشار الملائكة بالرحمة والعناية والفوز العظيم للمؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادُونَ﴾ استخفافاً وإذلالاً لهم، يناديهم ملائكة العذاب يوم القيامة وهم يتلظّون النار، ويذوقون العذاب، يمقتون أنفسهم ويبغضونها أشدّ البغض بما أسلفوا من سيئ الأعمال التي كانت سبب دخولهم في النار. ﴿لَمَقْتُ ٱللّهِ﴾ لكم في الدّنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وكأنّ التعبير بالمضارع «فتكفرون» للإشارة إلى الاستمرار التجدّدي بتكرّر الكفر منهم بعد دعوتهم مرّة بعد مرّةٍ إلى الإيمان.

و يوم القيامة يوم الحقّ والشّهود المحض، فتبلى السرآئر، ويظهر للكافرين حقيقةً مقتُهم لأنفسهم الأمّارةُ بترك الإيمان والصيرورة إلى الكفر، فيرون أعمالهم، وينظرون في كتابهم، وقد أُدخِلوا النّار، مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم حتى في حقّ أنفسهم، فيُنادَون حينئذٍ ﴿لَمَقْتُ ٱللّهِ﴾ إيّاكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ

﴿فَتَكْفُرُونَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ اليوم والمقت أشدّ البغض والعداوة ووضع موضع أبلغ الإنكار وأشّدّه كناية عن شدّة العذاب والعقاب؛ لأنّه جلّ شأنه منزّه عن العوارض والحالات.

وفي البرهان في ذيل رواية جابربن يزيد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بني أميّة يُنادون ﴿لَمَقْتُ اللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإيمانِ﴾ يعني ولاية علّي وهي ﴿الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

وفي نورالثقلين عن تفسير علّي بن إبراهيم مثل هذا، ولكنّه تفسير وتأويل بالمصداق الأجلى دون الحصر.

وبعد هذا النداء الموجب لخذلان الكافرين في النار فضيحتهم بأعمالهم يقولون استغاثةً واعترافاً واستعطافاً.

[اعتراف الكفّار بإماتتهم وإحيائهم مرّتين]

﴿قالُوا ربَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿١١﴾

قالوا: هؤلاء الكافرون المنكرون للقبر والسؤال والبعث والنّشور معترفين بذنوبهم الّتي اقترفوها فيالدنيا: ﴿رَبَّنا﴾ وهذا استعطاف منهم، وطلب للغاية والترّحم لهم، والتوصّل إلى التخلّص من العذاب ولات حين مناص ﴿أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ والسّياق تدلّ على صدور هذا القول منهم بعداسْتماع النداء السّابق وهم فيالنار لإشعار قولهم: ﴿فَهَلْ إلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

واختلف في معنى الآية الشريفة بوجوهٍ: أحدها: الإماتة الأُولى: الإماتة بعد الحياة الدنيويّة، والثانية: فيالقبر قبل البعث. والإحياء الأوّل فيالقبر للمسائلة، والثانية فيالمحشر وهو رأي علمائنا الأكارم ومنقول عن السدّي ومختار البلخي.

ثانيهما: الإماتة الأولى كونهم نطفاًفأحياهم اللّٰه فيالدنيا ثمّ أماتهم الموتة الثانية، و إحياءهم ثانياً للبعث. فهما حياتان وموتتان تنظيراً بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً﴾ نقل عن ابن عبّاس وقتادة والضحّاك ومختار أبي مسلم.

ثالثهما: أنّ الحياة الأولى فيالدّنيا والثانية فيالقبر، ولم يرد الحياة يوم القيامة.

والموتة الأولى فيالدنيا والثانية فيالقبر عن الجبّائي.

وقد نقل انتساب هذه الأقوال إلى أنظار جملة من الفسّرين في كتب التفاسير من دون التمسّك بما يظهر منالآية الشّريفة وكلام المعصومعليهم‌السلام. والاولى لنا النـظر الى النفس الآية وما هو الظاهر المستفاد منها. فلفظتي «اثنتين» هما وصفان للـمصدر المحذوف، أي إماتتين اثنتين وإحياءتين اثـنتين. وقـيل: إنّـهما وصـفان لمـوتتين وحياتين وهذا خلاف الظاهر؛ فانّ المصدرين المقدّرين منالفعلين المصرّحين بهما أعني الإماتة والإحياء لاالموت والحياة وتحقّق كلّ من الإماتة والإحـياء يـتوّقف على سبق خلافه. فالإماتة لابدّ أن تكون عن حياة، كما أنّ الإحياء لابدّ أن يكون عن ممات، فلا مجال لأنّ يقال: إنّ الإماتة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم اللّـه فيالدّنيا بدعوىٰ أنّ الإماتة كون الشيء عادم الحياة ابتداءً إبقاؤه كذا ولو بـتصيير كالتصغير والتكبير الابتدائيين، وقد بسط الكشّاف الكلام فيالمقام فقال:

فإن قلتَ: كيف صحّ أن تقول: سبحان من صغّر جسمَ البعوضة وكبّر جسم الفيل. وقولك للحفّار: ضيّق فم الركيّة، ووسّع أسفلها وليس ثَمَّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولامن ضيق إلى سعة، ولامن سعة إلى ضيق، وإنّما أردت الإنشاء على تـلك الصفات. والسبب في صحّته أنّ الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصّانع أحد الجائزين وهو متمكّن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع عنالجائز الآخر، فجعل صرفه منه كنقله منه.

و أنت خبير ببناء هذه التكلّفات والتّحملات على ما هو خلاف ظاهر الكـلمة الشريفة «الإماتة» ولهذا تكلّف للجواب عن إشكال وارد فيالآية وهو لزوم كـون الإحيآءات ثلاثة: الأولى: فيالدنيا، والثانية، فيالقبر للمسٔآءلة: والثالثة: فيالأُاخرة عند لبعث: وهذا خلاف ظاهر الآية قطعاً، مضافاً إلى أنّ مجرّد هـذه الإمـاتة، أي الإبقاء على عدم الحياة، والإحياء بعد عدم الحياة ليساموِرثين ومـوجبين للـيقين

بالمعاد، والاعتراف بالذنوب، واقترافِ الكفر والشرك والمعاصي، وكانوا فيالدنيا في ريب من البعث والإيمان بالله، فأنكروا ونسوا يومالحساب، واسترسلوا فيالذنوب، و أرخوا العنان فيالمعاصي ونسيانُ يومالحساب مفتاحُ كلّ الضلالات والمعاصي. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ ٱلحِساب﴾.[١]

والعجب أنّ القرآن يصرّح بأنّ الكفّار والمشركين لايرون الإماتة عن الحياة الدنيويّة والموت بعد هذه الحياة إلّا إماتة أولىٰ، واعترفوا بقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلأُولىٰ وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾.[٢]

فظهر أنّ الإماتَة الأولى لابدّ من أن تكونَ إماتة عن هٰذه الحياة الدّنيوية التي مسبوقة بالحياة، والإحيآء الأولى للبرزخ للمساءلة. ثمّ الإماتة عن البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة، فتدلّ الآية على الحياة البرزخيّة، ولولاها لم يتحقّق الإ ماتة الثانية، والإماتتان والإحيآءتان هما حالة عامّة لجميع الخلائق، كما أنّ هذه المقالة تحكي عن حالة عامّة لأهل النّار، وهذا لاينافي تحقّق ثلاث إماتات وإحياءات بالنسبة إلى بعض الخلائق، كما فيالرجّعة وهي خاصّة لمن محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، وهذه الرجعة لأِقّلِ القلائل من الخلائق فكيف بجميع أهل النّار.

وقدر روي عن الصادقعليه السلام قيل له: إنّ العامّة تزعم أنّ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[٣] عنى فيالقيامة، فقالعليه السلام: «افيحشر الله يوم القيامة من كلّ أمّة فوجاً، ويدع الباقين؟ ولكنّه فيالرجعة». وأمّا آية القيامة، فهي ﴿وَحَشَرْناهُمْ

١. ص: ٢٦.

٢. الدخان: ٣٥.

٣. النخل: ٨٣.

فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[١].[٢]

فاعترفنا بذنوبنا التي ارتكبناها، واقترفنا في الدنيا، ولا يمكننا جحدها، وإنّنا نتمنّى الخروج: ﴿فَهَلْ إلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ سؤال اليائس القانط المتحيّر: استدعاء منهم وتلطّف بأنّه هل بعد الإعتراف سبيل إلى الخروج عن هذه المصائب وتنكير الخروج والسبيل لشدّة قنوطهم ويأسهم للخروج والنجاة.

قيل: إنّهم سألوا الخروج من النارِ وَ الرجوع إلى الدنيا للتدارك والعمل بطاعة اللّه، واللّه سبحانه يعلم أنّهم لايفلحون لذلك ولو رُدّوا إلى الدنيا ودارالتكليف، ولوردّوا لعادوا لما نُهوا عنه، ولكنّهم لو صدقوا في ذلك لأجابهم إلى ما تمنّوه، وفي الكلام حذف معلوم من الآية الشريفة، فأجيبوا بأنّه لاسبيل لكم إلى الخروج، ولاإشكال في دلالة الآية الشريفة على الإحياء في القبر للمساءله عن الموتى.

و قال العلّامة المجلسى إنّ سؤال القبر ممّا أجمع عليه المسلمون، بل هو ضروريّ دينِ الإسلام، وقد دلّت الآيات والأحاديث الكثيرة عليها، ومن أراد الوقوف عليها فليراجع بحار الأنوار، ولنبشرّك بنقل عدد منها.

وفي البحار نقلاً عن أمالي الشيخ: الحفّار، عن إسماعيل بن علّي الدعبلي، عن أبيه، عن أخي دعبل، عن شعبة بن الحجّاج، عن علقمة بن مزيد، عن سعدبن عبيد، عن البراء بن عازب، عن النّبيﷺ في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثّابِتِ فِى الحَياةِ ٱلدُّنْيا وَفِى ٱلآخِرَةِ﴾. قال: «في القبر إذا سأل الموتى».[٣]

و في البحار عن أمالي الصدوق: عليّ بن حاتم، عن عليّ بن الحسين النحوّي،

---

١. الكهف: ٤٧.

٢. راجع مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٤.

٣. بحارالأنوار، ج ٦ ص ٢٢٨ نقلاً عن أمالي الصّدوق، ص ٢٣٩ـ ٢٤٠.

عن البرقي، عن أبيه، عن سليمان بن مقبل، عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: «إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلىٰ قبره، فإذا دخل قبره أتاه منكر ونكير فيُقعِدانِه ويقولان له: مَن ربّك؟ وما دينُك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربّي اللّٰه، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مَدَّبصرِه، ويأتيانه بالطعام من الجنّة. ويُدخِلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ يعني في قبره، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ يعني في الآخرة».

ثمّ قال عليه السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانيّة إلى قبره، وإنّه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كلّ شيء إلّا الثقلان، ويقول: لو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين، و يقول: ﴿اَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾ فتجيبه الزبانيّة: ﴿كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾ ويناديهم ملك: لورُدَّ لعاد لما نهي عنه، فإذا أُدْخِلِ قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيتلجلج لسانه، ولايقدر على الجواب فيضَربانه ضربةً من عذاب اللّٰه يذعرلها كلّ شيء، ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: لاأدري، فيقولان له: لادريتَ ولاهَدَيْتَ ولاأفلحتَ، ثمّ يفتحان له باباً إلى النار، ويُنزلانِ إليه من الحميم من جهنّم، وذلك قول اللّٰه عزّوجلّ: ﴿وَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعني في القبر ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ يعني في الآخرة».[1]

و في البحار: قال البرسي في مشارق الأنوار: روى المفيد بإسناده عن أمّ سلمة عليها السلام قالت: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله لعلّي عليه السلام: «يا علّي إنّ محبّيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المسآءلة في القبور وأنت هناك تلقّنهم،

---

١. بحارالأنوار، ج ٦، ص ٢٢٢ نقلاً عن أمالي الصدوق، ص ١٧٤ـ ١٧٥.

وعندالعرض علىالله وأنت هناك تعرّفهم».

و ذيّل العلّامة المجلسي رحمه الله الرواية بقوله:

اعلم أنّ حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عندالموت ممّا قدورد بهالأخبار المستفيضة، وقد اشتهربين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار. وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام إلى آخر كلامه الشريف فارجع واغتنم.[1]

ولنتبرّك بذكر رواية آخرى عن البحار: عن الروضة وكتاب الفضائل قيل: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أميرالمؤمنين عليه السلام، أقبل علّي بن أبي طالب عليه السلام باكياً، فقال له النبّي صلى الله عليه وآله: «ما يبكيك؟ لاأبكى الله عينك، قال: توفّت والدتي يا رسول‌الله، قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: بل و والدتي يا عليّ، فلقد كانت تجوع أولادها وتشبعني، وتشعث أولادها وتُدهِنُني، والله لقد كان في دار أبي طالب نخلة فكانت تسابق إليها من الغداةِ لتلتقط ثمّ تجنيه رضي الله عنها فإذا خرجوا بنو عمّي تناولني ذلك».

ثمّ نهض عليه السلام فأخذ في جهازها، وكفّنها بقميصه صلى الله عليه وآله وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأنّي في رفع الآخر وهو حافي القدم، فلمّا صلّى عليها كبّر سبعين تكبيرةً. ثمّ لحدّها في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها، ولقّنها الشهادة، فلمّا أُهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف، جعل رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول لها: «ابنكِ، ابنِك، ابنك لاجعفر ولاعقيل، ابنكِ، ابنكِ، علّي‌بن أبي‌طالب»، قالو: يا رسول‌الله فعلتَ فعلاً ما رأينا مثله قطّ: مَشْيك حافي القدم، وكبّرتَ سبعين تكبيرة، ونومك في لحدها، وقميصك عليها، وقولك لها: «ابنك، ابنك، لاجعفر ولاعقيل». فقال صلى الله عليه وآله: «أمّا

---

١. بحارالأنوار، ج ٦، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

التأنّي في وضع أقدامي ورفعها في حال التشييع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة. وأمّا تكبيري سبعين تكبيرة فإنّها صلّى عليها سبعون الفاً من الملائكة. وأمّا نومي في لحدها، فإنّي ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فنمت في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتها ذلك، وأمّا تكفيني لها بقميصي، فإنّي ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراة. فقالت: وا سَوْأتاه فكفّنتها به، لتقوم يوم القيامة مستورة، وأمّا قولي لها: ابنكِ، ابنكِ، لاجعفر ولاعقيل، فإنّها لمّا نزل عليها الملكانِ وسألاها عن ربّها. فقالت: اللّه ربّي، وقالا: من نبيّكِ، قالت: محمد نبيّي، فقالا: من وليُّكِ وإمامكِ، فاسْتَحيَتْ أن تقول: ولدي، فقلت لها: قولي: ابنكِ علّي بن أبي طالب عليه السلام فأقرّ اللّه بذلك عينها.[١]

ولنرجع إلى ذيل الآية الشريفة: ﴿فَهَلْ إِلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وقد ذكرنا أنّ تنكير الخروج والسبيل لشدّة قنوطهم ويأسهم للخروج والنجاة، فيتمسّكون خروجاً ما، ويطلبون سبيلاً ما. ومثل هذا التركيب يستعمل عنداليأس والقنوط الكامل، وليس المقصود به الاستفهام، وإنّما قالوه من فرط القنوط واليأس تعلّلاً وتحيّراً، ولذلك أجيبوا بذكر ما أوقعهم فيالهلاك، من غير جواب عنالخروج والسبيل نفياً وإثباتا استخفافاً وإذلالاً لهم، وهذا جواب بالنفي والإهانة على أبلغ وجهٍ، فقال سُبحانه.

---

١. بحارالأنوار، ج ٦، ص ٢٤١ـ ٢٤٢.

[فى مذمّة الكفّار لإنكارهم توحيد اللّه]

﴿ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللّٰهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالحُكْمُ لِلّٰهِ ٱلعَلِيِّ الكَبِيرِ﴾ ⑫

أي ذلكم البلاء العظيم الذّي حلّ بكم، فالإشارة إلى شدّة حالهم والضمير للشأن، أي بسبب أنّ الشأن، إذا دعي اللّه وحده، وعُبِدَ سبحانه وحدَه فيالدنيا، ودُعِيَ واحداً منفرداً من دون شريك، كفرتم بتوحيده وجحدتم وأنكرتم ذلك وقلتم: اجعل الآلهة إلهاً واحداً. ووحده مصدر حال أقيم مقام فعله أو ما بحكم الفعل الذي هوالحال حقيقة، أي إذا دعياللّه واحداً منفرداً. أو تُوُحّدِ وحدَه أن يشرك به سبحانه من منزّه من ذلك تؤمنوا وتذعنوا بإشراك الأصنام والأوثان في عبودّيته. ﴿وَإِذا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1] وكم لهم من نظير في توالي القرون حتى في عصرنا الحاضر كأنّهم حمر مستنفرة منالإيمان والتوحيد والتقوى، فإذاهم قطعوا عناللّه بالمرّة، وكفروا بكلّ ما يريده، وآمنوا بكلّ ما يكرهه، فاللّه العليّالكبير يقطع عنهم ويحكم فيهم

---

١. الزمر: ٤٤.

بالحقّ والحكمة من دون ترحّم ورعاية. فهذا اليوم فالحكم للّه المستحقّ للـعبادة، والحاكم عليهم بالعذاب الدائم الذي لايحكم إلّا بالحقّ، ولايقضي إلّا بـما تـقضيه الحكمة. العلّي من أن يشرك به، والقادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه أو يساويه في مقدوره. وجاز وصفه تعالىٰ بالعليّ؛ لأنّ الصفة قد تقلب من علوّ المكان إلى علوّ الشأن، يقال: استعلى عليه بالقوّة، واستعلى عليه بالحجّة.

«الكبير» المتّصف بنهاية الكبرياء، والعظيم في صفاته التي لايشاركه فيها غيره، فهو أجلّ من أن يشرك به، وهوالواحد ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، ولذا اشتدّ اليوم سطوته وغضبه وعذابه على المشركين الخالدين فيالنّار، فلا سبيل لخروجهم أبداً إذا كانوا مشركين، وأنّه لظلم عظيم، وتعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

قال الحقّي فـي روح البيان: وفـيالإرشـاد فـي إيـراد «إذا» وصـيغة المـاضي فيالشرطية الأولى و«إنْ» وصيغة المضارع فيالثانية مالايخفي مـن الدلالة عـلى كمال سوء حالهم، ونُقِل عينُ العبارة في روح المعاني للآلوسى، ولعلّ وجـه هـذا الكلام أنّ «إذا» الشرطيّة فأكثر تحقّقها ناظرة إلى الظرفيّة المتحققّة، والزمان الماضي وإن كان بمعنى المستقبل باقتضاء الشرط إلّا انّ الأمرين ناظران إلى ظرف التحقّق والفعليّة، أي كفرهم عند الدعوة إلى التوحيد، وهذا بخلاف «إنّ» الشرطيّة والفـعل المضارع الدالّ على التجدّد والاستمرار عند فعليّة الشرط بكلّ ما يلوح منه سـمة الشرك، ولهذا قال العلّامة الطباطبائي في الميزان:

> و في قوله: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِـهِ﴾ دلالة على الاستمرار، والكلام مسوق لبيان معاندتهم للحقّ، ومعاداتهم لتوحيده تعالىٰ، فهم يكفرون بكلّ ما يلوح فيه أثر التوحيد، ويؤمنون بكلّ ما فيه سمة الشرك، فهم لايراعون للّه حقّاً، ولايحترمون له جانباً، فاللّه سُبحانه يحرّم عليهم رحمته، ولايراعي في حكمه لهم جانباً.[1]

---

١. الميزان، ج ٧، ص ٣٣٣.

في تفسير كنز الدقائق عن تفسير عليّ بن إبراهيم عليهما السلام: أخبرنا الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن جمهور، عن جعفر بن بشير، عن الحكم بن زهير، عن محمّد بن حمدان، عن أبى عبداللّه عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿إِذا دُعِيَ اللّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالحُكْمُ لِلّهِ ٱلعَلِيِّ الكَبِيرِ﴾ يقول: اذا ذكراللّه وحده بولاية من اَمَراللّهُ بولايتِه كفرتم. وإن يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا.

و في أصول الكافي: الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد، عن علّي بن أسباط، عن عليّ بن منصور، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الوليد بن صبيح، عن أبيعبد اللّه عليه السلام: «ذلكم بأنّه إذا دُعي اللّهُ وحدَه وأهل الولاية كفرتم».

و في شرح الآيات الباهرة: عن محمّد البرقي، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الحسن بن الحسين، عن أبيجعفر عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ «بأنَّ لعلّي ولاية: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ من ليست له ولاية: ﴿تُؤْمِنُوا فَالحُكْمُ لِلّهِ ٱلعَلِيِّ الكَبِيرِ﴾» وقد ذكرنا في نظائر هذه الموارد المفسّرة للآيات الشريفة بأنّه تفسير للمصداق الأتمّ الأجلى من دون اختصاصٍ في البين.

[إتمام الحجّة من اللّه تعالى على الكفّار]

١٣﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلّا مَنْ يُنِيبُ﴾

ذمّ الكافرين وعقابهم والاستخفاف بهم في نار جهنّم بلومهم وندائهم بالخذلان والفضيحة، وهذا لايمكن إلّا بإتمام الحجّة عليهم في دارالدنيا بإقامة الدلائل والآيات الكونيّة والتشريعيّة لهم، فالآية الشّريفة إرجاع إلى ماهيَ الفطرة السليمة الإنسانيّة من اتّباع العقل والشعور، والاتّعاظ والتذكّر بالآيات والعلائم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ أيّها الناس حججه على وحدانيّته تعالى في الربوبيّة والألوهيّة ويمثّل أمام عيونكم وعقولكم آياته، الدّالة على كمال قدرته وتوحيده ودرايته وحكمته والكون كلّه آياته:

و في كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحدُ

ولاإشكال في ظهور الكلام، في أنّ اللّه جلّ جلاله يخاطب عموم النّاس وخلقه بإراءة الآيات، وتنزيل الرزق بحيث يتلقّون الآيات الدالّة على وجوده، ووحدته، وتفرّده بالقبول بعقولهم، وفطرتهم المودعة فيهم، فلابدّ من أن يكون الظاهر من الآية الشريفة كون المراد من الآياتِ التكوينيّة، والرزق ما هو دخيل في مصالح الكون

والأبدان، والسماء المعنى المعروف العرفي، ولكون الآيات مشهودة عند كلّ أحد متلقّاة بالقبول بعقولهم إن كانوا منصفين منيبين، فرّع سبحانه قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. على الآيةِ الكريمة.

والآية مرشدة إلى أنّه تعالى هوالواحد المتفرّد بالألوهيّة والربوبيّة، والآيات شواهد قطعيّة على وجوده ووحدته، ولاإله ولامعبود غيره لعدم إراءة آية أو تنزيل رزق من غيره سُبحانه. وقال مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام: «لو كان لربّك شريك لأَتَتْكَ رُسُلُه».

﴿وَيُنَزِّلُ﴾ قرأ الجمهور بالتشديد. وابن كثير وأبوعمروٍ بالتخفيف ﴿لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً﴾ ينزّل اللّه لنفع عباده من السماء ما هو سبب للرزق، فالتسمية من باب تسمية السبب باسم المسبّب. وقد ذكرنا المراد من الإراءة وتنزيل الرزق من السمآء ما هو المعاني العرفيّة الظاهرة، ومقتضى خطاب اللّه جلّ جلاله لكافّة خلقه ذلك.

و صيغة المضارع فيالفعلين ﴿يُرِيكُمْ﴾ و ﴿يُنَزِّلُ﴾ للدلالة على تجدّد الإراءةِ والتنزيل واستمرارهما، هذا. وربّما يقال تعميماً لمعنى الآية الشريفة، وخروجاً عمّا هيالظاهرة فيه: إنّ كلّ شيء موجود يحتاج إلى رزق مناسب له ماديّة ومعنويّة ينزَّلُ له من منعم النعم، ويبرز من مكمنه المغيب إلى الشهادة والتحقّق والوجود، فيمكن أن يكون السماء أعمّ ممّا هو ظاهر فيه أعني المقام الأعلى والأرفع ممّا نتصوّره، والرزق أيضاً كذلك إمّا مادّي وإمّا معنوّي وإن كان ظاهره ما هو دخيل في مصالح الأبدان، فإراءة الآيات، وتنزيل الرزق بقدر معلوم من جهة إظهار الحُجَج والبيّنات رعايةً لمصالح الأديان، وتنزيل الررزق رعايةً لمصالح الأبدان وهٰذا تأويل في جنب ما هوالظاهر من الآية الشريفة.

﴿وَما يَتَذَكَّرُ إِلّا مَنْ يُنِيبُ﴾ وما يتّعظ بهٰذه الآيات وما يتفكّر في خلقها وحقيقتها والحكمة في إبداعها وإيجادها إلّا مَنْ ينيبُ ويرجع عن تعصّبه وغروره، ويخشع

ويُقبل بفؤاده وقلبه إلى طاعة اللّٰه، فالتوّجه إلى غيراللّٰه سبحانه، والاشتغال بعبادة غيره حاجب للعقول السليمة، مانع عن الإذعان القلبي، ويمحي ويـبطل اسـتعداد التذكّر بهٰذه الآيات والاتّباع للحقّ. وإذا أناب العبد ورجع إلى اللّٰه يـزولُ الغـطآء، وتظهر له سبل النجاة ويظفر بالفوز العظيم.

و في تفسير علّي بن إبراهيم: وقال علّي بن إبراهيمﷺ في قوله ـ عزّوجلّ: ﴿هُـوَ الَّذِى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ﴾، يعني الأئمةﷺ الذين أخبرنا اللّٰه عزّوجلّ ورسولاللّٰه بهم.

[تذكير المؤمنين بدعوة اللّه تعالى مخلصين له]

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ⑭

الدعوة في الآية السابقة إلى النّظر إلى آيات اللّه والتفكّر في حكمة مخلوقاته وعجائبها. والدعوة موجبة لتعقّل العقل، والنصفة بالاعتراف بتوحيد اللّه جلّ جلاله بجميع مراتب توحيده النظري والعملي، الذاتي والصفاتي، والأفعالي والعبادي. ولذا فرّع سبحانه تعالى لطفاً وعنايةً بعباده المتعقّلين المتفكرّين المنصفين قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ ووجّهوا إليه بكلّ جهة غير مشركين به، مخلصين له الدين بتوحيده وحده فيمقام الاعتقاد القلبي، وعبادته وحده في مقام التعبّد، فليس الخطابُ للمنيبين خاصّة وإن كانوا داخلين فيه قطعاً، ومقتضى فاء التفريع والنتيجة من الآية السابقة أن يقول: «فادعوه». وضع الظاهر موضع المضمر ليتمكّن فضل تمكّن، والإشعار بأنّه تعالىٰ هوالمعبود بحقّ والمستحقّ لأن يعبد وحده. ونصب «المخلصين» على الحالية إخلاصاً غير مشوب بشيءٍ من مقاصد الدنيا وحتّى الآخرة. جعلنا اللّه من المخلصين بفيض كمال الإخلاص.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ إخلاصَكم، فهم بشركهم يتنفّرون منكم، ويكرهون الاعتراف الخالص بالتوحيد منكم، فلا تبالوا بهم، ولاتعتنوا بأقوالهم وأفعالهم، والإتيان بلوا لامتناعيّة مع تحقّق الكراهة منهم؛ لامتناع الفطرة السليمة عن هذه الكراهة.

[في إلقاء الروح على من يشاء من عباده]

(١٥)﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجاتِ ذُو ٱلعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلاقِ﴾

قوله تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجاتِ﴾ ﴿ذُو ٱلعَرْشِ﴾ ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾. صفات ثلاث له تعالىٰ. قيل: إنّ كلّاً منها خبر بعد خبر للضمير في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ وطول الفصل يبعّد هذا الاحتمال، بل هو خبر للمبتدأ المقدّر، والجملة مستأنفة، وهذا مبنيّ على جواز تعدّد الأخبار إذا لم تكن في معنى خبر واحد. وقرأ «رفيع» بالنصب على المدح، ويبعّد هذا كونُ المعطوف، أي ذوالعرش بالضمّ. وحيث إنّ الآيات القادمة مسوقة للإنذار والتخويف، فالآية ممهّدة لهما. ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجاتِ﴾قالوا: إنَّ الرفيع بمعنى الرّافع، وتكون الصيغة للمبالغة، مضافة إلى مفعولها، أي هو رافع درجات الأنبياء والأولياء، وأهل الإيمان والجنة باختلاف طبقاتهم، ودرجاتهم فيالايمان والمعرفة، والعمل والطاعة. ﴿يَرْفَعِ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾ أو رافع السموات السبع.

وقالوا: بكون الرفيع بمعنى المرتفع، أي هو أرفع الموجودات واعظمها شأناً، ارتفعت درجات كماله وجماله عن أن يشرك به كلّ شيء محتاج إليه وهو

مستغنٍ عمّا عداه.

و قيل: معناه عالى الصفات، ويناسب هذا القول كون الرفيع من باب الصفة المشبّهة مضافة إلى فاعلها.

قيل: إنّ الدرجات هي المصاعد، مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش، وهي دليل على عزّته وملكوته. وقيل: هي درجات ثوابه التي ينزّلها أولياءه فيالجنّة. والكلّ عبارة عن رفعة شأنه، وعلّو سلطانه، صاحب الدّرجات الرفيعة، فهو رفيع الصّفات، مرتفع كماله وجماله، ورافع درجاتٍ من يشاء من عباده بمراتب العزّ، ومنازل الفضل حسب شأنهم، واستحقاقهم وقابليّاتهِم.

﴿ذُو ٱلعَرْشِ﴾ قيل: إنّه مالك العرش، وخالقه وربّه، أو ذوالملك والعرش: الملك. و قد مرّ معنى العرش مفصّلاً، والوصْفان «رفيع الدرجات» و«ذوالعرش» للإشعار بأنّه تعالى أرفع وأجلّ من أن يوصف، ويقدّر ويقاس بمستوى غيره ومراتب خلقه. و أنّ له عرش مجتمع فيه أزمّة أمور خلقه، متعالٍ عن مستواهم، يتنزّل منه الروح المناسب للإنذار.

معنى الروح

﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾.

اختلف في معنى «الروح» فقيل: إنّه بمعنى الوحي: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾ والمراد الوحي؛ لأنّه به يحيى القلب بالخروج منالجهالة إلى المعرفة، والناس يُحيَون به من موت الضلالة والكفر كما تحيي الأبدان بالأرواح. وقيل: إنّ المراد منه القرآن أو الكتاب أو جبرئيل ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ﴾ أو النبّوة وهو المعنى المناسب للآية، وهو الملقي على من يشاء من عباده الذي اصطفاه سبحانه لرسالته، و تبليغ أحكامه، ويخصّه بهذه العناية والكرامة واللطّف، فالمراد

من إلقاء الرّوح من أمره على من يشاء من عباده الرّسالة التي من شأنها الإنذار.

و في تفسير كنز الدقائق: [في] تفسير عليّ بن إبراهيم: قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجاتِ ذُو ٱلعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ قال: روح القدس وهو خاصّ لرسول اللّه ﷺ والأئمّة عليهم السلام.[1]

و في تفسير البرهان في الآيات الأخيرة من سورة الشعراء روايات كثيرة في الروح، و يطول بنا الكلام في نقلها جميعاً فليراجع هناك.

يوم التلاق

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلاقِ﴾[2] لينذر من يلقى إليه الروح أو المُلقي وهو اللّه. والأوّل أظهر وأنسب، والجملة بتقدير المفعول المضاف في التقدير، أي عذاب يوم التلاق. وسقط الياء عن التلاق كالتناد للاجْتزاء بالكسرة الدالّة عليها. وأثبت ابن كثير الياء مطلقاً ولعلّه من جهة كونه الأصل.

و هل هو يوم القيامة ويوم يلقي فيه أهل السماء وأهل الأرض؟ وعن ابن عبّاس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلاقِ﴾ من أسماء يوم القيامة، عظّمه اللّه وحذّره عباده.

و عن قتادة يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق، أو يلتقي الخصم والمخصوم، والظالم والمظلوم، أو يلتقي المرء وعمله، والحقّ أنّ لقاء اللّه في يوم القيامة، يوم المحاسبة والمساءلة، يوم تقطّع الأسباب الشاغلة، وظهور أنّ اللّه هو الحقّ المبين يستلزم كلّ هذه اللقاءات ﴿إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾[3].

---

١. كنز الدقائق، ج ١١، ص ٣٦٨.

٢. الشعراء: ٥١ ـ ٥٣.

٣. هود: ٢٩.

﴿يا أَيُّها الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[١].

و في تفسير البرهان: عن ابن بابويه، عن أبيه، قال: حدّثنا سعد بن عبداللّه، عن القاسم بن محمّد الأصفهاني، عن سليمان بن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «يوم التلاق: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ويوم التّناد، يوم ينادي أهل النار أهل الجنّة: أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم اللّه، ويوم التغابن يوم يغبن أهل الجنّة أهل النار، ويوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح».[٢]

و في تفسير كشف الأسرار وعدّة الأبرار في النوبة الثالثة لتفسير الآيات الشريفة في المقام لطائف فارجعها.[٣]

---

١. الانشقاق: ٦.

٢. البرهان، ج ٤، ص ٩٤.

٣. كشف الأسرار وعدّة الأبرار، ج ٨، ص ٤٧٠.

[مصائب يوم التلاق وتقطّع الأسباب]

﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفىٰ عَلَى ٱللّٰهِ مِنْهُمْ شَیءٌ لِمَنِ ٱلمُلْكُ ٱليَوْمَ لِلّٰهِ ٱلواحِدِ ٱلقَهّارِ﴾ (١٦)

﴿يَوْمَ هُمْ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ ٱلتَّلاقِ﴾. تشير الآيةُ على مصائب يوم التلاق، ومتاعب يوم تقطّع الأسباب الشاغلة، وارتفاع الأرباب الوهميّة الجاذبة إلى نفسها الحاجبة عن ربّها المغفلة عن إحاطة ملك اللّه وتفرّده جلّ جلاله في الحكم وتوحّده في الربوبيّة والألوهيّة.

﴿بارِزُون﴾ قيل: إنّهم بارزون عن بواطن قبورهم.

و قيل: إنّهم ظاهرون لايسترهم شيء من الأستار كالجبل والاكمه والبناء والثياب، فإنّ الأرض بارزة قاع صفصف، إنّهم عراة مشكوفون، كما جاء في الحديث «يحشرون عراةً حفاةً غُرْلاً».

«حفاة» جمع حافٍ وهو من لانعل له، «عراة» وهو جمع عاري وهو من لالِباس له. «غُرلاً» وجمع أَغْرل وهو الأقلف الذي لم يُخْتَن. في النهاية لابن الاثير: الغُرْل جمع الأغرل وهو الأقلف والغُرلة القلفة». وفي مجمع البحرين «عُزلاً بتقديم العين المعجمة على الزاء المنقوطة والعُزْل جمع الأعزل وهو الأغلف، والعُزلة مثل القلفة

لفظاً ومعنىً، والأعزل الأجرد الذي لاشعرله، ومنه الحديث: «إذا كان يـوم‌القـيامة بعث اللّٰه الناس مِنْ حفرهم عزلاً» أي جرداً لاشعرلهم وعَزِلَ عَزلاً من باب تَعِبَ إذا لم يُختَن، فهو أعزل.

و قيل: إنّ التعبير كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرائِرُ﴾.[١]

و قيل: إنّهم بارزون ظاهرون عمّا انغمسوا فيه من ظلمات الأعمال، وهو أحبس النفوس، وطلبات الأجسام، وتمنيّات الأبدان، معرضون عن الاشتغال بتدبير الأبدان والجسمانيات، ومتوجّهون إلى عالم القيامة والروحانيات.

﴿لا يَخْفىٰ عَلَى ٱللّٰهِ مِنْهُمْ شَىءٌ﴾ وعيدلهم في لقائهم للّٰه تعالىٰ، فإنّه يعلم ما فعله كلّ واحد منهم. فيجازي كلّاً بحسبه إن خيراً فخيرٌ. وإنْ شرّاً فشرّ، ولو بمالا يعلمون هم أنفسهم تفصيل ما فعلوه، ولكنّه لايخفى على اللّٰه منهم شيء. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفىٰ مِنْكُمْ خافِـيَةٌ﴾[٢] واللّٰه تعالى لايخفى عليه شيء منهم في جميع الأحـوال في‌الدنيا والآخرة ولكنّهم كانوا متوهمّين في‌الدنيا أنّهم مستترون بالحيطان والحجب المتنوعّة، وأنّ اللّٰه لايراهم، وتخفى عليه أعمالهم ﴿وَلٰـكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّٰـهَ لا يَـعْلَمُ كَثِـيراً مِمّا تَعْمَلُونَ﴾[٣] واللّٰه تعالىٰ يذكّر هذااليوم، وأنّه يوم لامجال لمثل هذا التوهّم.

﴿لِمَنِ المُلْكِ الْيَوْمَ لِلّٰهِ ٱلواحِدُ القَهّارُ﴾

استفهام تقريري من ناحيته سبحانه وتعالىٰ، يبيّن عظمة اليـوم وحـقيقته، يـوم ظهور اللّٰه على خلقه، وظهور ملكه وسيطرته على كلّ شـيء، يـومَ التـلاق، يـوم حضور الأوّلين والأخرى، وانكشاف تقطّع كلّ شيء دون عظمته بحيث لاملك إلّا ملكه، ولاسلطان ولاسطوة إلّا له.

---

١. الطارق: ٩.

٢. الحاقّة: ١٨.

٣. فصّلت: ٢٢.

﴿ٱلواحِدُ القَهّارُ﴾ واحدٌ قهر كلّ شيء، بملكه وتسلّطه عليه، ولاحول ولاقوّة إلّا به، فله الملك وحده وهو الواحد القهّار.

هذا خطاب لاستيقاظ الضمائر الصحيحة والأحاسيس المنصفة فيهٰذه النشأة، وفي يومنا هذا فيالدنيا خطاب لكلّ عاقل منصف متفكّر في عاقبته بعدالموت، ويومالقيامة ومثوله أمام محكمة العدل والمسألة عندالحساب والميزان، فلا نحتاج إلى فرض كونالخطاب منالله تعالىٰ في يومالقيامة عند هلاك كلّ من في السماوات، ومن فيالأرض فلايجيبه أحد فهو تعالىٰ يجيب نفسه، فيقول: ﴿لِلّٰهِ ٱلواحِدُ القَهّارُ﴾ حتى يستشكل بضعف هذا الوجه بأنّه نداء يحصل يوم التلاق والبروز، وجزاء كلّ نفسٍ بمٰا كسبت، والناس في ذلك الوقت أحياء شاهدين شاعرين كلّ حقيقةٍ، وبأنّ نداء المعدومين والهلكى لايترتّب عليه فائدة حتى يصدر من ساحة البارئ عزّ اسمه، حٰاشاه عناللغو والباطل، وصدور مالا فائدة فيه، فهذا النداء فيالحقيقة لسان حال جميع ما سوىاللّٰه تعالىٰ وتخصيصه بيومالقيامة يومالتلاق والبروز؛ لكون اليوم يوم الكشف والشهود والعيان، يوم بروز جميع الحقائق، وكشف كلّ ما هو مخفيّ ومستور بحيث لايبقى لأحد شكٌ وريب وشبهة وخفاءٌ وستر وحجابٌ.

و فيالتفاسير الروائيّة عن كتاب \التوحيد: قال حدّثنا محمّد بن بكران النقّاش رحمه الله بالكوفة، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد الهمداني قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال. عن أبيه، عن أبي الحسن عليّ بن موسىالرّضا عليه السلام في حديث تفسير حروف العجم، قال: «فالميم ملك اللّه يوم لامالك غيره، ويقول اللّه عزّوجلّ ﴿لِمَنِ المُلْكِ الْيَوْمَ﴾ ثمّ ينطلق أرواح أنبيائه ورسله وحججه، فيقولون للّٰه الواحد القهّار، فيقول جلّجلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ ٱليَوْمَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ ٱلحِسابِ﴾».

و في نهج‌البلاغه: «وإنّه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لاشيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها بلاوقت ولامكان ولاحين ولازمان. عدمت عند ذلك الآجال والأوقات. وزالت السّنون والسّاعات، فلا شيء إلّا اللّٰه الواحد القهّار الذي إليه مصير جميع الأمور، بلاقدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت علىالامتناع لدام بقاؤها».[١]

١. نهج‌البلاغة، الخطبة ١٨٦.

[يوم جزاء كلّ نفس بما كسبت ولاظلم في ذلك اليوم]

﴿اَلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اَلْيَوْمَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ اَلْحِسابِ﴾ ⑰

صفة أخرى ليوم التلاق والحشر والبروز، يوم جزاءِ كُلِّ نفس بما كسبت عقيب وعيد الآية السابقة ﴿لِمَنِ المُلْكِ الْيَوْمَ لِلّٰهِ اَلواحِدُ القَهّارُ﴾ ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ ولكن الظلم مأمون؛ لأَنّ اللّٰه ﴿لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ بل يُثاب كلّ عامل بعمله، فيوفّى أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخيرَ، وعامل الشرّ يجزى جزاءه، وهذا الجزآء خيراً أو شرّاً بما كسبت كلّ نفس، ﴿وَلاٰ ظُلْمَ اَلْيوْم﴾ نكرة في سياق النفي مفيدة للعموم، لابَخْسَ على أحد فيما استوجبه من أجر عمله فيالدنيا، فينقص منه إن كان محسناً، ولايُحمل على مسيىء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه، أو يضاعف على إثمه.

في مجمع البيان: في الحديث «إنّ اللّٰه تعالىٰ يقول: أنا الملك، أنا الديّان، لاينبغي لأحد من أهل الجنّة أن يدخل الجنّة، ولالأحدٍ من أهل النار وعنده مظلمة حتى أقصّه منه» ثمّ تلاهذه الآيَة ﴿لا ظُلْمَ اَليَوْم﴾ أي لاظلم لأحد على أحد، ولاينقص من ثواب أحد، ولايزاد في عقاب أحد ﴿إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ اَلْحِسابِ﴾ لايشغله محاسَبَة

واحد عن محاسبة غيره.[1]

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

ذو سرعة في محاسبة يومئذ على أعمالهم التي عملوها في‌الدنيا، لايشغله شيء عن شيء، ولامحاسبة واحد عن محاسبة غيره، ولايعزب عنْه مثقال ذرّة، بل العباد يحشرون بأعمالهم المضبوطة المكتوبة، بل الحاصلة بما كسبت أنفسهم، ولاحاجة إلى‌الحساب إلّا تعريف ذوي الأعمال وإعلامهم بأعمالهم وجزائها وعقابها.

و في‌الحديث: «إنّ اللّٰه تعالى يحاسب الخلائق كلّهم في‌مقدار لمح البصر». وفي البحار عن النهج: سئل‌عليه‌السلام، كيف يُحاسِبُ اللّٰه الخلقَ على كثرتهم؟ فقال: «كما يرزقهم على كثرتهم»، قيل: فكيف يحسابُهم ولايروَنه؟ قال: «كما يرزقهم ولايرونه».[2]

---

١. مجمع البيان، ج ٧ـ٨، ص ٥١٨ (طبعة صيدا).

٢. بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢٧١، ح ٣٧.

[في بيان يوم الآزفة ومصائبه الهائلة]

﴿١٨﴾﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمِينَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾

آية واحدة عندالكوفيّن، واثنتان عند غيرهم، عدّوا «كاظمين» راس آيَة.

قد ذكرنا فيالآية السابقة أنّها تشير على مصائب يوم التلاق، ومتاعب يوم تقطّع الأسباب، وأعقب ذلك بذكر أوصاف هائِلة تعطّلت منها المسامع، وتشيب من هولها الولدان لهذا اليوم المشيب ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ وخوّفهم ﴿يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ القيامة، والآزفة: الدانية والقريبة، والأُزوف القرب. أزف الأمرُ إذادنا وقته، ويقٰال: أزف الشّخوص إذاقرب وضاق وقته. ففي الأصل اسم فاعل نقلت منه، وجعلت اسماً للقيامة، لقربها بالإضافة إلى ما مضى من مدّة الدنيا، أو لما بقي وهو آت، وكلّ آتٍ قريب.

و يجوز كونها باقية علىالأصل الوصفي صفة للمحذوف، أي الساعة الآزفة، وقدّر بعض أهل التفسير والأدب الموصوفة الخطّة الأزفة بضمّ الخاء المعجمة وتشديد الطّاء المهملة وهي القصّة والدّاهية العظيمة التي تستحقّ أن تخطّ و تكتب لغرابتها، وهي مشارفتهم النّار ودخولهم فيها.

و قيل: يوم الأزفة يومالمنيّة وحضور الأجل، وربّما رجحّ هذا المعنى بأنّه أبعد

من التكرار وأنسب بما بعده، ووصف القرب أظهر. ولايخفى أنّ الآزفة لمّا كانت مؤنّثاً فلابدّ من أن تكون صفة للموصوفة المؤنّث.

و قال القفّال: أسماء القيامة تجري على التانيث كالطامّة والحاقّة ونحوها، كأنّها يرجع معناها إلى الداهية. والمراد من الأسماء المشتقّة الدالّة على الوصف. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ بدل من يوم الآزفة، والقلوب مبتدأ ولَدَى الحناجر خبره، وكاظمين حال من أصحاب القلوب.

القلوبُ جمع القلب وهو العضو المعلوم في البدن، والحناجر جمع حنجرة أو حُنجور كلحلقوم لفظاً ومعنىً، وقال الراغب: هي رأس الغلصمة من خارج، وهي لحمة بين الرأس والعنق. والكلام كناية عن شّدة الخوف، أو فرط التألّم، بل يجوز كونها حقيقة وتكويناً ببلوغ قلوب الكفّار من مخافة عقاب اللّٰه حناجرهم يوم القيامة شخصت من صدورهم، فتعلّقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردّها إلى مواضعها من صدورهم فلا تعود فيتروّحوا، ولاتخرج من أبدانهم وحلوقهم فيموتوا و يستريحوا.

في روضة الكافي كلام لعلّي بن الحسين عليه السلام يقول فيه:

و اعلم يا ابن آدم إنّ وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة. وذلك ﴿يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾.

«كاظِمينَ» منصوبٌ على الحاليّة، حال من أصحاب القلوب على المعنى، فإنّ الكاظمين هم أصحاب القلوب لا في القلوب، وذكرها يدلّ على ذكر أصحابها، ولهذا جيء بكاظمين جمع سلامة، لاكاظمة حتى تكون حالاً عن نفس القلوب، والمعنى كأنّه قيل: إذ قلوبهم لدى الحناجر كاظمين عليها مِن كَظَمَ القِربة: إذا ملأها وسدّ فاها، فكما أنّ كاظم القربة كاظم على المآء ممسكها عليه، لئلّا يخرج امتلاءً كذاهُم مغمومون مكروبون ممتلؤن عمّا قد أطبقوا أفواههم على قلوبهم ممسكون أنفسهم على قلوبهم؛ لئلّا يخرج مع النفس، وهذه مبالغة عظيمة.

ويمكن أن يكون كاظمين حالاً من القلوب باعتبار إسناد ما يسند إلى العقلاء إليها فجمعت جمع نحو ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾ وقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾ والمعنى أنّ القلوب كاظمة على غمّ وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، والكظم شدّة الاغتمام، والكاظم المتحمّل السّاكت حال امتلائه غمّاً وغيظاً.

﴿ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾

الحميم: القريب المشفق من احتمّ فلانٌ لفلانٍ احتدّ، فكأنّه يحتدّ حماية لقريبه إشفاقاً له. وخاصّة الرجل حامّته. فلذا فسرّ الحميم بالصديق. والمقصود أنّه ما للظالمين أنفسهم بالشرك، والكافرين باللّه يومئذ من حميم يحمّ لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب اللّه.

﴿وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾ أي يشفّع ويطاع شفاعته من اللّه جلّ جلاله، فالجمله في محلّ جرٍّ معطوفاً، وظهور الكلام نفي الصفة والموصوف وانضمام ﴿ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ النكرة الواقعة في سياق النفي إلى قوله تعالى: ﴿وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾ لاقامة انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة. إزالة لتوهّم وجود الموصوف حيث جعل انتفاءه أمراً مسلّماً قطعيّاً. والشاهد ينبغي أن يكون أوضح من المشهود. ونفيُ الموصوف أحكم من نفى الصفة.

و في تفسير كنز الدقائق:

و في كتاب التوحيد: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال حدّثنا علّي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمّد بن أبى عمير، عن موسى بن جعفر عليه السلام: «يا أبا أحمد، ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلّا ساءه ذلك وندم عليه». وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «كفى بالندم توبةً» وقال عليه السلام: «من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن، فأمّا من لم يندم على ذنبٍ يرتكبه، فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً، واللّه تعالىٰ يقول: ﴿ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾».

[إنّ اللّه تعالى يعلم النظرة الخائنة]

﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ ٱلأَعْيُنِ وَما تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ ⁽¹⁹⁾

الخائنة ـ مصدر مثل الخيانة ـ كالكاذبة، واللاغية بمعنى الكذب واللـغو وهـي مسارقة النظر إلى مالايحلّ النظر إليه، والمعنى يعلم خيانة الأعين إلى غير ما يجوز النظر إليه على وجه الحرمة والسرقة. ويمكن أن يكون الخائنة وصـفاً لمـوصوف مقدرّ، أى النظرة الخائنة، وقيل: هو وصف مضافٌ الى موصوفه، أي الأعين الخائنة، كما في قوله: وإن سبقت كرامَ الناس فاسقينا، أي الناس الكرام، ولايناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَما تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾؛ لأنّ الملائمة واجبة الرعاية في علم البيان، ومـلائم الأعين الخائنة الصدور المخفيّة. مضافاً إلى أنّه يستلزم كون يـعلم بـمعنى يـعرف ولاضرورة.

﴿وَما تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ أي تضمره، لايخفى عليه شيء من مـضمرات القـلوب، فاللّه سبحانه عالم﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَلا فِى ٱلأَرْضِ﴾[1]
فهو أعلم بأفعال الجوارح والقلوب كلّها وإن أخفاها خائنة الأعين وأضـمرها

---

١. سبأ: ٣

الصدور، والذي يعلم نظارة الأعين خيانة أو أمانة، وما تخفيه الصدور شرّاً أو خيراً فهو سريع الحساب، ولايحتاج إلى رويّة وفكر وتروّ، ولالشيء ممّا يحتاجه المحاسبون، فالآية مناسبة بما تقدّم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وَاللّه الحاكم الذي يقضي بالحقّ، والمحاسب الذي لايعزب عنه شيء في العلم والحساب. إلى هذا الحدّ ينبغي أن يعتقد العبد بأنّ اللّه يراه، وأن يكون خوف المذنب منه شديداً جدّاً.

وفي تفسيري نورالثقلين وكنزالدقائق: في كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى عبدالرحمن بن سلمة الحريري، قال: سألت أباعبداللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ فقال: «ألم‌تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنّه لاينظر، فذلك خائنة الأعين».

و في مجمع البيان:

«و في الخبر أنّ النظرة الأولى لك والثانية عليك»، فعلى هٰذا تكون الثانية محرّمة، فهي المراد بخائنة الأعين.

و فيه: قال عليه السلام لأصحابه يوم فتح مكّة وقد جاء عثمانُ بعبداللّه بن سعدبن أبي سرح يستأمنه منه، وكان صلى الله عليه وآله قبل ذلك أهدرد مه وأمر بقتله، فلمّا رأى عثمان من ردّه وسكت طويلاً ليقتله بعض المؤمنين، ثمّ آمنه بعد تردّد المسألة من عثمان: «أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا ليقتله»؟ فقال له عبّادبن بشير: يا رسول‌اللّه، إنّ عيني مازالت في عينك انتظاراً أن تومئ إليّ فأقتله.

فقال عليه السلام: «إنّ الأنبياء لايكون لهم خائنة أعين».[1]

و في تفسير الدرّالمنثور:

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٣٧٥.

أخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال: لمّا كان يوم فتح مكّة، آمن رسول اللّه ﷺ الناس إلّا أربعة نفرٍ وامرأتين، وقال: «اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة» منهم: عبداللّه بن سعد بن أبى سرح، فاختبأ عند عثمان بن عفّان، فلمّا دعا رسول اللّه ﷺ الناس إلى البيعة جاء به، فقال: يا رسول اللّه، بايع عبداللّه، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كلّ ذلك يأبى يبايعه ثمّ بايعه، ثمّ أقبل على أصحابه، فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رشيد يقوم إلى هٰذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله»، فقالوا: ما يدرينا يا رسول اللّه مافي نفسك، هلّا أومأت إلينا بعينك، قال: «إنّه لاينبغي لنبيٍّ أن يكون له خائنة الأعين.»[1]

وفي نهج البلاغة: «قسّم أرزاقهم، وأحصى آثارهم، وأعمالهم، وعدد أنفاسهم وخائنة أعينهم، وما تخفي صدورهم من الضمير».[2]

وفي تفسير اثني عشري عن كتاب المحاسن: «مااعْتصم أحد بمثل مااعْتصم بغضّ البصر، فإنّ البصر لايُغَضّ عن محارم اللّه إلّا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العصمة والجلال».[3]

---

١. الدّر المنثور، ج ٥، ص ٣٤٩.

٢. نهج البلاغه، الخطبة ٩٠.

٣. الاثنا عشري، ج ١١، ص ٢٩٤.

[إنّ اللّه تعالى يفصّل بين الخلائق بالحقّ]

﴿وَاللَّهُ يَقْضِى بِالحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَىءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ۝٢٠

﴿وَاللَّهُ يَقْضِى بِالحَقِّ﴾ تقديم المسند إليه للتقوي والعدولُ عَنِ المضمر إلى المظهر، والإتيان بلفظ الجلالة لإرادة الذات المستجمعة لتلك الصفات.

و يمكن أن يكون تقديم المسند للتقوّي والحصر معاً. فاللازم الضّروريّ فيالألوهيّة قضاء اللّه في عباده وبينهم، وهو سبحانه يقضي بين الخلق وفيهم يوم القيامة، وكلّ مدعوّ من دونه لايقضي بشيء؛ لأنّه مملوك لايملك شيئاً. فاللّه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يقضي ويفصّل بين الخلائق بالحقّ لابالباطل، فيوصل كلّ ذي حقّ إلى حقّه، منزّه عن الجهل والعجز، ومستغن عن الظلم.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَىءٍ﴾.

كلّ مدعوّ من دون اللّه لايقضي بشيء، فالأوثان والآلهة التي يعبدها هٰؤلآء المشركون لايقضون بشيء؛ لأنّها لاتعلم شيئاً ولاتقدر على شيء فهو تَهَكُّمٌ بآلهتهم الّتي لاتملك شيئاً. فادعوا واعبدوا الذي يملك كلّ شيء، ويقدر على كلّ شيء، ولايخفى عليه من أعمالكم وهو يعلم خائنة الأعين، وما تخفيالصدور فيجزئ

محسنكم بالإحسان والمسيىء بالإساءة لامالا يقدر على شـيء، ولايـعلم شـيئاً، فيعرف المحسن من المسيىء، فيثبت المحسنَ، ويعاقب المسيىء.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُـوَ السَّمِـيعُ ٱلبَصِـيرُ﴾ سميع لما تنطق به ألسنتكم، بصير بما تفعلون، محيط بكلّ ذلك لذاته، محصيه عليكم لِيُجازى جزاءه يومالجزاء.

[في سنّة اللّه تعالى بأخذ المذنبين بذنوبهم]

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَماكانَ لَهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ مِنْ واقٍ﴾ (٢١)

ترغيب وتحريض على النظر إلى مآل حال الأمم السابقة المكذّبين للرّسل والأنبياء، والعاقل مناعتبر بغيره، فإنّ الماضين منالكفّار كانوا أشدّ قوّةً من هٰولآء الحاضرين منالكفّار. فالآيات موعظة لهم بالرجوع إلى آثار الغابرين وقصصهم للنظر والاعتبار؛ لأنّ في قصصهم عبرة لأولى الألباب، فلهم أن ينظروا إلى الأحوال الغابرة ويعتبروا بها، ويعلموا أنّ اللّه سُبحانه لاتعجزه قوّة الأقوياء، واستكبار المستكبرين، ومكر الماكرين.

وقال أميرالمؤمنين (عليه الصّلاة والسّلام): «إنّ لكم فيالقرون السالفة لعبرةً. أين العمالقة وأبنآء العمالقة؟! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ وأين أصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيّين، وأطفئوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين، وأين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف، وعسكروا العساكر، ومدّنوا المدآئن؟».[1]

---

١. نهج‌البلاغة، الخطبة ١٨٠.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ﴾ استفهام إنكاري، أي فليسيروا هؤلاء الذين أرسلناك إليهم، ولينظروا نظر تَفكّر واعتبار كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من الأمم الماضية كانوا هم أشدّ منهم قوّة وآثاراً فيالأرض.

الإتيان بالضمير المنفصل تأكيد للضمير المتصّل قبله. وجوّز كونه ضمير فصلٍ. وقالوا بلزوم وقوع ضمير الفصل بين المعرفتين. وأجابوا بأنّ أفعل التفصيل الواقع بعده من الداخلة على المفضّل عليه مشابهة للمعرفة لفظاً في عدم دخول «أل» عليه و معنىً؛ لأنّ المراد به الأفضل أفضليّة معيّنة، مع أنّ الجرجاني أجاز وقوع المضارع بعد هذا الضمير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ﴾ والفعل في حكم النكرة فلايلزم وقوع الضميربين المعرفتين.

قوله تعالى: ﴿وكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِى الأَرْضِ﴾ أي قدرةً وتمكّناً وسلطة وآثاراً عطف على «قوّة» أي وأشدُّ آثاراً فيالأرض كالمدآئن الحصينة، والحصون المنيعة، والقصوُر العالية المشيدّة، وعددهم، وعُدّتهم، وشوكتهم، وعزّتهم فيسيرهم و ذهابهم وإيابهم فيأرجاء هذه الأرض البسيطة للشوكة والعظمة والسلطنة، وطلب الدنيا، وهم أشدّ من هؤلآء بطشاً، وأبقى فيالأرض آثاراً. وقال مولانا أميرالمؤمنين (عليه الصلاة والسّلام): «اعتبروا بما قدرأيتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت أوصالهم، وزالت أبصارهم وأسماعهم، وذهب شر فهم وعزّهم، وانقطع سرورهم ونعيمهم».[١]

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾

أهلكهم الله بسبب ذنوبهم وآثامهم بضروب الهلاك معجّلاً فيالدنيا، فلم تنفعهم شدّة قواهم وبطشهم، فأبادهم الله جميعاً، وصارت مساكنهم وبلادهم خاويةً منهم بما ظلموا.

---

١. المصدر، الخطبة ١٥٩.

﴿وَما كانَ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ واقٍ﴾.

أي دافع يدفع عنهم عذابه، ويمنع من نزوله بهم. والواقياسم فاعل من الوقاية بمعنى حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضّره. وقال مولانا أميرالمؤمنين (عليه الصّلاة والسّلام): «اعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس اللّه، وصولاته، و وقائعه، ومثلاته».[1]

---

١. ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٣٦، رقم ١١٤٦٥.

[إنّ اللّه تعالى يعذّب الكافرين بعد تكذيبهم لأنبيائه]

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللّٰهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ﴾ (٢٢)

تعليل لأخذهم وإهلاكم من اللّٰه تعالىٰ بأنّه بسبب كفرهم بالرّسل والآيات البيّنات، والمعجزات الباهرات، والدلالات الظاهرات، وهم قد كفروا وأنكروا الرّسالات، وجحدوا توحيد اللّه، وأبوا أنْ يطيعوا اللّه فأخذهم اللّٰه ﴿إِنَّهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾ فأخذهم وأهلكهم اللّه عقوبةً على كفرهم. إنّه قويّ متمكّن ممّا يريده عزّوجلّ غايةَ التمكّن، ذو قوّة لايقهره شيء، ولايغلبه ولا يعجزه شيء أراده.

﴿شَدِيدُ العِقابِ﴾ لايعتدّ بعقاب عند عقابه سبحانه، وهذه مبالغة فيالتحذير والتخويف.

[ارسال موسى بالآيات والمعجزات المبين]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢٣﴾

فيالآية تسلية لرسولنا الأعظمﷺ حيث سلّى الله الرسول عمّا كان يلقي من مشركي قومه من قريش بذكر الكفّار الذين كذّبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم والتفكّر في أنظارهم فيالآيات السابقة. وسلّاه أيضاً في هذه الآيات بذكر موسىعليه السلام وأنّه مع قوّة معجزاته بعثه إلى فرعون وهامان وقارون، فكابروه وكذّبوه و قالوا: ساحر كذّاب، بل همّوا بقتل موسى، وقال فرعون: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مَوسىٰ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ﴾ اللام وقد للتحقيق إشارة إلى أنّ إرسال موسىعليه السلام كان مقروناً بالآيات والحجج والدلالات التشريعيّة والتكوينيّة كقلب العصا حيّةً، وفَلْقِ البحر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ﴾ بعثناه بٰآياتِنٰا من الحجج والدلاٰلاٰت، ولعلّها الآيات التسع التي كررّت الإشارة إليها فيالقرآن الكريم ﴿فِى تِسْعِ آياتٍ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾.[1]

﴿وَسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ بقدرة ظاهرة وسلطة باهرة كالمعجزات التكوينيّة الصّادرة منهعليه السلام، فالعطف إمّا لتغاير الوصفين، أو لإفراد بعض المعجزات، كالعصا تفخيماً لشأنه.

---

١. النمل: ١٢.

[في قول فرعون وهامان وقارون لموسى]

﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰامٰانَ وَقارُونَ فَقالُوا سٰاحِرٌ كَذّٰابٌ﴾ ﴿٢٤﴾

أرسل موسىعليه السلام إلى كافّة قومه إلّا أنّه خصّ فرعون؛ لأنّه كان رئيس القبط ومليكهم وهارون وزيره ومنشأ ضلاله وفتنته، وقارون صاحب الخزائن المليئة الثّريّ المتكبّر من طغاة بنيإسرائيل، والمارقين من دعوة موسىعليه السلام، فالثلاثة أصول ينتهي إليهم كلّ فساد وفتنة فيالطائفتين، القبط وبنيإسرائيل، فقالوا: ﴿سٰاحِرٌ﴾ حمّوه و مقلّب للواقع بسحر العصا، فيرى الناظر أنّهاحيّةً تسعى، وكذّاب فيادّعائه الرسالة والكذب على اللّه، والكذّاب الذّي عادته الكذب مرّةً بعد أخرى، ولم يقولوا: سحّار؛ لأنّهم كانوا يزعمون أنّه ساحر مثل سحرتهم، بل سحرتهم أسحر منه، كما قالوا: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ﴾ وسحرة فرعونَ كانوا محترّفين فيالسحر، مشتغلين به، وفيهذا كما أشرنا فيأوّل الآية تسلية لرسول اللّهصلى الله عليه وآله، وبيان لعاقبة من هو أشدّ الذين كانوا من قبلهم بطشاً وأقربهم زماناً.

[حكم فرعون لقتل أولاد المؤمنين واستحياء نسائهم]

﴿٢٥﴾﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَما كَيْدُ الكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ﴾

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنا﴾ فلمّا جاء هؤلاء الذين أرسله اللّه إليهم بالحقّ من عندنا وذلك مجيئه إيّاهم بتوحيد اللّه، والعمل بطاعته مع إقامة الحجّة عليهم بالدلالات والحجج بأنّ اللّه ابتعثه إليهم بالدعوةِ إلى ذلك.

و هذه إحالة فطرة كلّ إنسان منصف سليم ليروا مقايسة بين مجيء موسى عليه السلام بالحقّ من عنداللّه، وبالدعوة الإلهيّة التي لايأتيها الباطل من بين يديها ولامن خلفها، وبين ما قابلوه من كيدهم وحتّى همّهم بقتل موسى، وكان الواجب عليهم قبول دعوته، وعدم ردّه؛ لأنّه كان حقّاً وجائياً من عنداللّه.

﴿وَلٰكِنَّهُمْ قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ﴾

قالوا غيظاً وحنقاً وعجزاً عن معارَضة موسى، وأمروا بقتل الذّكور من قوم موسى لئلّا يكثر قومه ولايتقوّىٰ بهم، سواء كان الأبناء من بنيإسرائيل أو من غيرهم، وفيتعبير «مَعَ» في قوله تعالىٰ: ﴿آمَنُوا مَعَهُ﴾ دون «آمنوا به» إشارة إلى مظاهرة المؤمنين لموسى عليه السلام، والسياق مشعر بأنّ قارون منالقائلين لهذا القول، ومن

المنحرفين عن موسى عليه السلام مع أنّه كان من بني إسرائيل، ووافق فرعون وهامان وملأهم؛ لعداوته وبغضه لموسى والمؤمنين من قومِه.

﴿وَٱسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ﴾ إمّا من الحياة، أي استبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق، حيث إنّ استحياء النساء واقع في قبال قتل أبناء المؤمنين بموسى الظاهرين له، فلابدّ من أن يكون الإبقاء على حياتهم لأجل الاستخدام والاسترقاق. أو من الحياء والعفّة، فالمعنى طلب السلب، أي يطلبون الحياء والعفّة أخذوا لهنّ للمتعة الجنسيّة، وهذا أقصى إهانة وتذليل لبني إسرائيل، ومن آمن به عليه السلام.

و في المجمع: وهذا القتل غير القتل الأوّل؛ لأنّه أمر بالقتل الأوّل لئلّا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثمّ ترك ذلك، فلمّا ظهر موسى عاد إلى تلك العادة، فمنعهم اللّه عنه بإرسال الدّم، وَ الضفادع، والطوفان، والجراد كما مضىٰ ذكر ذلك ثمّ أخبر سُبحانه بأنّ ما فعله من قتل الرجال، واستحياء النساء لم ينفعه بقوله:

﴿وَما كَيْدُ ٱلكافِرِينَ إِلّا فِى ضَلالٍ﴾ في ضياع وذهاب باطلاً لم يجد عليهم، باشروا قتلهم أوّلاً، فما أغنى عنهم، ونفذ قضآءاللّهِ بإظهار من خافوا ظهوره، فما يغني عنهم هذا القتل الثاني، وكان فرعون قد كفّ عن قتل الولدان، فلمّا بعث موسى و أحسّ بأنّه قد وقع أعاده عليهم غيظاً وحنقاً وظنّاً منه أنّه يَصدّهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أنّ كيده ضائع في الكرّتين جميعاً، وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان باللّه إلّا في جور عن سبيل الحقّ، وصدّ عن قصد الحجّة، وأخذ على غير هدى، ووضع الظاهر موضع المضمر، وما قال: كيدهم للدّلالة على العلّة تعميماً للحكم.

[في مخادعة فرعون بادّعه أنّ موسى يبدّل دينكم]

۝٣٦﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مَوسىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّى أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الفَسادَ﴾

وقال فرعون لملائه وقومه: «ذروني» واتركوني أقتل موسى ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ الذي يزعم أنّه أرسله إلينا فيمنعه منّا.

دلالة فيالآية أنّ فرعون همّ بقتل موسىٰ‌عليه السلام، وأشار خاصّة قومِه بأن لايـقتله؛ لأنّه في نظرهم أقلّ من ذلك أهميّةً وأضعف شأناً، ولايرونه إلّا مثل بعض السحرة، ومثله لايصاوله إلّا ساحراً مثله.

و قتله يدخل الشبهة على الناس بعجز القوم عـن مـعارضته، ومـقابلة حـجّته بالحجّة، و لكنّهم في بواطن نفوسهم كانوا خائفين من رسـالة مـوسى وربّـه إمّـا مصدّقين له أو محتملين لصدقه، ولذا أشار خاصّةُ قومِه: بأن لا يقتل موسى خوفاً من أن يدعو ربّه فيهلك، فلذلك قال فرعون: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ كما تقولون: وليستعن به في دفع القتل عنه، فإنّه لايجيءُ من دعائه بشيء، قال هذا تجبّراً وعتوّاً وجرأة على اللّٰه، وكان ما في نفسه منالخوف وهول الفزع أكثر وأكثر ممّا في نفوس قومه.

﴿إِنِّى أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الفَسادَ﴾ إنّي أخاف أن يبدّل

دينكم إن لم أقتله؛ لتوجّه الناس بحسب فطهرتم إلى التوحيد والحقّ، واتّباعهم لموسى عليه السلام، فخاف فرعون أن يزول اعتقاد قومه بإلٰهيّته وعبادته وعبادة الأصنام.

﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسادَ﴾ ولو لم يبدّل دينكم لوفآئكم واتّباعكم لي ولكنّه مع مؤمنيه يُظهر فيأرضكم مصرالفسادَ والتفرقةَ والاختلاف والتفاتن والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطّل المزارع والمكاسب والمعايش، ويهلك الناس قتلاً وضياعاً.

قرأ الكوفيّون: عاصم وحمزة والكساني ويعقوب ﴿أَوْ أَنْ﴾ بالفٍ قبل الواو بترديد الخوف بين أمرين: تبديل الدين، أو ظهور الفساد، وقرأباقي السبعة: «وَ أَنْ» بانتصاب الخوف عليهما معاً. وقرأ أنسُ بن مالك، وابن المسيّب، ومجاهد، وقتادة وأبورجاء، والحسن، والجحدري، ونافع، وأبوعمروٍ، وَ حفص ﴿يُظْهِرَ﴾ من أظهر مبنيّاً للفاعل والفسادَ نصباً. وقرأ باقي السبعة، والأعرج، والأعمش، وابن وثّاب، عيسى، «يَظْهَر» من ظهر مبنيّاً للفاعل والفساد نصباً. وقرأ مجاهد «يظهَّرُ» بشدّ الظاء والهاء الفساد رفعاً. وقرأ زيد بن علّي «يُظْهَر» بضمّ الياء وفتح الهاء مبنيّاً للمفعول الفساد رفعاً.

و نقول: إنّ ظهور قرآءة المصاحف الموجودة ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ في لزوم أحد الأمرين بنحو منع الخلوّ عنهما، وعدم المانع من الجمع بينهما. أو أن يكون «أَوْ» مستعملة بمعنى الواوِ كما في قوله تعالىٰ ﴿وَأَرْسَلْناهُ إِلىٰ مائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي وَ يزيدون أو بل يزيدون، و«يُظْهِر» بضمّ الياء أشبه بما قبله وأنسب بالمقام؛ لأنّ قبله «يُبَدِّلَ» أسند الفعل إلى موسىٰ عليه السلام.

و في تفسير البرهان: عن ابن بابويه، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، قال، حدّثنا محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن علّي بن أسباط، عن إسماعيل بن منصور أو زياد، عن رجل، عن

أبي‌عبداللّه‌ عليه السلام في قولِ فرعونَ: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مَوسىٰ﴾ من كان يمنعه؟ قال منعَتْه رشدته، ولايقتل الأنبياء ولاأولاد الأنبياء إلّا أولاد الزنى».

أبوالقاسم جعفر بن محمّد بن قولويه في كامل الزيارات: عن محمّد بن جعفر القرشي الرزّاز، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن علّي بن أسباط، عن إسماعيل بن زياد، عن يقعوب خالد، عن أبي‌عبداللّه‌ عليه السلام في قول فرعون: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مَوسىٰ﴾ فقيل: من كانَ يمنعه؟ قال: «كان لرشده؛ لأنّ الأنبياء والحجج لايقتلها إلّا أولاد البغايا».

العياشي: عن يونس بن ظبيان، قال: قال: «إنّ موسى وهرون حين دخلا على فرعون لم يكن في‌جلسآئه يومئذ ولد سِفاحٍ، كانوا ولد نكاح كلّهم، ولو كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلها، فقالوا: ارجه وأخاه، وأمروه بالتأنّي والنظر» ثمّ وضع يده على صدره.

قال: «وكذلك نحن لاينزع إلينا إلّا كلّ خبيث الولادة».

[استعاذ موسى بربّه من كلّ متكبّر]

﴿وَقالَ مُوسىٰ إِنِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُـؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلحِسابِ﴾ ٢٧

لمّا سمع مُوسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قابله وملئَهُ بقوله تعالى: ﴿وَقالَ مُوسىٰ إِنِّى﴾ صدرالكلام للتأكيد والإشعار بأنّ السبب المؤكّد فيدفع الشـرّ هوالعياذ باللّٰه، والعياذ الاعتصام بالشيء من عارض الشرّ، عذت باللّٰه من الشيطان، واعتصمت منه بمعنى واحد. «عُذْتُ» استجرتُ واعتصمتُ أيّها القوم بربّي وربّكم الذي خلقني وخلقكم من شرّ كلّ متكبّر على اللّٰه. تكـبّر عـن تـوحيده والإقـرار بألوهيّته، وتجبّر عن طاعته، والإنقياد له لايؤمن ولايصدّق بيوم الحساب والمجازاة، يحاسب اللّٰه فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيىء بـما أسـاء، وقـوله: ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ فيه حضّ وبعث لهم علىالاقتداء به فيالعياذة باللّه، والاعتصام بالتوكّل عليه، والإتيان بخصوص لفظ الربّ؛ لأنّ المطلوب هو التربية والحـفظ والرعـاية، فكأنّ الاستعاذة باللّه تعالى الذي هو ربّ كلّ شيء وصائنه هوالموجب للصون عن كلّ الآفات والمخافات، عناية للّٰه للعائذ المستعيذ به، والجمع بين ربّي وربّكم مقابلة أيضاً لقول فرعون، ﴿فَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ حيث خصّ ربوبيّته تـعالى بـموسى، فأشـار عليه السلام

يقوله: ﴿عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم﴾ إلى أنّه تعالى ربّهم كما هو ربّه، نافذ حكمه فيهم، كما هو نافذ فيه، فله أن يقَي عائذه من شرّهم وقدوقىٰ.

و إنّما خصّ موسى عليه السلام الاستعاذة باللّه ممّن لايؤمن بيوم الحساب؛ لأنّ من لم‌يؤمن بيوم الحساب مصدّقاً لم يكن للثواب على الإحسان راجياً، ولاللعقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من‌الأفعالِ خائفاً. ولذلك كان استجارته من هذا الصّنف من‌الناس خاصّة.

فظهر لطف تعبير موسى ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُـؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلحِسابِ﴾ أنّ الموجب للإقدام على إيذاء الناس وقتل الأبرياء منهم أمران، تكبّر الإنسان وقساوة قلبه، وإنكاره للبعث ومحاسبة يوم‌الحساب. فالمتكبّر القاسي ربّما يحملهُ طبعه على إيذاء الناس، إلّا أنّه إذا كان مقرّاً بيوم‌الحساب فهٰذا الإقرار يوجب خوفه من‌الحساب، ومنعه من الجري على دعا إليه تكبّره، وإذالم يحصل عنده الإيمان بالبعث والقيامة فالطبيعة داعيّة على الايذاء، والمانع وهو الخوف من الحساب والسوال زائل، فلاجرم تحصل القسوة والإيذاء وارتكاب المآثم، وسفك الدّماء.

[مؤمن آل فرعون يمنع عن قتل موسى]

﴿وَقالَ رَجُلٌ مُـؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَـكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَـكُ صادِقاً يُصِـبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللّٰهَ لايَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾ (٢٨)

مفتتح قصّة المؤمن الذي سمّي السّورة المباركة بعنوانه دلالة على علوّ شأنه وارتفاع كعبه.

﴿وَقالَ رَجُلٌ مُـؤْمِنٌ﴾ واختلفوا فيه، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون وقد آمن بموسى وسرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه. وقال بعضهم: هو ابن عمّ فرعون، أو ابن خالته، وفي الحديث: «إنّه ابن خاله». ويقال: هو الذي نجامع موسى وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعٰى. وقيل: إنّه كان وليّ عهده، وصاحب شرطته، وكان اسمه حبيب. وقيل: حزبيل، أو خربيل، أو خرقيل أو سمعان. وقال بعض: إنّه من القبط. وقال بعض: إنّه غريبٌ لامن بنيإسرائيل ولامن القبط. وقال آخرون: كان الرجل لا من إسرائيل ولامن القبط. وقال آخرون: كان الرجل إسرائيليّاً يكتم إيمانه. والأوّل أولى؛ لأنّ لفظ الأوّل يقع على قرابة الرجل وعشيرته، ولأنّ الرجل يكرّر نداء فرعون وقومه بلفظة «يا قومى»؛ ولأنّ إصغاء فرعون كلامه

واستماعه قوله وتوقّفه عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، وقوله: ﴿ما أُرِيكُمْ إِلّا ما أَرىٰ وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ شواهد على كون الرجل من آل فرعون، ولو كان الرجل إسرائيليّاً لما كان فرعون يستنصحه ويستنصح غيره من بني‌إسرائيل؛ لاعتداد، إيّاهم أعداءاً له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً. ولكنّه لمّا كان من ملأ قومه استمع قوله، وكفّ عمّاهمّ به موسىٰ. فعلى هذا ينبغى الوقفُ على قوله تعالى: ﴿يَكْتُمُ إِيمانَهُ﴾ اذا أراد القارئ الوقف. ولو كان الرجل إسرائيليّاً يكتم إيمانه عن آل فرعون، فليزم الوقف عند قوله: ﴿مُؤْمِنٌ﴾ ويكون قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلّقاً بقوله: ﴿يَكْتُمُ﴾ أى يكتم إيمانه من آل فرعون.

والأوّل أظهر وأوفق في أقوال المفسّرين وقواعدهم ﴿يَكْتُمُ إِيمانَهُ﴾ في صدره على وجه التقيّة.

و في المجمع: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«التقية من ديني ودين أبائي، ولادين لمن لاتقيّة له»، والتقيّة ترس اللّه في‌الأرض؛ لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل. قال ابن عبّاس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي أنذر موسىٰ، فقال: ﴿إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾.

و في تفسير الفخر عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله إنّه قال: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجّار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ﴾، والثالث: عليّ بن أبي‌طالب وهو أفضلهم».

و في تفسير روح البيان للحقّي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله «سبّاق الأمم ثلاثة، لم يكفروا باللّه طرفةَ عينٍ. حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار صاحب يس، وعليّ‌بن أبي‌طالب (كرّم اللّه وجهه) وهو عليه السلام أفضلهم». كما في إنسان العيون نقلاً عن العرآئس.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ﴾ أتقتلون أيّها القوم موسى ﴿أَنْ يَقُولَ﴾ منصوب بنزع الخافض، أي لأن يقول ربّي اللّه وحده لاشريك له، والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة، مثل: صَديقي زيد لاغير. والاستفهام استفهام إنكار واستنكار أن يُقتل الرجل من أجل الإيمان ﴿أَنْ يَقُولَ﴾ إنكار عظيم وتبكيت شديد، كأنّه قال: أترتكبون الفعلة الشّنعاء التي هي قتل نفس محترمة، وما لكم علّة قطّ في ارتكابها إلّا كلمة الحقّ الّتي نطق بها وهي قوله: ﴿رَبِّىَ اللَّهُ﴾ وقد أحضرلكم بيّنات عدّة واضحات من عند من نسب إليه الرّبوبيّة، وهو ربّكم لاربّه وحده، وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به، ولِيَلينَ جماحهم بذلك، ويكسر من سَوْرتِهم.

﴿وَقَدْ جاءَكُمْ بِالبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾.

﴿وَقَدْ جاءَكُمْ﴾ فيمحلّ النصب علىالحاليّة ﴿بِالبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ منالآيات الواضحات التي يدركها حَواسُّكم الظاهرة، وتدلّ على صدقه كاليد والعصا، وهي من ربّكم لامن المختراعات المبتدعات من قبله.

ثمّ يعطف الكلام على وجه التلطّف والاستدراج البديعي لاالشكّ كقوله تعالى: ﴿وَإِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أَوْ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ فيقول: ﴿وَإِنْ يَكُ﴾ موسى كاذباً في قيله: إنّ اللّه أرسله إليكم يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنّما إثم كذبه، ووباله عليه دونكم.

﴿وَإِنْ يَكُ صادِقاً﴾ في قيله ذلك، ﴿يُصِبْكُمْ﴾ بعض الذي وعدكم من العقوبة على ما أنتم عليه من الضلال والشرك وعبادة الأصنام فلاحاجة إلى قتله، فتزيدوا ربّكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطاً، والسرّ في إصابة بعض ما يعدهم من باب المداراة والإنصاف والمناصحة، فهذا أقرب في تسلّيمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له، وقبولهم منه، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا الباب أيضاً.

و لعلّ السرّ في إصابة بعض ما أوعدهم لعدم مجال في الدنيا لإصابة جميع ما أوعدهم، وهذه مجاملة معهم أيضاً في الدنيا دون الآخرة.

﴿إِنَّ اللّٰهَ لايَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾ إنّ اللّٰه لايهدي ولايوفّق للحقّ من هو مسرف ومتعدٍّ إلى فعل ما ليس له فعله من الشرك، وقتل النفوس، وسفك الدماء بغير حقّ، وكذّاب يكذب عليه، ويقول عليه الباطلَ وغيرالحقّ.

فإن كان موسى ـ عياذاً باللّٰه ـ مسرفاً كذّاباً لما هداه اللّٰه إلى البيّنات، ولما عَضَده بتلكَ المعجزات. وهذا أحد الوجهين في الكلام. وثاني الوجهين أنّه لو كان كذلك خذله اللّٰه وأهلكه، فلاحاجة لكم إلى قتله، ولعلّه أراهم هذا المعنى وهو عاكف على المعنى الأوّل لتلين شكيمتهم، وقد عرّض به لفرعون ولمحّ إليه؛ لأنّه مسرف حيث قتل الأبناء الأبرياء، وكذّاب ادّعى الألوهيّة لايهديه اللّٰه سَبيل الصواب ومنهاج النجاة، بل يفضحه ويهدم أمره، ويمكن أن يكون هذه الجملة ﴿إِنَّ اللّٰهَ لايَهْدِى﴾ مبتدأ كلام من اللّٰه جلّ شأنه.

و لنتبرّك بذكر الروايات الواردة في الباب

ففي تفسير البرهان: عن ابن بابويه، قال: حدّثنا علّي بن الحسين بن شاذويه المؤدِّب، وجعفر بن محمّد بن مسرور رضي الله عنهما قالا: حدّثنا محمّد بن عبداللّٰه بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن ريّان بنِ الصلت، عن الرضا عليه السلام في حديث قال فيه: «فقول اللّٰه عزّوجلّ في سورة المؤمن حكايةً عن قول رجلٍ مؤمنٍ من آل فرعون يكتم إيمانه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللّٰهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وكان ابن خال فرعون، فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه».

محمّد بن يعقوب عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن عبداللّٰه بن سليمان، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: وعنده رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعمىٰ وهو يقول: إنّ الحسن البصري يزعم

إنّ الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار، فقال أبوجعفر عليه السلام: «فهلك إذا مؤمن آل فرعون مازال العلم مكتوماً منذ بعث اللّه نوحاً، فليذهب الحسنُ يميناً وشمالاً، فواللّه ما يوجد العلم إلّا هيهٰنا».[١]

وفي تفسير نورالثقلين عن بصائر الدرجات: محمّدبن عيسى، عن‌الحسن بن عليّ بن فضّال، عن الحسن بن عثمان، عن يحيى الحلبي، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال له رجل وأنا عنده: إنّ الحسن البصري يروي أنّ رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله قال: «من كتم علماً جآء يوم القيامة ملجاً بلجامٍ من نارٍ» فقال: «كذب، ويحه، فأين قول اللّه تعالى: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ﴾ ثمّ مدّ بها صوته فقال: ـ فليذهبوا حيث شاؤا، أما وَاللّٰهِ لايجدون العلم إلّا هاهنا ـ ثمّ سكت ساعةً ثمّ قال: ـ عند آل محمّد».

و في تفسير عليّ بن إبراهيم: وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى عليه السلام قدكتم إيمانه ستّمائة سنة، وهو الذي قال اللّه عزّوجلّ:

﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ﴾.

و في عيون الأخبار في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفَرْق بين العترة والأمّة حديث طويل وفيه قالت العلماء: فَأخبرنا هل فسرّ اللّٰه الإصطفاء الكتاب، فقال الرضا عليه السلام: «فَسَّر الاصطفاء في‌الظاهر سوى الباطن في‌اثني عشر موطناً وموضعاً: فأوّل ذلك قوله عزّوجلّ إلى أن قال: وأمّا الحادي عشر، فقول اللّٰه عزّوجلّ في سورة المؤمن حكايةً عن قول رجلٍ مؤمنٍ من آل فرعون: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى تمام الآيَة، فكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه،

---

١. البرهان، ج ٤، ص ٩٦.

ولميضفه إليه بدينه. وكذلك خُصّصنا نحن إذ كنّا من آل رسول‌الله صلى الله عليه وآله بولادتنا منه، وعمّمنا الناس بالدين، فهٰذا فَرْق بين الآل والأمّة». فهذه الحادية عشرة.

في أصُول الكافي: بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم، قال: قال أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «يا هشام، ثمّ مدح‌اللّه القلّة وقال: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُـؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ﴾.

في أمالي الصدوق بإسناده إلى عبدالرحمان بن أبـي ليـلى رفـعه، قـال: قـال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله: «الصديّقون ثلاثة: حبيب النّـجار، مـؤمن آل يـاسين الذي يـقول: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وخرقيل مؤمن آل فرعون، وعلّي بـن أبي طالب وهو أفضلهم».[١]

١. نورالثقلين، ج ٤، ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

[مناصحة مؤمن آل فرعون قومه عن أذى موسى وقتله]

﴿٢٩﴾ ﴿يا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِى ٱلأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ ٱللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلّا ما أَرىٰ وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾

مناصحة مؤمن آل فرعون وتلطّفه لقومه في الكفّ عن أذى موسى وقتله خوفاً من بأس اللّٰه وعذابه:

﴿يا قَوْمِ﴾ خبر عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملإه: يا قَوْمِ يا قومي ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾ وَالْسُلطان ﴿ٱلْيَوْمَ ظاهِرِينَ﴾ أنتم على بنىإسرائيل وأقوياء عليهم ﴿فِى ٱلأَرْضِ﴾ أرضكم أرض مصر وما والاها، أنتم عالين فيها، غالبين عليها. قاهرين لأهلها، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم، ولاتتعرّضوا لبأس اللّٰه وعذابه، فإنّه لاقبل لكم به إن جاءكم، ولايمنعكم منه أحد. فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ إنْ جاءَنا؟ فمن ينصرنا؟ ومن يدفع عنّا بأس اللّٰه وسطوته إن حلّ بنا، وعقوبته إن جاءتنا، فلا تتعرضّوا لعذاب اللّٰه بتكذيب موسى وقتله، والإتيان بضمير الجمع، وإدراج نفسِه فيهم؛ لأنّه كان منهم في القرابة، وليريهم أنّه معهم، وهو منا صحهُم، ومُساهمهم فيما ينصح لهم. وهذا تلطّف منه في موعظتهم.

﴿قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلّا ما أَرىٰ وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾

قال فرعون مُضرِباً عن المجادلة، ومجيباً لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى ﴿ما أُرِيكُمْ﴾ أيّها الناس من الرأي والنصيحة ﴿إِلّا ما أَرىٰ﴾ لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً ﴿وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ وما أدعوكم إلّا إلى طريق الحقّ والصواب في أمر موسى وقتله، فإنّكم إن لم تقتلوه بدّل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد، ففي رأيي لكم صواب وخير ورشاد، وهو في هذاالكلام مسرّخلافَ ما أظهر، ومخادع لهم، فقد كان مستشعراً للخوف الشّديد من موسىٰ، ولكنّه كان يتجلّد.

[تحذير مؤمن آل فرعون قومه بنزول العذاب]

(٣٠) ﴿وَقالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزابِ﴾

و قال المؤمن من آل فرعون وهو الذي آمن بموسىٰ عليه السلام لفرعون وملائه، والإيمان قوّىٰ نفسه وثبّت قلبه، فلم يهب فرعون، ولم يعبأ به فأتى بتهديد وتخويف و نصح جديد لقومه لعلّهم يرعوون عن غيّهم، ويثوبون إلى رشدهم، فذكّرهم بأس اللّه وسنّته فيالمكذّبين للرسل، وضرب لهم الأمثال بما حلّ بالأحزاب من قبلهم، كقوم نوح وعادٍ وثمود، وفي هذا الإنذار والتخويف إشعار بوقوفهم قليلاً أو كثيراً على أخبار تلك الأمم البائدة وأحوال الأحزاب الهالكة.

﴿يا قَوْمِ﴾ يا قومي. والإضافة إلى ياء المتكلّم للاستعطاف والتلطّف. ﴿إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن تعرّضتم بموسى وتكذيبه وقتله. ﴿مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزابِ﴾ مثل نقمة اللّه وعذابه يومالأحزاب الذينَ تحزّبوا على رسل اللّه: نوحٍ وهودٍ، وصالحٍ بتكذيبهم وإيذائهم فأهلكهم اللّه بتحزّبهم عليهم، ودؤوبهم على الكفر والتكذيب وساير المعاصي، فيهلككم كما أهلكهم، واليوم واحد الأيّام بمعنى الوقايع، وقد كثر استعمالها بذلك حتى صار حقيقةً عرفيّةً، أو بمعناها المعروف لغةً، والإتيان باليوم مفرداً مضافاً مع أنّ لكلّ حزب يومَ دمارٍ على حدةٍ، فلابدّ من أن يقال: أيّام

الأحزاب؛ الأحزاب مفسّر بقوم نوح وعادٍ وثـمودَ الطـوائـف المـختلفة المـتبائنة الأزمان والأماكن، فهو أغنىٰ عن جمع اليوم لأنّ المضاف إليه يُعلمنا أنّ لكلّ قوم يوماً معيّناً في البلاد، فأغنى ذلك عن الإتيان بالجمع لارتـفاع الالتـباس، والإتـيان بالفرد أرجح للخفة والاختصار.

[تذكير مؤمن آل فرعون قومه بمصائب قوم نوح و ...]

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ﴾ (٣١)

مِثْلَ دَأْبِ: مثل جزاء دأبٍ والدأب العادة والسنّة. يقال: دَأَبَ يَدأَبُ دأباً فهو دائب في عمله إذا استمرّ فيه، والعادة تكرار الشيء مرّةً بعد مرّةً بسهولة وبلا مشقّة، مثل السنّة الجارية في الأحزاب الظالمة سابقاً وقد أهلكهم اللّٰه واستأصلهم جزآء على كفرهم، وإنّما ابتلوا بسوء أعمالهم وجزاء شركهم وظلمهم. ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ والذين من بعدهم من قوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم من الأحزاب البآئدة ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾ وما أهلك اللّٰه هذه الأحزاب والأمم ظلماً منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينَه؛ لأنّه تعالىٰ لايريد ظلم عباده، ولايشاؤه، ولكنّه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به وخلافهم لأمره، وهذا التعبير أبلغ من قوله تعالىٰ: ﴿وَمٰا رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ حيث إنّ المنفي فيه حدوث تعلّق إرادته بالظلم، ومن كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم أبعد، والنكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم، وتدلّ على أنّه تعالى لايريد ظلماً مّا لعباده. وفي هذا أوضح دلالة على فساد قول المجبّرة القائلة بأنّ كلّ ظلم يكون في العالم فهو بإرادة اللّٰه.

[يوم التناد وعذابه]

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنادِ﴾ ٣٢

تخويف بالعذاب الأخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي، وتكرار ضمير المتكلّم للإصرار على التلطّف والاستعطاف.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ﴾ بالاطمئنان والتأكيد ﴿عَلَيْكُمْ﴾، إذا ارتكبتم في حقّ موسى سوءً وشرّاً عقاب ﴿يَوْمَ ٱلتَّنادِ﴾ فانتصاب يوم بالمفعوليّة لا الظرفيّة ﴿يَوْمَ ٱلتَّنادِ﴾بتخفيف الدال وكسره حذفت الياء للاجتزاء بالكسرة الدالّة عليها، وهو يوم القيامة و«التناد» التفاعل من النداء من «تَنادى القومُ تنادياً» التنادي بين الخالق والمخلوق، و بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار، بين أهل النّار وما لكها وبين الملائكة وأهل المحشر، وبين الظالمين بعضهم لبعض بالتّصايح والتنادي بالويل والثبور على مااعتادوا به فيالدنيا.

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنّاكَ ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ﴾[1]

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ماذا أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]

---

١. فصلّت: ٤٧.

٢. القصص: ٦٥.

﴿وَنادىٰ أَصْحابُ ٱلجَنَّـةِ أَصْحابَ النّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدنا رَبُّـنا حَـقّـاً فَـهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّـاً قالُوا نَعَم﴾[۱]

﴿وَنادىٰ أَصْحابُ ٱلنّارِ أَصْحابَ الجَنَّـةِ أَنْ أَفِـيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ ٱللّٰهُ قالُوا إِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُما عَلَى الكافِرِين﴾[۲]

﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِـيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُون﴾[۳]

﴿وَقالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُـخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ ٱلعَذابِ﴾[٤]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُـنادُونَ لَمَقْتُ ٱللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَـقْتِكُمْ أَنْـفُسَكُمْ إِذْ تُـدْعَوْنَ إِلَـى الإِيمانِ فَتَكْفُرُون﴾[٥]

و في تفسير نورالثقلين: عن كتاب معاني‌الأخبار بسنده عن حفص بن غياث، عن أبى‌عبدالله عليه‌السلام قال: «﴿يَوْمَ ٱلتَّناد﴾ يوم ينادي أهل النار أهـل الجـنّة أن أفـيضوا علينا من‌المآء أو ممّا رزقكم اللّه».

---

۱. الأعراف: ٤٤.
۲. الأعراف: آيه ٥٠.
۳. الزخرف: ۷۷.
٤. المؤمن: ٤٩.
٥. المؤمن: ۱۰.

[عدم تغيير حكم اللّه تعالى في إضلال من أضلّه اللّه تعالى]

۝٣٣﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ ٱللّٰهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ بدل من يوم التنادي، يوم تعرضون علىَ النار فارينّ منها، مقدِّرين في ظنّكم أنّ الفرار ينفعكم، فتولّون مدبرين هرباً من زفير النار وشهيقها. فلا يجديكم ذلك شيئاً، ولاتجدون مَن يعصمكم منالعذاب، فتردّون إليه، وينالكم منه ما قدّرلكم وكتب عليكم.

و قيل: منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، والأوّل أولى؛ لأنّه أتّم فائدة، وأظهر ارتباطاً بقوله تعالى:﴿ما لَكُمْ مِنَ ٱللّٰهِ مِنْ عاصِمٍ﴾.

و الجملة في محلّ النصب على الحاليّة. ﴿ما لَكُمْ مِنَ ٱللّٰهِ﴾ ومن عذابه مانع يمنعكم، وناصر ينصركم، فإنّه الملك والديّان والمنتقم هناك لاسواه.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ ومن يخذله اللّه فلم يوفّقه لرشده فماله من موفّق يوفّقه له ومن يضلل اللّه عن طريق الجنّة فماله من هاد يهديه إليه، وفي هٰذا إيماء إلى أنّه يئس من قبولهم لنصحه.

[إنّ اللّه تعالى يضلّ كلّ مسرف مرتاب]

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ حَتّىٰ إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اَللّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ (٣٤)

خطاب الآية يدلّ على أنّه مبتدأ كلام من اللّه سبحانه لعدم تناسبه مع ما يُظهره مؤمن آل فرعون من المماشاة معهم والتلطّف والاستعطاف بهم ويمكن أن يكون تتّمة كلام المؤمن لقرب عهد موسى ويوسف عليهما السلام. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ وهو يوسف بن يعقوب ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل هذاالزمان ﴿بِالبَيِّناتِ﴾ والمعجزات والآيات الواضحات.

و في الصافي عن المجمع عن الباقر عليه السلام في حديث أنّه سئل: كان يوسف نبيّاً رسولاً، فقال: «نعم، أما تسمع قولَ اللّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّناتِ﴾ الى آخر الحديث».

و معنى ﴿جَآءَكُمْ﴾ إلى آبائِكُمْ، فجعل المجيء إلى الآباء مجيئاً إلى الأبناء، ونسبة أفعال الآباء إلى الأبناء للتّواطؤ والتوافق واتّحاد السلوك والانهماك في التقليد.

﴿فَما زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ حَتّىٰ إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ وكان دأب آبآئكم الغابرين مع يوسف الريب والشّك والجدال والتعنّت،

وعدم الإيمان به، ومازا لوا في زيب من أمره وشكّ في صدقه فلم يؤمنوا به حتى موته، فهذا التكذيب منكم متوارث والعناد قديم ﴿حَتَّىٰ إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ﴾ ومن تعنّكم وكبريائكم وعدم خضوعكم وخشوعكم للحقّ والرسولِ نفيتم نفياً باتّاً أبدياً بَعْث رسول من بعده، فكفر آبآؤكم به في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته، وكذلك أنتم.

و في تفسير نورالثقلين عن روضة الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ عهد إلى آدم ـ إلى أن قال عليه السلام ـ وكان بين موسى ويوسف عليهما السلام».[1]

و ذكروا هذا القول: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ أساساً لتشهّيهم وتمنّيهم في تكذيب الأنبياء الذين يأتون من بعد يوسف عليه السلام من دون أن يكونوا مصدّقين له، بل شكّوا وكفروا برسالته ورسالة من جاء بعده، وهذه ظلوميّة الإنسان، وجهوليّة، ونهاية إسرافه في المعاصي والكفر، وغاية ارتيابه في الأدلّة والحجج، وبهذه المناسبة جاء ذيلاً للآية الشريفة، ﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ والإشارة إلى أنّ مثل ما حكم اللّه بضلالة أولئك يحكم بضلال كلّ مسرف على نفسه بارتكاب معاصيه، واستكثاره منها، وارتيابه في دين اللّه مرتابٍ شاكّ في أدّلة اللّه وآياته وحججه ووحدانيّته ووعده ووعيده.

و في تفسير البرهان:

ابن بابويه، قال: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، قال: حدّثنا أبي عن أبي سعيد سهل بن زياد الرازي، عن محمّد بن آدم النسآئي، عن أبيه آدم بن أياس، عن المبارك بن فضال، عن سعيد بن جبير، عن سيّدالعابدين علّي بن الحسين، عن أبيه سيّدالشّهدٰاء الحسين بن علّي، عن أبيه سيّدالوصيّين، وأميرالمؤمنين علّي بن أبىطالب (صلوات اللّه

---

١. نورالثقلين، ج ٤، ص ٥١٩.

عليهم)، قال: «قال رسول اللهﷺ لمّا حضرت يوسف الوفاة جمع شيعتَه وأهلَ بَيته، فحمد اللّه وأنثى عليه ثمّ أخبرهم بشدّةٍ تنالهم، يقتل فيها الرجال، وتشقّ بطون الحبالىٰ، وتذبح الأطفال حتى يظهراللّه الحقّ في القائم من ولدي لاوي بن يعقوب وهو رجل أسمَر طويل، ووصفه لهم بـنعته، فـتمسّكوا بـذلك، ووقـعت الغـيبة، وشـدّت عـلى بنيإسرائيل وهم ينتظرونَ قيام القائم أربعمائة سنة حتى إذا بشّـروا بـولادته، ورأوا علامات ظهوره واشتدّ البلوى عليهم، وحمل عليهم بالخشب والحجارة، وطلبوا الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى حاديثه، فاستتر، وراسلهم، وقالوا: كنّا مع الشدّة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحاري، وجلس يحدّثهم حـديث القـائم، ونـعته، وقربالأمر، و كانت ليلة قمراء، فبينماهم كذلك إذ طلع عليهم موسى وكان في ذلك الوقت حدث السن، وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خزّ، فلمّا رآه الفقيه عرفه بالنعت، فقام إليه وانكبّ على قدميه فقبّلها، ثمّ قال: الحمدللّه الذّي لم يُمتِني حتى رأيُتك، فلّما رآه الشيعة فعل ذلك علموا أنّه صاحبهم فانكبّوا عليه، فلم يزدهم على أن قال: أرجو أن يجعل اللّه فرجكم ثمّ غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام فكانت الغيبة الثانية أشدّ عليهم منالأولى، وكانت نيّفاً وخمسين سنةً، واشتدّت البلوى عليهم، واسـتتر الفقيه، فبعثوا إليه أنّه لاصبر لنا على استتارك عـنّا، فـخرج إلى بـعض الصـحاري، واستدعاهم، وطيّب قلوبهم، وأعلمهم أنّ اللّه عزّوجلّ أوحىٰ إليه أنّه مفرِّجٌ عنهم بعد أربعين سنةً، فقالوا: الحمدللّه، فأوحى اللّه عزّوجلّ إليه: قل لهم: قد جعلتُها ثلاثين سنةً لقولهم، الحمدللّه، فقالوا: كلّ نعمة فمن اللّه، فأوحى اللّه إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنةً، فقالوا: لايأتي بالخير إلّا اللّه، فأوحى اللّه إليه قل لهم: قد جعلتُها عشراً، فقالوا، لايصرف السوء إلّا اللّه، فأوحى اللّه إليه قل لهم: لاتبرحوا، فقد أذنت في فَـرَجكم، فبيناهم كذلك إذ طلع موسى راكباً حماراً، فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يتبصّرون به،

وجآء موسى عليه السلام حتى وقف عليهم، فسلّم عليهم، فقال له الفقيه: ما اسمُك؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، قال: ابن من؟ قال: ابن فاهث بن لاوي بن يعقوب، قال: بماذا جئتَ: قال: بالرسالة من عنداللّه عزّوجلّ، فقام إليه، فقبّل يده، ثمّ جلس بينهم، وطيّب نفوسهم، وأمرهم أمره ثمّ فرقهم، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنةً.[1]

---

١. البرهان، ج ٤، ص ٩٧.

[إنّ اللّه تعالى يطبع اللّه على كلّ قلب متكبّر جبّار]

﴿٣٥﴾﴿ٱلَّذِينَ يُجادِلُونَ فِيآياتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً* عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُجادِلُون﴾ بدل وبيان من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ لأنّ الموصول بمعنى الجمع وعدم إرادة مسرف واحد بل كلّ مسرف مرتاب، فهو في موضع النصب، ويمكن أن يكون خبراً مرفوعاً بتقدير ﴿هُم﴾، وتفسير الكلام كذلك: يضّل اللّٰه أهل الإسراف والغلوّ في ضلالهم بكفرهم باللّٰه، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله، ليدحضوها بالباطل من الحجج بغير سلطان وحجّة أتتهم من ربّهم، يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل بغير سلطان لهم، أتتهم من الرسل والإنبياء أومن العقول السليمة، فيجادلون من غير حجّة صالحة للتمسّك بها، لاعقليّة، ولانقليّة تمسّكاً بتقليد الآباء والأجداد ترّهات الأباطيل التي لايتقبّلها ذوو الحصافةِ والرأي. وهذه شيمة من تعدّى طوره معرضاً عن الحقّ، ومتّبعاً للهوىٰ، قداستقرّ في نفسه الارتياب، فلا يستقرّ على علم ولايطمئنّ إلى حجّة تهديه إلى الحقّ، يجادل في آيات اللّٰه بغير برهان إذا خالفت مقتضىٰ هواه.

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ كبر وعظم ذلك الجدال الذي يجادلون في آيات اللّه مقتاً وعداوة عنداللّه وعند الذين آمنوا ونُصِب مقتاً تميزاً لما في قوله ﴿كَبُرَ﴾ من ضمير الجدال المستفاد من يجادلون، نظير قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ﴾ فالفاعل ضمير مذكور في ﴿كَبُرَ﴾ لاأنّه مخذوف؛ لأنّ الفاعل لايصحّ حذفه.

وفي الكلام ضرب من التعجّب والاستعظام لجدالهم، والشهادة على خروج هذا الجدال من حدّ نظائره من الكبائر، والمعنى أنّ من مقت اللّه والّذين آمنوا مقته اللّه تعالى، ولعنه، وأعدّ له العذاب، ومقته المؤمنون، وأبعضوه بهجرهم إيّاهم، والاحتراس من التعامل معهم، وعدم الركون إليهم في الدين والدنيا وأنتم جادلتهم وخاصمتم في ردّ آيات اللّه مثلهم فاستحققتم ذلك.

﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾ كذلك يطبع اللّه، كما طبع على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات اللّه بغير سلطان آتاهم، كذلك يطبع اللّه على كلّ قلب متكبّر علىاللّه أن يوحّده ويصدّق رسله، جبّار متعظّم عن اتّباع الحقّ والآنف من قبوله. ووصف القلب بالتكبّر والجبروت؛ لكونه مركزهما ومنبعهما، كما في ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ ورأت العين وسمعت الأذن.

و أجاز الزمخشري أن يكون على حذف المضاف، أي على كلّ ذي قلبٍ متكبّرٍ بجعل الصّفة لصاحب القلب، ولاضرورة تدعو إلى تكلّف الحذف؛ فإنّ القلب هو الذي يتكبّر وساير الأعضاء تبع له.

و فيالحديث الشريف في خصال الصدوق بسنده عن مجاهد قال: سمعت الشعبي يقول: سمعت نعمان بن بشير يقول:

سمعتُ رسولَاللّه ﷺ يقول: «فيالإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحّت سلم بها

سائرالجسد، فإذا سَقمت سَقم بها سائرالجسدو فسد وهي القلب».[١]

رجع الآية الشريفة

و في تفسير عليّ بن إبراهيم: وقوله عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجادِلُونَ فِىآياتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ﴾ يعني بغير حجّة يخاصمون أتاهم كبر مقتاً عنداللّه وعندالذين آمنوا ﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾ فإنّه حدّثني أبى عن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: «إنّ في النار لناراً يتعوّذ منها أهل النار ما خُلِقت إلّا لكّلِ جبّارٍ عنيدٍ، ولكلّ شيطانٍ مَريدٍ، ولكلّ متكبّرٍ لايؤمن بيوم الحساب، ولكلّ ناصبِ العداوة لآل محمّد صلى الله عليه وآله

ـ و قال: ـ إنّ أهون الناس عذاباً يوم‌القيامة لرجُل في ضحضاحٍ من نار عليه نعلان من نار، وشراكان من نار، يُغلىٰ منها دماغُه، كما يُغلىٰ المرجل، ما يرى أنّ في‌النار أحداً أشدّ عذاباً منه، وما في‌النار أحدُ أهون عذاباً منه».[٢]

١. الخصال، ص ٣١، ح ١٠٩.

٢. كنز الدّقائق، ج ١١، ص ٣٨٤.

[طلب فرعون عن هامان لبناء صرح]

٣٦﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ٱبْنِ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أَبْلُغُ ٱلأَسْبابَ﴾

و قال فرعون لمّا وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبيّ‌الله، وحذّره من بأس‌الله على قوله: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مَوسىٰ﴾ قال لهامان ولعلّه وزيره وزير السوء ﴿ٱبْنِ لِى﴾ تصريح بالأمر إظهار الطلب بأتمّ الإظهار ﴿صَرْحاً﴾ بناء شامخاً عالياً ظاهراً لايخفىٰ على‌الناظر وإن بعد، مشتقّاً من صرح الشيء: إذا ظهر.

والعجب أنّ اليهود الباحثين عن تواريخ بني‌إسرائيل وفرعون قالوا: إنّ هامان ما كان موجوداً في زمن موسى وفرعون، وإنّما جاء بعدهما بزمان مديدٍ، فصدّقوا تاريخهم، وكذّبوا القرآن مع أنّهم مقرّون بأنّ أحوالهم اضطربت بسبب غلبة بخت نصّر على ملكهم حتى ضيّع توراتهم سيّما قد طال العهد بتأريخ أحوالهم، وما المانع عن أن يكون هامان متعدّداً في زمن متعدّدة زمن فرعون، والقرون التالية، فكيف يبقى اعتماد بمثل هذا التأريخ حتى يُنْسَب الصدقُ إلى التأريخ المشوّشِ، والكذبُ إلى القرآن المتعالي عن الكذب علّواً كبيراً.

﴿لَعَلِّى أَبْلُغُ ٱلأَسْبابَ﴾ تمنّيً منه لأمر سخيف باطل.

[قول فرعون لموسى أظنّه كاذباً]

﴿أَسْبابَ ٱلسَّمٰواتِ فَأَطَّلِعَ إِلىٰ إِلٰـهِ مُوسىٰ وَإِنِّى لَأَظُـنُّهُ كاذِباً وَكَذٰلِكَ زُيِّـنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُـدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلّا فِى تَبابٍ﴾ ﴿٣٧﴾

أسباب السماوات بيانا لها، أسباب أتسبّب بها إلى الوصول إلى إله موسى ورؤيته، طرقاً كانت تلك الأسباب، أو أبواباً، أو منازل أو غير ذلك، أسباب لاتضطرب، ولاتسقط، ولاتزول إلى خلافِ جهتها. وفي التكرير إبهام ثمّ إيضاح تفخيماً لشأن الأسباب، وتشويقاً للسامع إلى معرفتها؛ فإنّه إذا أبهم الشيء ثمّ أوضح كان تفخيماً لشأنه، فأراد تفخيم ما أَمَل بلوغ من أسباب السماوات أبهمها ثمّ أوضحها؛ ولأنّه لمّا كان بلوغها أمراً عجيباً أراد أن يورِده على نفسٍ متشوّفة إليه؛ ليعطيه السامع حقّه من التعجّب فأبهمه ليتشوّف إليه نفس هامان ثمّ أوضحه.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلىٰ إِلٰـهِ مُوسىٰ﴾ أُشرف عليه لأراهُ جهلاً منه، واعتقاداً باطلاً أنّ اللّٰـه سبحانه في السماء، وأنّه يقدر على بلوغ السماء.

و قيل: أراد أن يطّلع إلى بعض الآيات التي يدّعيها موسى الدالّة على إله موسى؛ لأنّه كان يعلم أنّ الصرح لايبلغ السماء، ولهذا قيل أيضاً: لعلّه أراد أن ينبي له رصداً في موضع عالٍ يرصد منه أحوال الكواكب الّتي أسباب سماويّة تدلّ على الحوادث

الأرضيّة، فيرىٰ هل فيها ما يدلّ على إرسال اللّٰه إيّاه؛ وأن يرى فساد قول موسى بأنّ إخبارَهُ من إله السماء يتوّقف على اطّلاعه ووصـوله إليـه. وذلك لايـتأتّى إلّا بالصعود إلى السماء، وهو ممّا لايقوى عـليه إنسـان، وذلك لجـهله بـاللّٰه وكـيفيّة استنبائه.

﴿وَإِنِّى لَأَظُـنُّهُ كاذِبًا﴾ فيما يقول ويدّعي من أنّ له فيالسماء ربّاً أرسـله إليـنا. وهذا منه تمويه وتلبيس على قومه، وكانّه يقول: لو كان إله موسى موجوداً لكان له محلّ، ومحلّه إمّا الأرض، وإمّا السماء، وَ لم نره في الأرض، فإذا هو فيالسـماء، والسماء لايتصّل إليها إلّا بسلّم، فيجب أن نبني الصرح لنصل إليه. وقالوا: إنّما قال فرعون: هذا على التمويه وتعمّد الكذب وهو يعلم أنّ له إلهاً ﴿وَكَذٰلِكَ زُيِّـنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَـمَلِهِ﴾ وكذلك كما زيّن للكافرين سوءُ أعمالهم، زيّن لفرعون لعتوّه وتـمرّده سوءُ عمله حتّى سوَّلت له نفسُه وشيطانُه المغوي بلوغ أسباب السماوات ليطّلع إلى إلٰهِ موسى ﴿وَصُـدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلّا فِى تَبابٍ﴾ وصدّ ومنع عنالسبيل عنالوصول إلى مناه، وعنالطريق إلى رشده ﴿وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ واحتياله ﴿إِلّا فِـى تَبابٍ﴾ وضلال وهلاك وذهاب مال وغبن، فبطلت ما أنـفقته عـلى بـنٰاء الصـرح، ولمينل بهذا التعب وبما أنفقه شيئاً ممّا أراده. وإنّما يذهب باطلاً سدىً دون الوصول إلى شيء.

[طلب مؤمن آل فرعون تبعيّة قومه له]

(٣٨) ﴿وَقالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ ٱتـَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾

﴿وَقالَ الَّذِى آمَنَ﴾ اعتناء شديد من مؤمن آل فرعون بهداية قومه وإرشادهم إلى سبيل الرشاد ﴿وَقالَ الَّذِى آمَنَ﴾ من قوم فرعون لقومه: ﴿يا قَوْمِ﴾ إضافة القوم إلى الضمير وتكرير في الآيات الحاضرة للاستعطاف الشديد والالتفات الأكيد إليهم. ﴿ٱتـَّبِعُونِ﴾ اتّبعوني، طلب متابعتهم له تلطّفاً منه، وترحّماً بحقّهم، وأنّه يريد خيرهم و صلاحهم، وأنّ الرائد لايكذّب أهله.

﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ طريق الهداى، جزمُ ﴿أَهْدِكُمْ﴾ لوقوعه جواباً عن الأمر على سبيل تضمين الكلام معنى الشرط والجزاء، بمعنى: إن اتّبعتم عظتى وقبلتم منّي ما أقول لكم، بيّنتُ لكم طريق الصواب، ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه، وهو دين اللّٰه الذي انبعث به موسى عليه السلام من الإيمان باللّٰه، وتوحيده، وإخلاص العبادة له، والإقرار بموسى عليه السلام.

والهداية في المقام إراءة الطريق، والرشاد هو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا، وفيه تعريض لقول فرعون، ﴿وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ بأنّ ما يسلكه فرعون وقومُه سبيل الغيّ والضلال، لاالهداية والرشاد. وكذا فيه إشارة إلىٰ أنّ الهداية مودعة في اتّباع الأنبياء والأولياء، وللوليّ والمتّبع أن يهدي سبيل الرشاد اتّباعاً للنبيّ والرسول عليهما السلام.

[انّ هذه الحياة الدنيا متاع تستمتعون بها]

﴿٣٩﴾﴿يا قَوْمِ إِنَّما هـٰذِهِ الحَياةُ ٱلدُّنْيا مَتاعٌ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دارُ ٱلقَرارِ﴾

ترك واو العطف للتفسير، فإنّه أجمل ثمّ فسّر سبيل الرشاد، فافتتح بذّم الدنيا وتصغير شأنها ووعظهم بعدم الاغترار بها، فقال: ﴿يا قَوْمِ إِنَّما هـٰذِهِ الحَياةُ ٱلدُّنْيا﴾ العاجلة التي تتمتّعون بها، وتغترّون بشوكتها وَ سلطنتها إنّما هي متاع ومتعة تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثمّ تموتون، وتزول عنكم، ويبقى وزرها وآثامها. فالإخلاد والركون إلى الدنيا أصل الشرّ كلّه، ومنه يتشّعب جميع ما يؤدّي إلى سخط اللّه، ويجلب الشقاوة فيالعاقبة ﴿وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دارُ ٱلقَرارِ﴾ التي تستقرّون فيها، وهي خالدة، فلا تموتون، ولاتزول عنكم، وسميّت الآخرة دار قرار؛ لاستقرار الجنّة بأهلها، واستقرار النار بأهلها، والقرار: المكان الذي يستقرّ فيه فلا تغتّروا بالدنيا الفانية، ولاتؤثروها على الدار الباقية.

و في البحار عن إعلام الدّين للديلمي، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسولَاللّهﷺ يقول: «أيّها الناس، اتّقوا اللّه حقّ تقاته، واسعوا في مرضاته، وأيقنوا منالدنيا بالفناء، ومن الأُخرة بالبقاء، واعملو لما بعد الموت فكأنّكم بالدنيا لم تكن و بالآخرة لم تزل. أيّها الناس، إنّ من فيالدنيا ضيف، وما في أيديهم عارية، وأنّ

الضيف مرتحل، والعارية مردودة».[١]

قال مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين (عليه أفضل صلوات المصلّين): «الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم».[٢]

١. بحارالأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٧.
٢. نهج‌البلاغة، الخطبة ١٩٤، ص ٩٠٧ (طبعة جاويدان).

[دخول الصالحين في الجنّة وارتزاقهم بغير حساب]

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّـئَةً فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَأُولـٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِـيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾

يمكن كون الجملة من قول اللّه جلّ شأنه معترضة بين عظات المؤمن ونصائحه، و يشهد عليه الإخبار عن كون جزآء السيّئة مثلها، و رزق المؤمن فيالجـنّة بـغير حساب، وهذا إخبار مناللّه جلّ شأنه، ويمكن كونها من قـول المـؤمن وعـظاته، ولاعجب أن يخبر مثله عن هذاالأمر بإفاضة من اللّه جلّ شأنه.

بعد ما أشار المؤمن ﴿وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دارُ ٱلقَرارِ﴾ بيّن كـيف تـحصل المـجازاة فيالآخرة ثواباً أو عقاباً، مشيراً إلى غلبة جانب الرحمة على جانب العقاب، فقال ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّـئَةً﴾ في هذه الحياة الدنيا ﴿فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها﴾ فلا يجزيه اللّـه فـي الأخرة الّا سيئة مثلها تشاكل ما أتى به في هذه الدنيا من السّيّئةِ، ويعاقب اللّه عامل السيّئة عقاباً يستحقّها لاأكثر منها، لأنّ الزيادة على مقدار السـيّئة ظـلم وقـبيحة، وخلود عقاب الكافر ناشئ عن إصراره على الكفر فيالدنيا، وعزمه على أن يبقى على الكفر أبداً؛ لكونه اعتقاده ودينه، فعقابه مؤبّد بخلاف الفاسق المؤمن؛ لإيمانه باللّه، واعتقاده بأنّ إثمه خيانة ومعصيّة وتجاوز عن وظائف العبوديّة، فلايعزم على

ارتكاب المعصية دائماً، ولايصرّ على اقتراف الذنب أبـديّاً، بـل هـو لايـزال بـين الارتكاب والاعتذار، والاعتداء والندامة، وهو توّاب لاتائب. ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّـوَّٰبِـينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]. والآية أصل كبير في علوم الشريعة، لوجوب رعاية المماثلة فيالأحكام إلّا في مواضع التخصيص. ومن القاعدة أنّ الجنايات تغرم بمثلها. فلذا يكون هذا الأصل جارياً في الأحكام الكثيرة، مثل باب الجنايات على النـفوس، وعلىالأعضاء، وعلى الأموال، وعلى العبادات.

و من عمل صالحاً بطاعة اللّٰه فيالدنيا وائتمر أمره، وانتهى فيها عمّا نهاه عنه من ذكر وانثى، ورجل وامرأة من دون فارق بينهما إلّا بعملٍ صالح، وهو مؤمن بـاللّٰه، ومصدّق به وبأنبيائه، والإيمان باللّه، والتصديق به شرط في قبول العمل الصـالح، ولذا جعل العمل عمدة، والإيمان حالاً للدلالة على شرطيّته فـي اعـتبار العـمل، فأولئك الذين جمعوا بين العمل الصالح والإيمان يدخلون الجنّة، ويمتّعون بنعيمها. والإتيان بالجملة الاسميّة مصدّرة باسم الإشارة للاعتناء بشأن الصالحين المؤمنين، و تغليباً للرحمة الإلهيّة.

﴿يُرْزَقُونَ فِـيهَا﴾ يرزقهم اللّٰه فيالجّنة من نعيم الجـنّة والآخـرة نـعماً مـعنويّة، وعنايات سبحانيّة، وإفاضات ربّانية، ونعماً مادّيةً من ثمارها ولذّاتها، زيادةً على ما يستحقّونه تفضّلاً منه تعالىٰ ﴿بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ لاعلى مقدار العمل حتى تكون بحساب و موازنة، وبلااحتساب، وتبعة عليهم فيما يعطون فيالجّنة منالخـير فـلا تـتعقّبها محاسبة وسؤال وجواب بعد.

واحتساب النعم على أن الجنّة من خوف النفاد، ونعم اللّٰه وخزائنه لاتنفد، فـلا حاجة إلى الرقابة والحفاظ.

---

١. البقرة: ٢٢٢.

وفي تفسيري كنز الدقائق ونورالثقلين عن كتاب التوحيد حديث طويل عن أميرالمؤمنينعليه السلام يقول فيه وقد سأله رجل عمّا اشتبه عليه من الآيات: «و أمّا قوله عزّوجلّ: ﴿فَأُولـٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهٰا بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ فإنّ رسول اللّهصلى الله عليه وآله قال: قال اللّه عزّوجلّ: لقد حقّت كرامتي، أو قال: مودّتي لمن يراقبني ويتحابّ بجلالي. إنّ وجوههم يوم القيامة من نور، على منابر من نور، عليهم ثياب خضر. قيل: من هم يا رسولاللّه. قال: قوم ليسوا أنبياء ولاشهدآء، ولكنّهم تحابّوا بجلال اللّه، ويدخلون الجنّة بغير حساب». نسأل اللّه أن يجعلنا منهم برحمته.

و في كتاب معاني الأخبار حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليدرحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا أحمد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبداللّهعليه السلام قال: قيل له: إنّ أبا الخطّاب يذكر عنك أنّك قلت له: «إذا عرفت الحقّ فاعمل ما شئت»، قال: «لعن اللّه أبا الخطّاب، واللّه ما قلتُ هكذا، ولكنّي قلت: إذا عرفت الحقّ فاعمل ما شئت من خير يُقبل منك. إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولـٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهٰا بِغَيْرِ حِسابٍ﴾

و يقول تبارك وتعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾».[1]

---

١. كنز الحقائق، ج ١١، ص ٣٨٦؛ نورالثقلين، ج ٤، ص ٥٢٠ والآية في النحل: ٩٧.

[دعوة قومه إلى الهداية ودعوتهم إيّاه إلى النار]

(٤١) ﴿وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلى النّارِ﴾

و يا قوم عطف على النداء الثاني المفصّل لما أجمل أوّلاً، ولذلك عطف بـالواو، يكرّر المؤمن عظته ونصحه لقومه تعطّفاً عليهم، وإيقاظاً عن سنة الغفلة؛ لأنّهم قومه و عشيرته، وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجـبة، فـهو يـتحزّن لهـم، ويتلطّف بهم، فإنّ سرورهم وغمّهم سروره وغمّه، ويستدعي مكرّراً أن لا يـتّهموه، وينزلوا على تنصيحه.

﴿ما لِي﴾ أما تتعجّبون، لاأنتظر منكم شيئاً إلّا هدايتكم ونجاتكم من دون النظر إلى دنياكم وشوكتكم. فأنصفوا ووازنوابين الدعوتين: دعوتي ودعوتكم، دعوتي إلى دين اللّه الذي ثمرته النجاة، ودعوتكم إلى اتّخاذ الأنداد التي عاقبته النار. ﴿أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجاةِ﴾ من عذاب اللّه وعقوبته، والدعاء طلب الطالب الداعي الفعل عن غيره، والدعاء إلى النجاة دعاء إلى سببها من الإيمان باللّه، واتّباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جآءكم به من عنداللّه، ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلى النّارِ﴾ وسببها وأهلها وعملها وعقابها وعذابها، والدعوة إلى سبب الشيء دعوة إليه، والدعوة إلى الشرك وعبادة الأنـداد والأوثان دعوة إلى النار.

[الدعوة الى اللّه العزيز الغفار]

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾

و ما أنا إلّا ناصح لكم، وداعٍ لكم إلى النجاة، وأنتم تدعونني لأكفر باللّٰه وأشرك به أوثاناً ليس لي به علم بربوبيّتها، ولا أعلم أنّها تصلح للعبادة وإشراكها في عبادة اللّٰه. والألوهيّة لابدّ لها من برهان، واعتقادها لايصحّ إلّا عن إيقان، ولايحصل هذا من طريق السمع، ولامن طريق العقل، ونفي العلم هنا كناية عن نفي المعلوم، أى لانعلم معبوداً وإلهاً من دون اللّه. والجملة بدل من ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ أوعطف بيان له بناء على جري عطف البيان فيالجمل كالمفردات، أو جملة مستأنفة مفسّرة للسابقة.

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ﴾ معاشر قومي ﴿إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ المستجمع للصفات الأُلوهيّة من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران، وتخصيص الوصفين بالذكر وإن كاناكناية عن جميع الصفات لاستلزامهما ذلك.

﴿أَدْعُوكُمْ﴾ إلى الرجوع والتوب إلى العزيز في انتقامه ممّن كفر به لايمنعه منانتقامه شيء ﴿الْغَفَّارِ﴾ لمن تاب إليه بعد معصيته إيّاه؛ لعفوه عنه، فلا يضرّ التائبَ شيء مع عفوه عنه.

[أنّ ماوى المسرفين النار]

﴿لاٰجَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي ٱلآخِرَةِ* وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى ٱللّهِ وَأَنَّ ٱلمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ ٱلنّارِ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿لاٰجَرَمَ﴾ قيل: فيها وجهان لأهل اللغة: أحدهما: أنّها كلمة واحدة وضعت موضع «حقّاً أو لابدّ» وهذا الوجه غريب لايعبأبه.

والوجه الآخر: أنّها كلمتان لردّ الكلام والدعوى. «و جَرَمَ» فعلُ بمعنى «حَقَّ» فمعناه حقّاً مقطوعاً. وقال المبرّد: معناه حَقّ وَاستَحَقَّ. وفي اللسان «الجَرْم: القطع، جَرَمَه: قَطَعَه، وشجرة جريمة أي مقطوعة».

قال أبو أسماء بن الضريبة:

وَ لَقَدْ طَعَنْتُ اَبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً　　　جَرَمَتْ فَزارَةَ بَعْدَ ها أَنْ يَغْضِبُوا

أي حقّت لها الغضب. فلا الداخلة علىالفعل لنفي ماادّعوه، وردّ ما زعموه، وفاعل الفعل هو قوله: ﴿أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي ٱلآخِرَةِ﴾ أي لامجال لدعوايكم بل حَقَّ ووَجَبَ بطلانُ دعوة آلهتكم إلى عبادتها.

﴿أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي ٱلآخِرَةِ﴾

حقّاً أنّ الذّي تدعونني إليه منالأوثان ليس له دعوة ودعاءُ ينتفع بها في أمر

الدنيا، ولافى الآخرة. فهذه الأوثان ليس لها دعوة إلى أنفسها، ولااستجابة دعوة لها لافيالدنيا ولا فيالآخرة؛ فإنّها جماداتٌ لاتنطق ولاتفهم شيئاً، ولاتنفع ولاتـضرّ، ولاأرسلَتْ نبيّاً من ناحيتها ليدعوا الناس إلى عبادتها، وهي فيالآخرة لارجوع إليها من أحد وإذا قلبت حيوانات تتبرّأ من عابديها.

وأمّا الذي أدعوكم إليه سبحانه له دعوة فـيالدنـيا تـصدّاهـا أنـبياؤه ورسـله المبعوثون من عنده، والمؤيّدون بالحجج والبيّنات. والرّبوبيّة لاتتمّ بدون دعوة في الدنيا ولافي الآخرة. وليست لهٰذه الأوثان دعوة مستجابَة لا فيالدنيا ولافي الآخرة. فلا تستجيب دعوَة أحدٍ، ولاتُستجاب دعوة واحد منها. وعلى هذا سمّيت استجابة الدعوة دعوةً إطلاقاً لاسم أحد المتضايفين على الآخـر، كـقوله: ﴿وَجَـزَٰٓؤُاْ سَـيِّئَةٍ سَيِّـئَةٌ مِثْلُهَا﴾ فهي كما قال اللّٰه تعالىٰ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ما ٱسْتَجابُوا لَكُمْ﴾

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى ٱللَّهِ﴾ عطف على ما تدعونني داخل في حكمه. والمعنى ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنا﴾ مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى اللّٰه تعالى، العالم بكلّ المعلومات، والقـادر على كلّ الممكنات، والغنيّ عن كلّ الحاجات الذي لايبدّل القولُ لديـه، ومـا هـو بظلّام للعبيد.

و أيّ عاقل يجوّز له عقله أن يشتغل بعبادة هـذه الأوثـان البـاطلة، والأشـياء الزديلة التي لاتدعو، ولاتستجيب، ولاتسمع ولاتبصر ولاتنفع ولاتضرّ.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْـرِفِـينَ هُـمْ أَصْـحابُ ٱلنّـارِ﴾ وأنّ المـتعدّين حـدودَ اللّـه، المكثرين معاصيه، والمشركين باللّٰه، سفّاكي الدماء بـغير حـقّها، وقـتلة النـفوس التي حرّم اللّٰه قتلها، هم أصـحاب نـار جـهنّم عـند مـرجـعهم إلى اللّـه، فـالذي أدعوكم إليه فيه النجاة دون ما تدعونني إليه أيّها المشركون، وكان فـرعون عـالياً عاتياً في كفره باللّٰه، سفّاكاللدماء التي كان محرّماً عليه سفكها، والإسراف إشارة

إلى قول فرعون: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسىٰ﴾ وإلى قول المؤمن قبل ﴿أَتَـقْتُلُونَ رَجُـلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللّٰهُ﴾.

﴿هُمْ أَصْحابُ ٱلنّارِ﴾ الصحبة: الملآزمة، وأصحاب النار ملازموها: إمّـا مـلازمةً موقّتة شاملة للمكث الطويل، كما في المسرِف المؤمنِ العاصي الذي يشمله العـفو الالٰهي بعد مدّة، وإمّا ملازمة خالدة، كما في الكافر والمشرِكُ.

[في تفويض مؤمن آل فرعون أمره إلى اللّه تعالى]

﴿فَسَتَذكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰـهَ بَصِـيرٌ بِالعِـبادِ﴾ ﴿٤٤﴾

قال المؤمن شفقةً ورحمةً لهم، وتخويفاً وتخديراً ليفكّروا في عاقبة أمرهم لعلّهم يرعوون، فقال تفريعاً على قوله: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى ٱللّٰهِ﴾ ﴿فَسَـتَذكُرُونَ﴾ أيّـها القـوم صدق ما أقول، وصحّة ما أخبركم به إذاعاينتم عقاب اللّٰه قد حلّ بكم، ولقيتم مـا لقيتموه، وإن لم تسمعوا اليوم ولكنّكم ﴿فَسَتَذكُرُونَ﴾ أنّي كنت ناصحاً لكم، وبالغت في نصحكم وتذكيركم بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد، وستندمون حين لايـنفع الندم. وفي هذا الإيهام من التخويف والتهديد مالايخفى.

ثمّ يبيّن اطمئنانه إلى ما جرى به القدر، ويخبّئه له الغيب، كما هو دأب المؤمنين الصادقين، ويخبر عن نفسه جواباً لتخويفهم وتوعيدهم، ويظهر أنّهم أرادوا الإيقاع به، فقال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىإِلَى اللّٰهِ﴾ أسلّم أمري إلى اللّه، وأردّه إليه، وأتوكلّ عـليه، وهوالعاصم من كلّ سوءٍ، وإنّما تعلّم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فإنّ فـرعون لمّـا خوّفه بالقتل قال: ﴿إِنِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُـؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلحِسابِ﴾.

و في القاموس: فوّض إليه الأمر ردّه إليه. وقال في الميزان:

التفويض على ما فسّره الراغب هو الردّ. فتفويض الأمر إلى اللّٰه ردّه إليه، فيقرب من

معنى التوكّل والتسليم، والاعتبار مختلف. فالتفويض من العبد ردّه ما نسب إليه من الأمر إلى اللّه سُبحانه، وحال العبد حينئذٍ حالُ مَنْ هو أعزل لاأمر راجعاً إليه، والتوكّل من العبد: جعله ربّاً وكيلاً يتصرّف فيماله من الأمر، والتسليم من العبد: مطاوعته المحضة لما يريده اللّه سبحانه فيه، ومنه من غير نظر إلى انتساب أمر إليه، فهي مقامات ثلاث من مقامات العبوديّة: التوكّل ثمّ التفويض، وهو أدقّ من التوكّل، ثمّ التسليم وهو أدقّ منهما. انتهى ما في الميزان.

و في المقام كلمات للأكابر وبما ذكرنا من الميزان كفاية.

ثمّ استدلّ المؤمن وعلّل تفويضه بقوله: ﴿إِنَّ اللّٰـهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾ خبير بأحوالهم، وعالم بما يفعلونه من طاعة ومعصية، فيعصمهم من السّيئات، سيّئات الدنيا والآخرة، فيعطي المطيع جميل الثواب والعاصي سيّئى العقاب. والعدول عن الضمير إلى إظهاره باسم الظاهر، ولم يقل: إنّه بصير إشارة إلى علّة بصيرته بالعباد، كأنّه قيل: إنّه بصير بالعباد؛ لأنّه اللّه عزّ اسمه.

و في مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «المفوّض أمره إلى اللّه في راحة الأبد، والعيش الدائم الرغد، والمفوّض حقّاً هو العالي عن كلّ همّة دون اللّه، تعالى». كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

رَضِيتُ بِما قَسَّمَ اللّٰـهُ لي وَ فَوَّضْتُ أَمْري إلىٰ خالِقي
كَما أَحْسَنَ اللّٰـهُ فيما مَضىٰ كَذٰلِكَ يُحْسِنُ فيما بَقي

و قال اللّه (عزّوجلّ) في المؤمن من آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰـهَ بَصِيرٌ بِالعِبادِ * فَوَقاهُ اَللّٰهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ اَلْعَذابِ﴾. والتفويض خمسة أحرف لكلّ حرف منهاحكم، فمن أتى بأحكامه فقدأتىٰ به. «التاء» من تركه التدبير في الدنيا. و«الفاء» من فنآء كلّ همّة غيراللّه تعالىٰ، و«والواو» من وفاء العهد وتصديق الوعد، و«الياء» من اليأس من نفسك واليقين بربّك،

و«الضاد» من الضمير الصافي للّه والضرورة إليه. والمفوّض لايصبح، إلّا سالماً من جميع الآفات، ولايمسي إلّا معافىً بدينه».[١]

و في خصال الصّدوق: حدّثنا جعفربن محمّد بن مسرور قال: حدّثنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن عمّه عبداللّٰه بن عامر، عن محمّد بن أبي عمير، قال: حدّثنا جماعة من مشايخنا منهم أبان بن عثمان، وهشام بن سالم، ومحمّد بن حمران عن الصادق جعفر بن محمّد عليه‌السلام قال: «عجبت لمن فزع من أربع كيف لايفزع إلى أربع: عجبت لمن خاف كيف لايفزع إلى قوله عزّوجلّ: ﴿حَسْبُنا اللّٰهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾؛ فإنّي سمعت اللّه جلّ‌جلاله يقول بعقبها: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[٢]، وعجبت لمن اغتمّ كيف لايفزع إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿لا إِلٰـهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾؛ فإنّي سمعت اللّه عزّوجلّ يقول بعقبها: ﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُنْجِى المُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وعجبت لمن مكر به كيف لايفزع إلى قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىإِلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰـهَ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾؛ فإنّي سمعت اللّه جَلَّ وتقدّس يقول بعقبها: ﴿فَوَقاهُ ٱللّٰهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾[٤]، وعجبت لمن أراد الدنيا و زينتها كيف لايفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ما شاءَ ٱللّٰهُ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّٰهِ﴾؛ فإنّي سمعت اللّه عزّ اسمه يقول بعقبها: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً * فَعَسىٰ رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾[٥] وعسى موجبة».[٦] وعسى موجبة يعني كلمة «عسى» في الآية للإيجاب والإثبات لاللترجي أو الإشفاق، والظاهر أنّه من كلام المصنّف الصدوق.

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٣٨٩؛ نورالثقلين، ج ٤، ص ٥٢٠.

٢. آل‌عمران: ١٧٤.

٣. الأنبياء: ٨٧.

٤. غافر: ٤٤.

٥. الكهف: ٣٩.

٦. الخصال، ص ٢١٨.

و في التهذيب بإسناده عن الحسن (الحسين) بن عليّ بن عبدالملك الزيّات، عن رجل، عن كرام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أربع لأربع، فواحدة للقتل والهزيمة ﴿حَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ إنّ اللّه يقول: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ ٱلنّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيماناً وَقالُوا حَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[١]. والأخرى: للمكر والسوء ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّهِ﴾ وَ فَوَّضْتُ أَمْري إِلَى اللّه، قال اللّه عزّوجلّ: ﴿فَوَقاهُ ٱللّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلعَذابِ﴾[٢]

والثالثة: للحرق والغرق ﴿ما شاءَ ٱللّهُ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّهِ﴾، وذلك أنّه يقول: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ ٱللّهُ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّهِ﴾.[٣] والرابعة: للغمّ والهمّ ﴿لا إِلٰهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾ قال اللّه سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ[٤]﴾».[٥]

و في تفسير روح البيان للحقّي:

روي أنّ ابن مسعود رضي الله عنه خرج مع بعض الأصحاب رضى الله عنهم إلى الصحراء، فطبخوا الطعام، فلمّا تهيّأوا للأكل رأوا هنالك راعياً يرعىٰ أغناماً، فدعوه إلى الطعام، فقال الراعي: كلوا أنتم فإنّي صائم، فقالوا له بطريق التجربة: كيف تصوم في مثل هذا اليوم الشديد الحرارة. فقال لهم: إنّ نار جهنّم أشدّ حرّاً منه، فأعجبهم كلامه. فقالوا له: بع لنا غنماً من هذه الأغنام نعطك ثمنه مع حصّة من لحمه. فقال لهم: هذه الأغنام ليست لي

---

١. آل‌عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤.

٢. المؤمن: ٤٥.

٣. الكهف: ٤٠.

٤. الأنبياء: ٨٨.

٥. تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٧١، ح ٣٢٩.

وإنّما هي لسيدّي ومالكي، فكيف أبيعُ لكم مالَ الغير، فقالوا له: قل لسيّدك: إنّه أكله الذئب أوضاع، فقال الراعي: أين اللّٰه؟ فأعجبهم كلامه زيادة الإعجاب ثمّ لمّا عادوا إلى المدينة اشتراه. ابن مسعود من مالكه معالأغنام فأعتقه، ووهب الأغنام له. فكان ابن مسعود يقول له في بعض الأحيانِ بطريق الملاطفة: «أين اللّٰه»؟[1]

---

١. روح البيان، ج ٨، ص ١٨٨.

[نتيجة تفويض الأمر إلى اللّه]

﴿فَوَقاهُ ٱللّٰهُ سَيِّـئاتِ ما مَكَرُوا وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذابِ﴾ ﴿٤٥﴾

و نتيجة تفويض الأمر إلى اللّٰه الوقاية والحراسة منه تعالىٰ. إنّ اللّٰه تعالىٰ وقاه وحفظه من السيّئات، ودفع عنه بإيمانه، وتصديق رسوله موسىٰ ما مكر به فرعونُ وملأه. إشارة إلى أنّهم قصدوه بالسيّئات لكنّ اللّٰه وقاه وحفظه ودفعهم عنه.

قيل: صرف اللّٰه عنه مكرهم فنجامع موسى حتى عبرالبحر معه.

وقيل: إنّهم هموّا بقتله فهرب إلىٰ جبل، فبعث فرعون رجلين في طلبه، فوجداه قائماً يصلّي وحوله الوحوش صفوفاً فخافا، ورجعا هاربين. وسنذكر بعض الروايات.

﴿وَحاقَ﴾: حلّ ونزل، قال الكسائي: يقال: حاق يحيق حيقاً وحيوقاً: إذا نزل ولزم. ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ آل الرجل أشياعه وأتباعه، وربّما يقال: آل فلان ويشمل نفسه فترك التصريح باسم فرعونَ للاستغناء بذكرهم عن ذكره؛ لأنّه أولى منهم بذلك؛ ولكونه متبوعاً لهم، ورئيساً ضالاً مضلّاً. والآية في الشمول كقوله تعالى: ﴿اَعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً﴾ وهو شامل لداود عليه السلام. ﴿سُوءَ العَذابِ﴾ أي العذاب السيّئ إضافة للصفة إلى الموصوف، كعذب الماء، أي العذاب السيّئ، في التوصيف بالمصدر مبالغة،

أي سوءالعذاب فيالدنيا والآخِرة.

و في أصول الكافي عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن علّي بن النعمان، عن أيّوب بن الحرّ، عن أبي عبداللّه عليه السلام في قول اللّه عزّوجلّ: ﴿فَوَقاهُ اَللّٰهُ سَيِّـئاتِ ما مَكَرُوا﴾ فقال: «أمّا لقد سلّطوا عليه، وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه. وقىٰ أن يفتنُوهُ في دينه».[1]

وفي محاسن البرقي، عن أبيه. عن عليّ بن النعمان إلى آخر مانقلناه عن الكافي.[2]

و في تفسير علّي بن إبراهيم: وَ قَوْلُهُ: ﴿فَوَقاهُ اَللّٰهُ سَيِّـئاتِ ما مَكَرُوا﴾ يعني مؤمن آل فرعون، فقال أبو عبداللّه عليه السلام: «واللّه لقد قطّعوه إرباً إرباً ولكن وقاه اللّه عزّوجلّ أن يفتنوه في دينه».[3]

و قال العلّامة المجلسي رحمه الله في حياة القلوب:

إنّ الأحاديث في باب قتل مؤمن آل فرعون ونجاته مختلفة. ويمكن أنّه نجا في أوّل أمره، وفاز بدرجة الشهادة في آخر أمره، فيكون المراد في وقايته من اللّه منهم وقاية دينه وعقيدته باستعانة من اللّهِ، واستقامته في دين اللّه، ومجاهداته الشاقّة المضنية.

و في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله: وبالإسناد الذي تقدّم عن أبي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «قال بعض المخالفين بحضرة الصادق عليه السلام لرجل من الشيعة: ما تقول فيالعشرة منالصحابة: قال: فيهم الخير الجميل الذي يحطّ اللّه به سيّئاتي، ويرفع به درجاتي، قال السائل: الحمدللّه على ما أنقذني من بغضك، كنت

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٢١٥، ح ١.

٢. المحاسن، ص ٢١٩، ح ١١٩.

٣. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٢٥٨.

أظنّك رافضيّاً تبغض الصحابة. فقال الرجل: ألامن أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة اللّه. قال: لعلّك تتأوّل ما تقول في من أبغض العشرة من‌الصحابة. فقال: من أبغض العشرة من‌الصحابة فعليه لعنة اللّه، والملائكة والناس أجمعين، فوثب فقبّل رأسه، وقال: اجعلني في حلّ ممّا قذفتك به من الرفض فيك اليوم. قال: أنت في حلّ وأنت أخي، ثمّ انصرف السائل وقال له الصادق عليه السلام: جوّدت للّه درّك، لقد عجبت الملائكة في‌السماوات من حسن توريتك، وتلفّظك بما خلّصك اللّه، ولم تنثلم (تثلم خ) ل) دينك، وزاداللّه في مخالفينا غمّاً إلى غمّ، وحجب عنهم مراد منتحلي مودّتنا في أنفسهم. قال بعض أصحاب الصادق عليه السلام: يا ابن رسول‌اللّه ما عقلنا من كلام هذا إلّا موافقة صاحبنا لهذا المتعنّت الناصب. فقال الصادق عليه السلام: لا، إن كنتم لاتفهموا ما عَنىٰ فقد فهمناها نحن، وقد شكره اللّه له، أنّ الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا إذا ابتلاه اللّه بمن تمتحنه من مخالفيه وفّقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويعصمه اللّه بالتقيّة. إنّ صاحبكم هذا قال: من عاب واحداً منهم فعليه لعنة اللّه، أي من عاب واحداً منهم هو أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبى‌طالب عليه السلام. وقال في‌الثانية: من عابهم أو شتمهم فعليه لعنة اللّه وقد صدق؛ لأنّ من عابهم فقد عاب عليّاً عليه السلام؛ لأنّه أحدهم، فإذا لم يعب عليّاً ولم يذّمه فلم يعبهم وإنّما عاب بعضهم، ولقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية، كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد اللّه، ونبّوة موسى، وتفضيل محمّد رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله على جميع رسل‌اللّه وخلقه، وتفضيل عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام والخيار من‌الأئمّة عليهم السلام على سائر أوصيآء النبيّين، ومن البراءة لربوبيّة فرعون، فوشىٰ به الواشون إلى فرعون و قالوا: إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويعين أعداءك على مضائقك (مضادّتك)، فقال لهم فرعون: ابن عمّي وخليفتي على مملكتي، ووليُّ عهدي إن فعل ما قلتم فقداستحقّ العذاب على كفره لنعمتي، وإن كنتم كاذبين فقداسْتحققتم أشدّ العذاب لإيثاركم

الدخول في مساءته، فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك وتكفر نعماءه، فقال حزقيل: أيّها الملك هل جرّبت عليّ كذباً قطّ؟ قال: لا. قال: فامثالهم من ربّهم؟ قالوا: فرعون. قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون. قال: ومن رازقكم الكافل لمعاشكم والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال حزقيل: أيّها الملك فأشهدك وكلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معائشهم هو مصلح معائشي، لاربّ لي، ولاخالق، ولارازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم، وأشهدك ومن حضرك أنّ كلّ ربّ وخالق ورازق سوى ربّهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيّته، وكافر بإلهيّته.

يقول حزقيل هذا وهو يعني أنّ ربّهم هوالله ربّي، ولم يقل: إنّ الذي قالوا هم إنّه ربّهم هو ربّي، وخفي هذاالمعنى على فرعون ومن حضره، وتوّهموا أنّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي.

فقال لهم فرعون: يا رجال السوء ويا طلّاب الفساد في ملكي، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي وهو عضدي، أنتم المستحّقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمّي، والفتّ في عضدي.

ثمّ أمر بالأوتاد، فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتداً، وفي عضدِهِ وتداً، وفي صدره وتداً وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّـئَاتِ ما مَكَـرُوا﴾ لمّا وشوا به إلى فرعون ليهلكوه، ﴿وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلعَذابِ﴾ وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومَها بالأمشاط».[1]

و ختاماً نقول: قصّة مؤمن آل فرعون كانت مثالاً كبيراً لِمؤمني هذه الأمّة ليعلموا

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ١٣٠. (طبعة النجف).

بأنّ الشرف والعظمة التي وصل إليها كانت بسبب الثبات والاستقامة الّتي أبداها في تدّينه، ووصل إلى هذه الدرجة التي أرادها اللّٰه تعالى له، ووصفه في القرآن الكريم، و بقي اسمه حسناً إلى يوم القيامة، وقال الرسول الكريم ﷺ: «الصـدّيقون ثـلاثة: حبيب نجّار مؤمن آل ياسين، وحزبيل مؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي طالب مؤمن آل محمّد عليه السلام وهو أفضلهم».

ثمّ يبيّن اللّٰه تعالى سوء العذاب الذي حاق بهؤلاء الأشقياء من آل فرعون بقوله تعالى:

[شدّة عذاب قوم فرعون في كلّ غدوّ وعشي]

﴿٤٦﴾﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُـدُوّاً وَعَشِـيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسّاعَةُ * أَدْخِلُوا الَفِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ﴾

و لهذا نرى ظهور السياق في ارتباط الآيتين السـابقة والحـاضرة، و﴿اَنَّ النّـارُ يُعْرَضُونَ عَـلَيْها﴾ بيان لسوء العذاب، فرفع النار بدل من قوله: ﴿سُـوءَ العَـذابِ﴾ أو خبر مبتدأ معروف كأنّما يقال: ما سوء العذاب، فيقال: هوالنار. ويمكن أن تكـون النار مبتدأ وخبره ﴿يُعْرَضُون﴾ والمعنى أنّ آل فرعون يعرضون على النار فيالدنيا في قبورهم صباحاً وعشيتاً وهي كناية.

وتقديم النار للاعتناء والتنبيه على شدّتها، والتهويل من شدّة العذاب في قـبور الدنيا. والعرض إظهار الشيء، وإبرازه حتى يراه الذي يظهر له. كما يقال: عـرضت الكتاب على ناظره. فيعرضون على النّار لينالهم من المـهاول وعـذابـها. والغـدوة والعشيّ كناية عن الدوام والتوالي من غيرانقطاع مادامت الدنيا، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِـيها بُكْرَةً وَعَشِـيّاً﴾ أي على الدوام.

و يظهر من ذكر الغدوة والعشيّ أنّ لأهل البرزخ نسبة ما إليها. فكأنّهم لم ينقطعوا عن الدنيا بالكلّيّة.

و في تفسير علّي بن إبراهيم قال: ذلك فيالدنيا قبل القيامة، وذلك أنّ القيامة لايكون فيها غدوّ وعشيّ؛ لأنّ الغدوّ والعشيّ إنّما يكون فىالشمس والقمر، وليس في جنان الخلد ونيرانهاشمس ولاقمر.[1]

هذا حالهم في قبور الدنيا وفيالآخرة، ويوم تقوم الساعة فيؤمر ويقال: ﴿أَدْخِلُوا الَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ﴾ أي أغلظه.

﴿أَدْخِلُوا﴾ بقطع الهمزة وفتحها وكسر الخاء، والخطاب للملائكة، وآل فرعون، مفعول له وقرئ بضمّ الهمزة ووصلها وضمّ الخاء، ونصب الآل حينئذ لنداء، بمعنى أنّ اللّه يأمرهم بذلك، أي اُدْخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب.

و في الميزان :أنّ الآية صريحة أوّلاً: في أنّ هناك عرضاً على النار ثمّ إدخالاً فيها، والإدخال أشدّ من العرض.

وثانياً: في أنّ العرض على النار قبل قيام الساعة التي فيها الإدخال، وهو عذاب البرزخ وهو عالم متوسّط بين الموت والبعث.

وثالثاً: أنّ التعذيب فيالبرزخ ويوم تقوم الساعة بشيء واحد، وهو نار الآخرة، لكن البرزخيّين يعذّبون بها من بعيد، وأهل الآخرة بدخولها.[2]

و في الكافي: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: سألته عن أرواح المشركين، فقال: «في النار يعذّبون، يقولون: ربّنا لاتقم لنا الساعة، ولاتنجز لنا ما وعدتنا، ولاتلحق آخرنا بأوّلنا».

عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن عبدالرّحمن بن أبي نجران، عن مثنّى،

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٣٩١.

٢. الميزان، ج ١٧، ص ٣٤٥.

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم يعرضون عليها، يقولون: ربّنا لاتقم لنا الساعة، ولاتنجز لنا ما وعدتنا، ولاتلحق آخرنا بأوّلنا».

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد بإسناده له، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «شرّ بئر في النار برهوت، الذي فيه أرواح الكفّار».

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شرّ ماءٍ على وجه الأرض ماء برهوت، وهو وادٍ بحضرموت يرد عليه هامّ الكفّار وصداهم».

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان قال: حدّثني من سمع أبا عبدالله عليه السلام، يقول: «إذا احتضر الكافر، حضره رسول الله وعليّ وجبرئيل وملك الموت عليهم السلام، فيدنومنه عليّ عليه السلام فيقول: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله. فأبغضه، ويقول جبرئيل: يا ملك الموت، إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فأبغضه و أعنف عليه. فيدنومنه ملك الموت، فيقول: يا عبدالله أخذت فكاك (رهانك؟) أخذت أمان برآءتك؟ تمسّك بالعصمة الكبرىٰ في الدنيا.

يقول: لاٰ. فيقول: أبشر، يا عدوّالله بسخط الله عزّوجلّ وعذاب النار، أمّا الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثمّ يسلّ نفسه سلّاً عنيفاً، ثمّ يوكّل بروحه ثلاثمأة شيطان كلّهم يبزق في وجهه، ويتاذّى بروحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من قيحها ولهبها»، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي عيسى، عن الحسن بن عليّ، عن غالب بن عثمان، عن بشير الدهّان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يجيء الملكان منكر و

نكير إلى الميّت حين يُدفن... إلى أن قال: فإذا كان الرجل كافراً دخلا عليه، وأقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بيض ظهرانيكم؟ فيقول: لاأدري، فيخلّيان بينه والشيطان، فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنّيناً لو أنّ تنّيناً واحداً منها نفخ فيالأرض ما أنبت شجراً أبداً، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها».

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الحسن بن شمّون، عن عبدالرّحمن، عن عبدالله بن القاسم، عن أبيبكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: أصلحك الله، من المسؤولون في قبورهم؟ قال: «من محض الإيمان ومن محض الكفر»: قال: قلت: فبقيّة هذا الخلق؟ قال: «يلهىٰ والله عنهم ولايعبأبهم». قال: قلت: وعمّا يسألون؟ قال: «عنالحجّة القائمة بين أظهركم، فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذلك إمامي. فيقال له: نم أنام الله عينيك. ويفتح له باب منالجنّة، فما يزال يتحفه من رَوْحها إلى يومالقيامة، ويقال للكافر، ما تقول في فلان بن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به وما أدري ما هو؟ قال: فيقال له: لادريت، قال: ويفتح له باب من النار، فلا يزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة».

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمّد، عنالحسين بن سعيد، عن إبراهيم ابن أبي البلاد عن بعض أصحابه، عن أبى الحسن موسىعليه السلام قال: «يقال: للمؤمن في قبره: من ربّك؟ ـ إلى أن قال: ـ ويقال للكافر: من ربّك؟ فيقول: الله ربّي. فيقال: من نبيّك؟. فيقول: محمّد نبيّي، فيقال: ما دينك؟. فيقول، الإسلام ديني. فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون فقلته، فيضربانه بمرزبة لواجتمع عليه الثقلان الإنس والجنّ لم يطيقوها قال: فيذوب كما يذوب الرصاص، ثمّ يعيدان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يا ربّ، أخّر قيام الساعة».

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد وسهل بن زياد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه،

جميعاً عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئابٍ، عن ضريس الكناسي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ للّه تعالى ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، ويأكلون من زقّومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجرهاجت إلى وادٍ باليمن يقال له: برهوت، أشدّ حرّاً من نيران الدنيا، كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادو إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة».

و في مجمع البيان: وعن نافع، عن ابن عمر، أنّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «إنّ أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك اللّه يوم القيامة».[١]

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٣٢٥ـ ٣٩٢.

[التحاجج والتخاصم بينهم عذاب من اللّه تعالى عليهم]

﴿وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِى النّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا نَصِيباً مِنَ النّارِ﴾ ﴿٤٧﴾

من أشدّ العذاب توبيخاً وتوقيعاً في أهل النار وقوع التحاجج والتخاصم بينهم. ويذكر اللّٰه سبحانه ﴿وَإِذْ يَتَحاجُّونَ﴾ بتقدير «اذكر» يا رسوُل‌اللّٰه كما هو الشأن في نظائر هذه الظرفيّة في‌الكلام المجيد، اذكر الوقت الذي يتحاجّ فيه أهل النار في‌النار الأتباع والرؤساء. وظاهر السياق وقوع هذا التحاجج بين آل فرعون ورؤسآئهم وأتباعهم، ولعلّه يدلّ على هٰذا تغيير السياق في قوله بعد: ﴿وَ قالَ الَّذِينَ فِى النّارِ﴾.

﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفاءُ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا﴾ وهم الرؤساء المظهرون الكبر باطلاً ﴿إِنّا كُنّا لَكُمْ﴾ معاشر الرّؤسآء «تبعاً» جمع تابع كحذم جمع خادم وحرس جمع حارس.

وفي القاموس: التبع محرّكةً: التابع. يكون واحداً وجمعاً، والمعنى أتباعاً على الكفر باللّٰه في‌الدنيا ممتثلين أو امركم، مجيبين لما تدعوننا إليه، ومسارعين في محبّتكم في‌الدنيا، ولولا أنتم لكنّا في‌الدنيا مؤمنين، ولايصيبنا اليوم هذا البلاء والعذاب، ولعلّ هذا مبالغة في تخجيل أولٓئك الرؤسآء وإيلام قلوبهم.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا نَصِيباً مِنَ النّارِ﴾ هم أنتم حاملون عنّا اليوم قسطاً من النار و بعضاً من العذاب الذّى نحن فيه إن لم تكونوا قادرين على الإغناء عن الجميع؟ أنتم الرؤسآء والكبراء لنا فيالدنيا وكنّا لكم تبعاً، ويلزم الرئيس الدفع عن أتباعه ومنقاديه.

فهل تكفوننا فيالمضائق والحوائج، وتنصروننا فيالشّدائد؟ وهل شدّة أشدّ ممّا نحن فيه؟ وهذا ممّاركز في نفوسهم فيالدنيا من الآلتجاء بكبرآئهم ومتبوعيهم من دوناللّه، فيظهر هذا المركوز منهم يوم القيامة وهم يعلمون أنّهم فييوم لايغني فيه نفس عن نفس شيئاً، والأمر يومئذٍ للّه، وهذا تخجيل واستهزاء للرؤساء ومستكبريهم.

و في مصباح شيخ اللطائفة خطبة لأميرالمؤمنينعليه السلام خطب بها يوم الغدير وفيها يقولعليه السلام: «و تقربّوا إلى اللّه بتوحيده وطاعة من أمركم أن تطيعوه «وَلاتَمَسّكُوا بِعَصِمِ الكوافر» ولايخلج بكم الغّي فتضلّوا عن سبيل الرشاد باتّباع أولئك الذّين ضلّوا وأضلّوا، قال عزّ من قائل في طائفة ذكرهم بالذمّ في كتابه: ﴿إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ إلى قوله: وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْيَتَحاجُّونَ فِى النّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنّا كُنّا لَكُمْ تبَعاً﴾ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا مِنْ عَذابِ ٱللّهِ مِنْ شَىءٍ قالُوا لَوْ هَداٰنا ٱللّهُ لَهَدَيْناكُمْ﴾ أفتدرون الاستكبار ماهو؟ هو ترك الطاعة لمن أُمِروا بطاعته، والترفّع على من ندبوا إلى متابعته، والقرآن ينطق من هذا عن كثير، إنْ تدبّره متدبّر زجره ووعظه».[1]

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٣٩٦.

[يأس المستكبر عن الدفع والإغناء]

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (٤٨)

و لكنّهم يجيبون يائسين عن الدفع والإغناء بأنّهم مخذولون مأخوذون فيالنار كالضعفآء. ﴿انّا كُلٌّ واقعون فيها﴾ ولو قدرنا لأغنينا أنفسنا، ودفعنا العذاب عن نفوسنا، وقد طاحت الأسباب وسقطت عنّا ما كنّا نتوهمّ لأنفسنا فيالدنيا من القوّة والقدرة. فنحن الجميع سواء.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ تثبيت لحكم اللّٰه وقضائه بين عباده وكلّ مأخوذ بسوء عمله، فهو يعاقب من الشرك به وعبد معه غيره، فلا يتحملّ أحد عن أحد عقاباً ولاجزاء. بل أسكن اللّٰه أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار، فلا أهل النار من العذاب والنار خارجون، ولاأهل الجنة من النعيم منتقلبون، ولامبدّل لحكم اللّٰه، ولاقوّة ولاقدرة لنا اليوم حتى نغني عنكم شيئاً من العذاب.

[طلب أهل النار من اللّه التخفيف عنهم]

﴿٤٩﴾﴿وَقالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ ٱلعَذابِ﴾

تشيرالآية الكريمة إلى وقوع الكلام بين أهل جهنّم وخزنته مضافاً إلى وقوع التحاجج والتخاصم بينهم ﴿وَقالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنّارِ﴾ منالأتباع والمتبوعين لخزنتها وقوّامها الذين يتولّون عذاب أهلها منالملائكة الموكّلين بها استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاءً أن يجدوا من عندهم فرجاً، وأضيفت الخزنة إلى جهنّم ولم يقل «لخزنتها» لأنّ في ذكر جهنّم تهويلاً وتعظيماً. ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ بطمع أن يقع منهم هذا الدعاء وبرجاء استجابة الربّ لدعائهم وهم الملائكة ودعاؤهم مستجاب.

وإنمّا سألوا هذا الدعاء من الخزنة لأنّهم يائِسون من ان يستجاب دعاؤهم وسيتدعون هذا الدعاء لشدّة فظعهم، وجزعهم، وعدم صبر لهم على شدّة العذاب لاطمعاً فيالتخفيف، فإنّهم يعلمون بالضرورة أنّ عقابهم غير منقطع وغير مخفّف عنهم. ﴿يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً﴾ واحداً، ولايوم ولاليل فيالنار، ولعّل المراد باليوم من العذاب ما يناسب من معنى اليوم لعالمهم الذّى هُم فيه.

[استخفاف واستهزاء الخزنة بأهل النار]

﴿٥٠﴾ ﴿قالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِـيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّناتِ قالُوا بَلىٰ قالُوا فَادْعُوا وَما دعٰؤُ ٱلكافِرِينَ إِلّا فِى ضَلالٍ﴾

﴿قالوُا﴾ قال الخزنة استخفافاً واستهزاءً لهـم. ﴿أَوَلَـمْ تَكُ تَـأْتِـيكُمْ﴾ فـيالدنـيا ﴿رُسُلُكُمْ بِالبَيِّناتِ﴾ بالدلالات على صدقهم، والحجج على توحيد اللّـه، ووجـوب إخلاص العبادة له. فتوحّدوه وتؤمنوا به وتتبرّأوا من الشرك وعبادة غيره؟ ﴿قـالُوا بَلىٰ﴾ قد جاءتنا الرسل بالبيّنات ﴿فَكَذَّبْناهُمْ﴾ وجحدنا نبوّتهم وأنكرنا بيّناتهم، كما نطق به قوله تعالىٰ: ﴿بَلىٰ قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ ٱللّٰهُ مِنْ شَىءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلّا فِى ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾.

﴿قالُوا فَادْعُوا﴾ قالت الخزنة: إذا اعترفتم بهذا فادعوا ربّكم بمٰا لاينـفعُكم، فـلم يجبهم الخزنة فيما سألوهم من الدعاء إثباتاً ولانفياً، بل ردّوهم إلى أنفسهم إشارة إلى أنّهم لايستجاب لهم دعاء.

﴿وَما دُعاءُ ٱلكافِرِينَ إِلّا فِى ضَلالٍ﴾ وضياعٍ، فإنّه دعاء مخاط بالضلال غير مهتد إلى هدف الإجابة، فلاينفعهم ولايستجاب لهـم، بَـلْ يـقال لهم: ﴿ٱخْـسَـؤُا فِـيها وَلاتُكَلِّمُونِ﴾ والجملة تفيد معنى التعليل بأنّهم كافرون والكافرون لايستجاب لهـم

دعاء، فإنّ كفرهم يمنع عن وقوع الطلب الجدّي منهم لرفع العذاب عنهم، أمّا في الدنيا، فظاهر، فإنّهم لايميلون ولايتوجّهون إلى هذا الطلب.

و أمّا في الآخرة، فقد لزمتهم صفة الإنكار، فلاتدع هذه الصفة أن يطلبوا جدّاً ما كانوا ينكرونه، مع أنّهمْ قد أيقنوا بالعذاب بالمعاينة، وانقطعوا إلى اللّه سبحانه، وهيهات أن يدعوا ويطلبوا دعاءً حقيقيّاً وطلباً خالصاً مع تلبّسهم بالكفر والوبال بحيث لايدعهم كفرهم أن يطلبوا رفع العذاب طلباً مبرماً.

و في الدروع الواقية لابن طاوس، قال:

ذكر أبو محمّد جعفر بن أحمد القمي في كتاب زهد النبيّ عن النبيّ ﷺ و قد نزل عليه جبرئيل وهو متغيّر اللون، وذكر حديثاً طويلاً قال: وفي الحديث: إنّ أهل النار إذا دخلوها و رأوا نكالها، وعلموا عذابها وعقابها، كما قال زين العابدين عليه السلام: «ما ظنّك بنار لاتبقي على من تضرّع إليها، ولاتقدر على التخفيف عمّن خشع لها، واستسلم إليها تلقى سكّانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال، وشديد الوبال يعرفون أنّ أهل الجنّة في ثواب عظيم، ونعيم مقيم، فيؤمّلون أن يطعموهم أو يسقوهم ليخفّف عنهم بعض العذاب الأليم، كما قال اللّه جلّ جلاله له في كتابه العزيز: ﴿وَنادىٰ أَصْحابُ ٱلنّارِ أَصْحابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ ٱللّٰهُ﴾ قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثمّ يجيبونهم بلسان الاحتقار والتهوين ﴿إِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُما عَلَى الكافِرِينَ﴾ قال: فيرون الخزنة عندهم وهم يشاهدون ما نزل بهم من المصاب، فيؤمّلون أن يجدوا عندهم فرجاً بسبب من الأسباب، كما قال اللّه جلّ جلاله: ﴿وَقالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ ٱلعَذابِ﴾ قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة، ثمّ يجيبونهم بعد خيبة الآمال ﴿قالُوا فَادْعُوا وَما دعٰؤُ ٱلكافِرِينَ إِلّا فِى ضَلالٍ﴾ قال: فاذا يئسوا من خزنة جهنّم رجعوا إلى مالك مقدّم الخزّان، وأمّلوا أن يخلّصهم من ذلك الهوان، كما قال جلّ جلاله: ﴿وَنادَوْا يا

مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنةً وهم في العذاب ثمّ يجيبهم، كما قال الله تعالى في كتابه المكنون: ﴿قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾ قال: فإذا يئسوا من مالك رجعوا إلى مولاهم ربّ العالمين الذي كان أهون شيء عندهم في دنياهم، وكان قد آثر كلّ واحد منهم عليه هواه مدّة الحياة وكان قد قرّر عندهم بالعقل والنقل أنّه أوضح لهم على يدالهداة سبل النجاة، وعرّفهم بلسان الحال أنّهم الملقون بأنفسهم إلى دارالنكال والأهوال، وأنّ باب القبول يغلق عن الكفّار بالممات أبد الآبدين، وكان يقول لهم في أوقات كانوا في الحياة الدنيا من المكلّفين بلسان الحال الواضح المبين. هب إنّكم ما صدّقتموني في هذا المقال أما تجوّزون أن أكون مع الصادقين، فكيف أعرضتم عنّي إعراض من يشهد بتكذيبي وتكذيب من صدّقني من المرسلين؛ وهلّا تحرّزتم من هذا الضرر المحذّر الهائل؟ أما سمعتم بكثرة المرسلين، و تكرار الرسائل ثمّ كرّر جلّ جلاله مواقفهم وهم في النار ببيان المقال، فقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آياتِى تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾ فقالوا: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنّا قَوْماً ضالِّينَ * رَبَّنا أَخْرِجْنامِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنّا ظالِمُونَ﴾ قال: فيبقون أربعين سنةً في ذلّ الهوان لايجابون، وفي عذاب النار لايكلّمون، ثمّ يجيبهم الله جلّ جلاله ﴿اِخْسَؤُا فِيها وَلاتُكَلِّمُونِ﴾ قال: فعند ذلك ييأسون من كلّ فرج وراحة، وتغلق عليهم أبواب جهنّم، وتدوم عليه مآتم الهلاك والشهيق والزفير والصراخ والنياحة.[1]

---

١. الدروع الواقية، ص ٢٥٣؛ بحارالأنوار، ج ٨، ص ٣٠٤؛ البرهان، ج ٤، ص ١٠٠.

[نصرة اللّه تعالى لرسله في الدنيا]

﴿إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْم﴾ ﴿٥١﴾

﴿يَقُومُ ٱلأَشْهادُ﴾

استئناف كلام من جهته تعالىٰ مسوق لبيان أنّ إصابة العذاب للكفرة الظالمين من فروع حكم كلّي تقتضيه الحكمة، وهو أنّ شأننا المستمرّ أن ننصر رسلنا والمؤمنين، ولذا أتى بلفظة «إِنّا» ولام التأكيد.

﴿إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وما معنى نصر الرسل مع أنّ بعضهم قتله أعداؤه، ومثّلوا به، وبعضهم قد همّ قومه بقتله، فكان أحسن أحواله أن يخلص حتى فارقهم ناجياً بنفسه، ومنهم عيسى عليه السلام الذي رفع إلى السّماء إذا أراد قومه قتله، فأين النصرة لرسل اللّه والمؤمنين باللّه فيالحياة الدائمة، وهؤلاء أنبياؤه قدنالهم من قومهم ما قد علمنا، ونقول: النصر المعونة على العدوّ، ونصر الرسل بوجوهٍ: نصر بالحجّة والبرهان، ونصر بالغلبة فيالمحاربة بحسب ما يعلم اللّه تعالى من المصلحة وتقتضيه الحكمة، ونصر بالألطاف والتأييد وقوّة القلب، وربّما يكون بإهلاك العدّو، كما تحقّقت هذه الأمور للأنبياء والمؤمنين من قبل اللّه تعالى، فهم المنصورون بالحجّة علىٰ من خالفهم، كما أنّهم نُصِروا أيضاً بالقهر على من ناوَأَهم أو بإهلاك

عدّوهم، أو بإنجائهم مع من آمن معهم أو بالانتقام لهم، كما نصر يحيى بن زكريّا لمّا قتل حين قتل به سبعون ألفاً، فهم المنصوُرون فيالدنيا بأحد هذه الأنحاء وذكرهم باق في المجتمعات البشريّة وعزيزٌ في ألسنة الأناسي بخلاف أعدائهم لانـطماس ذكرهم، وفناء عزّهم وسلطانهم.

فأمّا نصرالله إيّاهم يوم القيامة، فهو إعلاء كلمتهم، وظهور حقّهم، وعلوّ منزلتهم، وإعزازهم بجزيل الثواب، وإذلال عدوّهم بعظيم العقاب.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ الأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب، أو جمع شهيد كأشهاد وشهيد، وأيتام ويتيم، وهم الذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين وأهـل الحـقّ، وعلى المبطلين والكافرين بما قامت بهالحجّة يوم القيامة، ومـن الشـهداء حـفظة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، كلّ على حسب درجاتهم. وفي هذه الشهادة سـرور المحقّ وفضيحة المبطل في ذلك المجمع العظيم، والمحفل الكبير، وتخصيص الرسل والمؤمنين بالنصر يوم الشهادة ألذّوابهج عندهم، وإكرام عظيم، وتشريف كامل في حقّهم يوم المحشر عند حضور الجمع الهائل من أهل المشرق والمغرب.

[لاينفع معذرت الظالمين يوم القيامة]

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ ٱلظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدّارِ﴾ (٥٢)

﴿يَوْمَ﴾ بدلٌ لليوم الأَوّل، ذلك يوم لاينفع الظالمين من المشركين وغيرهم، وهم الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم بارتكاب المعاصي التي يستحقّ بها دوام العقاب. ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ واعتذارهم، فالمعذرة والاعتذار واحد، ولاتنفعهم المعذرة فيالآخرة مع كونها نافعة في دار التكليف؛ فإنّ الآخرة دارالإلجاء إلى الاعتذار، والملجأ غير محمود على العمل الذي أُلجئ إليه؛ لأنّ العمل ليس بداعي الحكمة إلى ما يمكنه أن يعمله، ولايعلمه فيضمن الحمد على فعله.

أو يكون المعنى أنّ الاعتذار باطل، ولو أنّهم جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلايُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ وهي الإهانة والإذلال والابتعاد عن رحمةاللّٰه، والحكم عليهم بدوام العقاب. ﴿وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدّارِ﴾ الدار السيّئة شرّ مٰا فيالدار الآخرة من العذاب الأليم، والعقاب الشديد.

فَقِس حال الرسل والمؤمنين وعلوّ درجاتهم في ذلك اليوم من نصراللّٰه لهم في يوم يجتمع فيه الأوّلون والآخرون، وحال هؤلاء الظالمين الذين حصلت لهم أمور ثلاثة لاينفعهم شيء من المعاذير، ولهم اللعنة، ولهم سوءالدار.

فانظر إلى حالهم من هذه المراتب الثلاثة من الوحشة والبليّة. وحال الأنبياء والمؤمنين بتخصيصهم وتشريفهم بألطاف إلهيّة روبوبيّة. ففي هٰذا اليوم يظهر أنّ سرور المؤمن ـ رزقنا اللّٰه مرافقهم ـ كو يكون؟ وغموم الكافرين ـ أبعدنا اللّٰه منهم ـ إلى أين تبلغ؟

و في تفسير البرهان:

عن عليّ بن إبراهيم: أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن جميل، عن أبي عبداللهعليه‌السلام قال: قلت: قول اللّٰه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهادُ﴾، قال: «ذلك واللّٰه في الرجعة، أما علمت أنّ أنبياء اللّٰه كثيرة لم يُنصَروا في الدنيا وقُتِلوا، وأئمّةً من بعدهم قوتلوا ولم يُنصَروا... ذلك في الرجعة».

أبوالقاسم جعفر بن محمّد بن قولويه في كامل الزيارات، قال: حدّثنى أبي عن سعد بن عبداللّٰه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن عليّ بن أبى حمزة، عن أبي بصير، عن أبى جعفرعليه‌السلام قال: تلاهذه الآية ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهادُ﴾ قال: «الحسين بن عليّ عليهما السلام قُتِلَ ولم يُنصَر بعد» ثمّ قال: «واللّٰه لقد قُتِلَ الحسينعليه‌السلام ولم يُطلَب بدمه بعد».

رجعة السيّد المعاصر، عن جعفر بن محمّد بن مالك، قال: حدّثنا محمّد بن قاسم بن إسماعيل، عن عليّ بن خالد العاقولي، عن عبدالكريم بن عمرو الخثعمي، عن سليمان بن خالد العاقولي، قال: قال أبو عبداللّٰهعليه‌السلام في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرّاجِفَةُ * تَتْبَعُها الرّادِفَةُ﴾ قال: «الراجفة: الحسين بن عليّعليهما‌السلام. والرّادفة: عليّ بن أبى طالبعليه‌السلام، وأوّل من ينشقّ عنه القبر وينفضّ عن رأسه التراب: الحسن بن عليّعليهما‌السلام في خمسة وسبعين ألفاً، وهو قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهادُ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ ٱلظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

سُوءُ ٱلدَّارِ﴾.

و قال عليّ بن إبراهيم أيضاً في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهادُ﴾ الأشهاد الأئمّة عليهم السلام.[١]

و في تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة:

و معنى ذلك أنّ الأشهاد جمع شاهد وهم الذين يشهدون بالحقّ على الخلق المحقّين والمبطلين، وهم الأئمة عليهم السلام؛ لأنّهم الشهداء على الناس يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى ٱلنّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٢] فإذا كانوا هم الشهداء على الناس، فهل ينفع الظالمين معذرتهم في ظلمهم لهم أم لا؟. وهو الحقّ؛ لأنّه قال عقيب ذلك: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ ٱلظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدّارِ﴾.[٣]

---

١. البرهان، ج ٤، ص ١٠١.

٢. البقرة، ١٤٣.

٣. تأويل الآيات الظاهرة، ج ٢، ص ٥٣٢.

[وراثة بني إسرائيل الكتاب]

(٥٣) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الهُدىٰ وَأَوْرَثْنا بَنِى إِسْرائِيلَ الكِتابَ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا﴾ نسب البارئ ـ جلّ شأنه ـ إرسال موسى وإعطائه الهُدىٰ إلى ساحته المقدّسة إحكاماً لأمره ونبوّته في قبال عناد فرعون وآله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الهُدىٰ﴾ أعطيناه ما يهتدي به من النّبوة التي هي أعظم المناصب الإنسانيّة، والتوراة التي فيها أدلّة واضحة على معرفة اللّٰه وتوحيده ومعالم دينهم ﴿إِنّا أَنْزَلْنا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ وَأَوْرَثْنا بَنِى إِسْرائِيلَ الكِتابَ﴾ أى التوراة التي تبقى معهم قزوناً متطالة وميراثاً لهم خلفاً عن سلف.

[استفادة أولي الألباب عن الهداية]

﴿هُدىً وَذِكْرىٰ لِأُولِى الأَلْبابِ﴾ ٥٤

هُدىً بيان لأمر دينهم، وهداية لهم إلى ما تقتضيه الحكمة الالهّية لهم مع أدلّة واضحة على معرفة اللّه وتوحيده. ﴿وَذِكْرىٰ﴾ إرشاد وتذكير للّذين لهم ألبابٌ يفقهون بها، وعقول يعقلون بها، فيتذكّرون لها هداهم اللّه إليه، وتخصيص ذوي الألباب والعقلاء بذلك؛ لأنّهم الذين يتمكّنون من الانتفاع به دون من لاعقل له. والهدى ما يكون دليلاً على الشيء وليس من شرطه أن يذكّر شيئاً آخر كان معلوماً ثمّ صار منسيّاً، وأمّا الذكرىٰ، فهي ما يكون كذلك، وكتب الأنبياء مشتملة على هذين القسمين، بعضها دلائل في أنفسها، وبعضها مذكّرات لما ورد في الكتب الإلهيّة المتقدّمة.

[في تنجّز وعداللّه تعالى]

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكارِ﴾ ۝٥٥

فإذا كان هذا شأننا بالنسبة إلى الرسل السابقين، وألطافنا في حقّهم وفي حقّ المؤمنين لهم، وإعطاؤنا الهداية والكتب لهم، فاصبر أنت يا رسول اللّه، ويا نبيّنا الأكرم لأمر ربّك وسبيلك، وتبليغ ما أمِرتَ بتبليغه، وتحمّل الأذىٰ والمشقّة في تكذيبهم إيّاك، ولاتحزن؛ لأنّ اللّه ناصرك وناصر من صدّقك وآمن بك، وأيقن بأنّ وعد اللّه من النصر فيالدنيا والثواب والجنّة لمن أطاعك، والنّار والعقاب لمن عصاك فيالآخرة حقّ منجّز لاخُلف له.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ واطلب المغفرة من ذنبك، إضافة المصدر أعنى «الذنب» إمّا إلىَ الفاعل أو المفعول، فالأوّل بمعنى استغفر لذنبك الذي اقترفته وارتكبته وهو ﷺ مصون عن هذا الاقتراف، ومعصوم من هذاالارتكاب، فالخطاب له والمراد إمّا بتقدير أمّتك، أو تعبّد من اللّه سبحانه لنبيّه ﷺ بالدعاء والاستغفار لمزيد الدرجات، و صيرورة هذا سنّةً لمن بعده.

وللعلّامة الطباطبائي كلام لطيف في أواخر المجلّد السادس من «الميزان» نعتذر عن .

نقله؛ لأنّه مفصّل ولاينبغي تلخيصه، ولايسعنا المجال لنقله بطوله وتفصيله فليراجع إليه.[١]

واما الثاني، اعنى اضافة المصدر إلى المفعول بمعنى استغفر لذنب من اقترفه بالنسبه اليك وتجاسَرَ في حقّك واذيٰك وقد اشار إلى هذا سيد اعلام الهدى المرتضى فى كتابه تنزيه الانبياء.[٢]

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نَزّه اللهَ تعالى واعترِفْ بنعمه وسبّح وصلّ بالحمد والشكر منك لربّك ﴿بِالعَشِيِّ﴾ من زوال الشمس إلى الليل. وَالْإِبكٰارِ من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، ولعلّ هذا كناية عن المداومة في جميع الأوقات، وتعليم الناس بالمواظبة على ذكر اللّه وأن لايفتر اللسان عنه، ولايغفل القلب حتى يدخل في زمرة الملائكة الذين قال سبحانه في وصفهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[٣]

و في المجمع: روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«قال اللّه جلّ جلاله: يا ابن آدم، اذكرني بعد الغداة ساعةً، وبعد العصر ساعةً أكفك ما أهمّك». وفي هذا تنبيه على أنّ مجامع الطاعات محصورة في قسمين: التوبة عمّا لاينبغى، والاشتغال بما ينبغي. والأوّل مقدّم على الثاني بحسب الرتبة الذاتيّة، فوجب أن يكون مقدّماً عليه في الذكر، كما قالوا في علم الأخلاق بتقدّم التخلية على التحلية، فالآية تذكّر السالكين إلى اللّه تعالىٰ بالاستغفار للذنب أوّلاً وهو التوبة عمّا لاينبغي، وبالتسبيح بحمد الربّ ثانياً، وهو الاشتغال بما ينبغي.

قد مرّ الكلام مفصّلاً في أوّل السورة حال المجادلين والمكذّبين بآيات اللّه. ونبّه سبحانه في هذه الآية على الداعية التي تحمّل أولئك الكفّار على المجادلة، فقال سبحانه.

---

١. الميزان، ج ٦، ص ٣٨٣ (طبعة طهران).

٢. تنزيه الأنبياء، ص ١١٧ (منشورات الرضي، قم).

٣. الأنبياء: ٢٠.

[عاقبة مجادلة الكافرين للمؤمنين بغير حجّة]

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِىآياتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾

يقول اللّٰه تبارك وتعالى مستعطفاً ومتلطّفاً لنبيّه الأكرم، ومطيّباً نفسه المقدّسة بتأييد وعد النصر المتقدّم فيالآية السابقة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ﴾ ويخاصمون في دفع وإبطال آياتِ اللّٰهِ التي أتيت بها يا رسولاللّٰه من عند ربّك ﴿بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ﴾ وبغير حجّة جاءتهم من عنداللّٰه حتى يخاصموك بتلك الحجة، ويتسلّطون بها على إنكار كلّ مذهب يخالف مذهبهم، فلايحزنك جدالهم، وطب نفساً من ناحيتهم. ﴿إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلّا كِبْرٌ﴾ يتكبّرون من أجله من اتّباعك، وعن قبول الحقّ الذي أتيتهم به حسداً منهم على الفضل الذي آتاك اللّٰه، والكرامة التي أكرمك اللّٰه بها. ومقتضى النفي والاستثناء حصر ما في صدورهم بالكبر، أي ليس في صدورهم إلّا الكبر، ومنشأ الجدال في آيات اللّٰه وعدم الخضوع للّٰه ولرسله هذا الداء المهلك، أعني التكبّر والترّفع عن التفكّر؛ خوفاً من أنّهم لو سلّموا نبوّتك لزمهم أن يكونوا تحت أمرك ونهيك، وهذا هو السبب الوحيد الموجب لمجادلتهم فيالتكبّر والترفّع، وليس عاملهم في ذلك طلب الحقّ أو

الارتياب في آياتنا والشكّ فيها حتى يريدوا بها ظهور الحقّ، ولاحجّة ولاسلطان عندهم حتى يريدوا إظهارها.

﴿ما هُمْ بِبالِغِيهِ﴾ الجملة صفة للكبر، والضمير راجع إليه، والمعنىٰ ما هم ببالغي ذلك التعظّم والتكبّر بذكر السبب واعتبار المسبّب، أي ماهم ببالغي إبطال الحقّ، ومحق الدعوة الحقّة. فإنّ الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولانائليه؛ لأنّه من فضل الله يؤتيه من يشاء، ويرفع به من يشاء، وما هو بالأمر الذي يحصل بالأمانيّ والكبر إنّما يعمله المتكبّر بداعي أن يعظّم حاله، وهؤلاء يصير حالهم إلى الإذلال والتحقير بكفرهم، فلا يبلغون ما في صدورهم من مقتضى كبرهم.

﴿فَاسْتَعِذ بِاللّٰهِ﴾ واستجر به (والْتَجِئ) إليه من شرّ هٰؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هوالسميع لدعآء عباده، ولما يقول هٰؤلآء المجادلون في ﴿آياتِ اللّٰهِ﴾ البصير بصير بما عباده فيه من شدّة أو رخاءٍ، وبصير بهؤلاء المجادلين، وبما يعملونه من شرورهم، ولايخفى عليه شيء من ذلك. وفي هذا وعد بكفاية شرّهم، وأنّ الاستعاذة والالتجاء إلى الله تعالى من شرور المتكبّرين المتعظّمين، ليست مخصوصة بالرسول، بل هو تعليم للجميع وقد التفتّ إلى الآية السابقة في السورة المباركة من قول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلحِسابِ﴾.

[جواب مجادلة الكافرين بخلق الناس]

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

مجادلة الكافرين في آيات اللّٰه كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها، فَحُجّوا بخلق السموات والأرض؛ لأنّهم كانوا مقرّين بأنّها خلق عظيم لايقادر قدره مع أنّ خلق الناس بالقياس إليه شيء، قليل مهين، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على الإنسان الضعيف أقدر. فإن ينكرون خلق الناس ولايقبلونه، أفلاينظرون إلى خلق السماوات والأرض لخلقها، وإيجادها، وابتداعها، وإنشائها من غير شيء أعظم فيالنفوس وأهول فيالصدور من خلق الناس وإن كان خلقهم عظيماً؟؛ لما فيه منالحياة والحواسّ المهيّأة لأنواع مختلفة من الإدراكات إلّا أنّ أمر السماوات والأرض أعظم وأعظم. وخلق الناس ابتداءً وإن كان عظيماً ولكنّه أعظم و أبهر من البعث والإعادة ثانياً.

﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لإبائهم عن التفكّر والنظر ولايتواضعون للاستدال على صحّة هذا الأمر، وقبول ما يعترف به الفطرة السليمة. وهذا هوالجدال في آيات اللّٰه بغير سلطان ولاحجّة. وليس هذا الجدال إلّا بمجرّد الحسد، والجهل، والكبر، والتعصّب، وفرط الغفلة واتّباع الأهواء.

[عدم تساوي العمى والبصير]

٥٨﴿وَما يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصّالِحاتِ وَلا ٱلمُسِيٓءُ قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ﴾

إنّ في خلق السماوات والأرض لآيات لمن يتواضع ويتدبّر ويعترف بأنّه لابدّلها من خالق وهواللّٰه. ولكنّ الكافر المعاند كالأعمى الذي لايبصر شيئاً، فهو لايتأمّل حجج اللّٰه بعينيه فيتدبّرها، ويعتبرها، فيعلم وحدانيّته، وقدرته على خلق ما شاء من شيء ويؤمن به ويصدّق.

﴿وَما يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالبَصِيرُ﴾ هل يتساوىٰ مثل هذا الأعمى والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص له ويبصره. وهذا مثل للمؤمن الذى يرى بعينه وببصره وبصيرته حجج اللّٰه، فيتفكّر فيها، ويتّعظ ويعلم ما دلّت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه، وقدرته على خلق ما يشاء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصّالِحاتِ وَلا ٱلمُسِيٓءُ﴾ فكما لايستوي الكافر والمؤمن والأعمىٰ والبصير، فلايستوى الذين آمنوا باللّٰه ورسله المطيعون لربّهم، ولاالمسيء الكافر بربّه، والعاصي له، المخالف أمره. وزيادة «لا»في ﴿وَلا ٱلمُسِيٓءُ﴾ للتأكيد، وأنّ المقصود الأهمّ عدم استوائه مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ﴾ الخطاب توبيخي وهوالوجه فيالالتفات من الغيبة إلى الحضور ﴿قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ﴾ أيّها الناس حجج اللّٰه فتعتبرون وتتعّظون بها. مع أنّكم لو تذكّرتم آياته، واعتبرتم لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة اللّٰه على إحيائه مَنْ فنى من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم مَنْ تشركونه في عبادة ربّكم.

[عدم علم الناس بإتيان يوم القيامة]

﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾

إنّ الساعة التي يحيي اللّٰه فيها الموتى للثواب والعقاب لآتية وجائية أيّها النّاس، لاريب ولاشكّ في مجيئها، فأيقنوا بمجيئها، وبأنّكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربّكم، والإتيان بأنَّ في أوّل الجملة، ولام التأكيد في‌الخبر ﴿لَآتِيَةٌ﴾ شاهد على هذا التأكيد.

﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ولايخضعون للآيات والحجج الداعية إلى الإيمان والاعتراف بها وحيث إنّ الساعة آتية لاريب فيها ولاشبهة، فأرشد اللّٰه تعالى عباده إلى ماهي الوسيلة إلى السعادة في دارالخلود، فأمر رسوله الكريم بإبلاغ قوله تعالى:

[إنّ يجيب دعوة من دعاه]

﴿٦٠﴾ ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾

﴿وَقالَ رَبُّكُمُ﴾ أيّها الناس أُدعوني بإخلاص وإيمان، واعبدوني خالصاً فيالعبادة من دون عبادة من دوني منالآوثان والأصنام ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أجب دعاءكم إذا اقتضت المصلحة إجابتكم، ومن يدعوالله ويسأله فلابدّ أن يشترط المصلحة إمّا لفظاً أو إضماراً وإلّا كان قبيحاً؛ لأنّه إذا دعا بما يكون فيه مفسدة، ولايشترط انتفاءها كان قبيحاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى﴾ أي يتكبّرون ويتعظّمون عن عبادتي، والإخلاص فيها، ولايخضعون لدعآئي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ صاغرين أذلّاء. والدّخور: الذلّة. وفيالآية دلالة على عظم قدرالدعاء عندالله تعالى، وعلى فضل الانقطاع إليه، وأنّ الدعاء عبادة، فينبغي النظر إلى الروايات الواردة فيالآية الشريفة، والمناسبة لها. فنقول بعون الله تبارك وتعالىٰ:

في تفسير عليّ بن إبراهيم رحمه الله:

حدّثنى أبي، عنالحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن ابن عينية، عن أبي

عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ ليمنّ على عبده المؤمن يوم القيامة، فيأمره أن يدنو منه، يعني من رحمته فيدنو حتّى يضع كفّه عليه، ثمّ يعرّفه ما أنعم به عليه، يقول له: ألم تدعني يوم كذاوكذا بكذاوكذا، فأجبت دعوتك؟
ألم تسألني يوم كذاوكذا فأعطيت مسألتك؟ ألم تستغث بی يوم كذا وكذا وبك ضرّ كذاوكذا فكشفتُ ضرَّك، ورحمت صوتك؟ ألم تسألني مالاً فملّكتك؟ ألم تستخدمني فأخدمتك؟ ألم تسألني أن أزوّجك فلانة وهي منيعة عند أهلها فزوّجناكها؟ قال: فيقول العبد: بلى يا ربّ، أعطيتني كما سألتك، وكنت أسالك الجنّة. فيقول الله له: فإنّي واهب لك ما سألتنيه الجنّة لك مباحاً أرضيتك؟ فيقول المؤمن: نعم، يا ربّ أرضيتني وقد رضيت. فيقول الله له: عبدي، إنّي كنت أرضىٰ أعمالَك، وإنّما أرضى لك أحسن الجزاء، فإنّ أفضل جزائي عندك أن أسكنك الجنّة. وهو قوله عزّوجلّ: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

حدّثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبی عبدالله عليه السلام قال: قال له رجل ـ جعلت فداك ـ إنّ الله يقول: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وإنّا ندعو فلا يستجاب لنا، قال: «لأنّكم لاتفَوْن لله بعهده، وأنّ الله يقول: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لو وفيتم لله لوفى الله لكم».

و في نهج‌البلاغة: «من أُعطي الدعاء لم يحرَم الإجابة، قال الله عزّوجلّ: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

و في من لايحضره الفقيه، خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام، خطب بها يوم الجمعة وفيها: «و أكثروا فيه التضرّع والدعاء، ومسألة الرحمة والغفران، فإنّ الله عزّوجلّ سيجيب لكلّ من دعاه، ويورد النار من عصاه، وكلّ مستكبر عن عبادته، قال الله عزّوجلّ: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾».

كتاب الاحتجاج للطبرسي، عن أبي عبدالله حديث طويل، وفيه قال
ألستَ تقول: يقول الله تعالىٰ:
ونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقد نرى المضطرّ يدعوه فلا يجاب له، والمطيع
ء على عدوّه فلا ينصره؟ قال: «و يحك ما يدعوه أحد إلّااستجاب له. أمّا
دعآؤه مردود إلى أن يتوب إليه. وأمّا المحقّ، فإنّه إذا دعاه استجاب له،
عنه البلاء من حيث لايعلمه، أو ادّخرله ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه، وإن
الأمر الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه، والمؤمن العارف بالله
عليه أن يدعوه فيما لايدري أصَواب ذلك أم خطاء»؟

أدعية الصحيفة السجّادية: «و قلتَ: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
رنَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾
بّت دعاءك عبادة وتركه استكباراً، وتوعدّت على تركه دخول جهنّم
».

قرب الإسناد للحميري: بإسناده إلى أبي عبدالله، عن أبيه عن النبيّ
مّا أعطى اللّه أمّتي وفضّلهم به على سائر الأمم، أعطاهم ثلاثَ خصالٍ لم
نبي ـ...إلى قوله: ـ كان إذا بعث نبيّاً قال له: إذا أحزنك أمرتكرهه فادعني
لك، وإنّ اللّه تعالىٰ، أعطى أمتّي ذلك حيث يقول:﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾».

كتاب جعفر بن محمّد الدوريستي بإسناده إلى حفص بن غياث النخعي قال:
الصادق، جعفربن‌محمّد يقول: «إذا أراد أحدكم أن لايسأل ربّه تعالى شيئاً
اه فلييأس من الناس كلّهم، ولايكون له رجاء إلّا عنداللّه عزّوجلّ، فإذا علم
ى ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلّا أعطاه».

مجمع البيان: وقد روى معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبي عبدالله:
اللّه فداك، ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً كان أحدهما أكثر صلاةً

الآخر أكثر دعاء، فأيّهما أفضل؟ قال: «كلّ حسن». قلت: قد علمت، ولكن أيّهما فضل؟ قال: «أكثرهما دعاء، أما تسمع قول اللّه تعالى: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» لى آخر الآية؟ وقال: «هي العبادة الكبرىٰ».

و روي عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: «هوالدعاء وأفضل لعبادة الدعاء».

و في أصول الكافي بإسناده إلى المعلّى بن خنيس: عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: قال اللّه عزّوجلّ: من استذلّ عبدي المؤمن فقد بارزني بالمحاربة ـ إلى قوله ـ عزّوجلّ: وإنّه ليدعوني في الأمر فأستجيب له بما هو خير له».

عليّ بن إبراهيم عليه السلام عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال «إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ قال: هوالدعاء، وأفضل العبادة الدعاء».

محمّدبن يحيى عن أحمدبن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل وابن محبوب، جميعاً عن حنّان بن سدير، عن أبيه، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أيّ العبادة أفضل؟ فقال: «و ما من شيء أفضل عنداللّه عزّوجلّ من أن يُسأل ويُطلب ممّا عنده، وما من أحد أبغض إلى اللّه عزّوجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ويسأل ما عنده».

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: سمعتُه يقول: «ادع ولاتقل: قد فرغ من الأمر، فإنّ الدعاء هو العبادة. إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ وقال: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾».

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن عبيد بن زرارة، عن أبيه، عن رجل، قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام «الدعاء هوالعبادة التي قال اللّه عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ ـ الآية ـ ادع اللّٰه عزّوجلّ ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه». قال زرارة: إنّما يعني لا يمنعك إيمانك بالقضاء والقدر إن تبالغ بالدعاء، وتجتهد فيه.

عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن عثمان بن عيسى، عمّن حدّثه، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام قال: قلت: آيتان في كتاب اللّٰه عزّوجّل أطلبهما فلا أجدهما. قال: «و ما هما»؟ قلت: قول اللّٰه عزّوجلّ: ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فندعوه ولانرى إجابة قال: «أفترى اللّٰه عزّوجل أخلف وعده؟». قلت: لا، قال: «فم ذلك؟» قلت: لا أدري. قال: «لكنّي أُخبرك، من أطاع اللّٰه عزّوجل فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه». قلت: وما جهةالدعاء. قال: «تبدأ فتحمد اللّٰه وتذكر نعمه عندك، ثمّ تشكره، ثمّ تصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ تذكر ذنوبك فتُقِرّبها، ثمّ تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء». والحديث طويل أخذ منه موضع الحاجة.

محمّد بن يحيىٰ عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن محمّد بن مسلم،قال: قال أبو عبداللّٰه عليه السلام: «إنّ في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ المدحة قبل المسألة، فإذا دعوت اللّٰه عزّوجلّ فمجدّه».

قلت: كيف أمجدّه؟ قال: «تقول: يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد، يا فعّالاً لما يريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلىٰ، يا مَنْ ليس كمثله شيء».

الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن حمّاد بن عثمان، عن الحارث بن المغيرة، قال: أبو عبداللّٰه عليه السلام: «إذا أردت أن تدعو، فمجّد اللّٰه عزّوجلّ واحمده، وسبّحه وهلّله وأثن عليه وصلّ على محمّد وآل محمّد ثمّ سل تُعْطَ».

أبو عليّ الأشعري عن محمّد بن عبدالجبّار عن صفوان عن عيص بن القاسم،

قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا طلب أحدكم الحاجة فليُثنِ على ربّه، وليَمدحهُ، فإنّ الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجّدوا اللّه العزيز الجبّار، وامدحوه، وأثنوا عليه. تقول: يا أجود من أعطى، ويا خير من سُئِل، يا أرحم من استُرحِمَ، يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا من لم يتّخذ صاحبة ولاولداً، يامن يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويقضي ما أحبّ، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلىٰ يا من ليس كمثله شيء، يا سميع يا بصير.

و أكثر من أسمآء اللّه، فإنّ أسماء اللّه كثيرة، وصلّ على محمّد وآله، وقل: اللّهمّ أوسِع عليّ من رزقِك الحلال ما أكّف به وجهي، وأؤدّي به عن أمانتي، وأصل به رحمي، ويكون عوناً لي في الحجّ والعمرة.

وقال ـ: إنّ رجلاً دخل المسجد فصلّى ركعتين، ثمّ سأل اللّه عزّوجلّ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عجّل العبد ربّه. وجاء آخر فصلّى ركعتين ثمّ أثنى على اللّه عزّوجلّ، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: رسول اللّه صلى الله عليه وآله: سَل تُعط».

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ أسباط، عمّن ذكره، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «من سرّه أن تستجاب دعوته فليطيّب مكسبه».

عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبداللّه بن المغيره، عن غير واحد من أصحابنا قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام: «إنّ العبد الولّي للّه سُبحانه يدعو اللّه عزّوجلّ في الأمر ينوبه، فيقول للملك الموكّل به: اقض لعبدي حاجته ولاتعجّلها، فإنّي أشتهي أن أسمع نداءه وصوته، وأنّ العبد العدوللّه ليدعو اللّه عزّوجلّ في الأمر ينوبه، فيقال للملك الموكّل به: اقض لعبدي حاجته وعجّلها؛ فإنّي أكره أن أسمع نداءه وصوته قال: فيقول الناس: ما أُعطِيَ هذا إلّا لكرامته ولامنع هذا إلّا لهوانِه».

محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن

سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لايزال المؤمن بخيرٍ ورجاء ورحمةٍ من الله عزّوجلّ مالم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء». قلت له: كيف يستعجل؟ قال: «يقول: قد دعوتُ منذ كذا وكذا وما أرى الإجابةَ».

الحسين بن محمّد عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن إسحاق بن عمّار، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «إنّ المؤمن ليدعو الله عزّوجلّ في حاجته، فيقول الله عزّوجلّ: أخّروا إجابته شَوقاً إلى صوته ودعائه، فإذا كان يوم القيامة. قال الله عزّوجل: عبد دعوتني فأخّرتُ إجابتك وثوابك كذاوكذا، ودعوتني في كذاوكذا فأخّرت إجابتك وثوابك كذا، قال: فيتمنّى المؤمن أنّه لم تُسْتجب له دعوة فيالدنيا ممّا يرى من حسن الثواب».

عليّ بن إبراهيم رحمه الله عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «لايزال الدعاء محجوباً حتى يصلّى على محمّد وآل محمّد».

عليّ بن محمّد، عن أبن جمهور، عن أبيه، عن رجاله، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من كانت له إلى الله عزّوجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد وآل محمّد، ثمّ يسال حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد؛ فإنّ الله عزّوجلّ أكرم من أن يقبل الطّرفين ويدع الوسط إن كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لاتحجب عنه».

و في الكافي: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن الحسن بن المغيرة أنّه سَمِعَ أباَ عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ فضل الدعاء بعدالفريضة على الدعاء بعدالنافلة، كفضل الفريضة علَى النافلة، قال: ثمّ قال: أُدعُه ولاتقل: قد فرغ منالأمر، فإن الدعاءَ هوالعبادة، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ وقال: ﴿آدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال: إذا أردت أن تدعوالله [illegible]ده، واحمده، وسَبِّحه، وهلّله، وأثن عليه، وصلّ

على النبيّ ﷺ ثمّ سَل تُعْطَ».

و في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي حديث طويل فيه:

قال الرضا عليه السلام: «يا جاهل، فإذا علم الشيء فقد أراده»؟ قال سليمان: أجل، قال: «فإذا لم يرده لم يعلمه»؟ قال سليمان: أجل. قال: «من أين قلت ذاك؟ وما الدليل على أنّ إرادته علمه؟ وقد يعلم ما لا يريده أبداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾ فهو يعلم كيف يُذهبُ به وهو لايُذْهب به أبداً».
قال سليمان: لأنّه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً. قال الرضا عليه السلام: «هذا قول اليهود، فكيف قال: ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: سليمان: إنمّا عنى بذلك: إنّه قادر عليه. قال: «أفَيَعِدُ مالا يفي به؟ فكيف قال: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلخَلْقِ ما يَشاءُ﴾ وقال عزّوجلّ: ﴿يَمْحُوا اللّٰهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ﴾ وقد فرغ من الأمر» فلم يحر جواباً.

و في كتاب الخصال: عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كنتُ عنده جفنة من رُطبٍ، فجاء سائل فأعطاه، ثمّ جآء سائل آخر فأعطاه، ثمّ جآء آخر فاعطاه، ثمّ جاء آخر فقال: «وسّع اللّه عليك، ثمّ قال: إنّ رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألفاً ثمّ شاء أن لايبقىٰ منه شيء إلّا قسّمه في حقّ فعل، فيبقى لا مال له، فيكون من الثلاثة الذين يُرَدَّ دعاؤهم عليهم». قال: قلت: جعلت فداك مَن هم؟ قال: «رجل رزقه اللّه مالاً فأنفقه في وجوهه ثمّ قال: يا ربِّ ارزقني، فيقول اللّه عزّوجلّ: أو لم أرزقك؟ ورجل دعا على امرأته وهو ظالم لها، فيقال له: ألَمْ أجعل أمرها بيدك؟ ورجلٌ جلس في بيته وترك الطّلب ثمّ يقول: يا ربِّ ارزقني، فيقول عزّوجلّ: ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب للرّزق»؟.

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يا معاوية من أُعطي ثلاثةً لم

يحرم ثلاثةً: من أُعطي الدعاء أُعْطِي الإجابةَ، ومن أُعطِي الشّكرَ أُعطي الزيادة، ومن أُعطِي التوكّل أعطِي الكفاية، فإنّ اللّه عزّوجلّ يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ويقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ويقول: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

عن علّي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال صلى الله عليه وآله في وصيّته له: «يا عليّ، أربعة لأتردّلهم دعوةُ: إمام عادل، ووالدُ لولدِه، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم، يقول اللّه جلّ جلاله: وعزّتي وجلالي لأنتصرنّ لك ولو بَعدَ حينٍ».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ أخفى أربعةً في أربعةٍ: أخفى إجابتَه في دعوتِه، فلا تستصغرنّ شيئاً من دعآئه، فربّما وافق إجابتَه وأنت لاتعلم».

عن أبى عبداللّه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله خمسة لايستجابُ لهم: رجل جَعل الله بيده طلاقَ امرأته فهى تؤذيه وعنده ما يعطيها ولم يُخَلِّ سبيلَها، ورجل أبقَ مملوكُه ثلاثَ مّراتٍ ولم يُبعِه، ورجل مرّ بحائطٍ مائلٍ وهو مُقبِلٍ إليه ولا يَسرع المشيَ حتى سَقَط عليه، ورجل أقرضَ رجلاً مالاً فلم يَشهد عليه، ورجل في بيته وقال: اللّهم ارزُقني ولم يطلُب».

عن نوف عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «يانوف، إيّاك أن تكونَ عَشّاراً، أو شاعراً، أو شُرطيّاً، أو عريفاً، أو صاحب عرطبةٍ وهي الطنبور، أو صاحب كوبةٍ وهو الطبل، فإنّ نبّي اللّه صلى الله عليه وآله خرج ذاتَ ليلةٍ فنظر إلى السماء فقال: إنّها الساعة التي لاتردّ فيها دعوة إلّا دعوة عريفٍ، أو دعوة شاعرٍ، أو دعوة عاشرٍ، أو دعوة شرطيّ، أو صاحبِ عرطبةٍ، أو صاحِب كوبةٍ».

و في كتاب ثواب الأعمال بإسناده إلى عليّ بن أسباط يرفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «من قرأ ماءة من القرآن من أيّ القرآن شاء، ثمّ قال: يا اللّه سبعَ مرّاتٍ فلو دعا على الصخرة لقلَعَها إن شاءاللّه».

و في كتاب التوحيد بإسناده إلى موسى بن جعفرعليه السلام قال: «قال قوم للصادقعليه السلام: ندعو فلا يُستجاب لنا، قال: لأنّكم تدعون من لاتعرفونه».

و في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى الحسن بن عليّ بن أبي حمزة الثمالي، عن أبيه، عن الصادقعليه السلام جعفر بن محمّدعليه السلام عن أبيه، عن آبائه قال: «قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله : حدّثني جبرئيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال: من علم أنّه لا إله إلّا أنا وحدي، وأن محمّداً عبدي ورسولي، وأنّ عليّ بن أبي‌طالبعليه السلام خليفتي، و أنّ الأئمّة من ولده حججي، أدخله الجنّة برحمتي، وأُنجيه من النار بعَفوي، وأَبَحت له جواري، وأوجبت له كرامتي، وأتممت عليه نعمتي، وجعلتُه من خاصّتي وخالصتي، إن ناداني لبيّتُه، وإن دعاني أجبتُه، وإن سألني أعطيتُه، وإن سكت ابتدأتُه، وإن أساء رحمته، وإن فرّمنّي دعوته، وإن رجع إليّ قبلتُه، وإن قرع بابي فتحته.

و من لم يشهد أن لاإله إلّا أنا وحدي، أو شَهِدَ بذلك ولم يشهد أنّ محمّداً عبدي و رسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ عليّ بن أبي‌طالب خليفتي، أو يشهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمّة من ولده حججي، فقد جحد نعمتي، وصغّر عظمتي، وكفر بآياتي و كتبي، إن قصدني حجبته، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع ندآءه، وإن دعاني لم أستَجِب دعآءه وإن رجاني خيّبتُه، وذلك جزآؤه منّي، وما أنا بظلّام للعبيد». والحديث طويل أخذتُ منه موضع الحاجة.

و في كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى أبي خالد الكابلي، قال: سمعتُ زين‌العابدين عليّ بن الحسينعليه السلام يقول: «الذنوب التي تردّ الدعاء سوءالنيّة، وخبث السّريرة، والنفاق مع‌الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرّب إلى اللّه عزّوجلّ بالبرّ والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في‌القبول». والحديث طويل.

و في شرح الآيات الباهرة: قال محمّد بن العبّاسرحمه الله: حدّثنا الحسين بن أحمد

المالكي، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمان، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن النعمان، قال: سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول: «إنّ اللّه عزّوجلّ، لم يَكِلْنا إلى أنفسنا، ولو وكلنا إلى أنفسِنا لكنّا كبعض الناس ولكن نحن الذين قال اللّه تعالى لنا: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾».[1]

وفي بحارالأنوار عن دعائم الإسلام: روي في كتاب التنبيه عن أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه خطب في يوم جمعةٍ خطبة بلغة، فقال في آخرها:

«أيّها النّاس، سبعُ مصائِبَ عظام نعوذ باللّهِ منها: عالم زلّ، وعابدٍ مَلَّ، ومؤمن خلّ، ومؤتمن علَّ، وغنّي أقلَّ، وعزيز ذَلَّ، وفقير اعتلَّ» فقام إليه رجل فقال: صدقتَ يا أميرالمؤمنين، أنت القبلة إذا ما ضللنا، والنور إذا ما أظلمنا، ولكن نسألك عن قول اللّه تعالى:

﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فما بالنا ندعو ملايجاب؟ قال: «إنّ قلوبكم خانت بثمان خصالٍ: أوّلها: إنّكم عرفتم اللّه فلم تؤدّوا حقّه كما أوجب عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً. والثانية: أنّكم آمنتم برسوله ثمّ خالفتم سنّته وأمتّم شريعته، فأين ثمرة إيمانكم؟ والثالثة، إنّكم قرأتم كتابه المنزَل عليكم، فلم تعملوا به وقلتم: سمعنا وأطعنا ثمّ خالفتم. والرّابعة: إنّكم قلتم: إنّكم تخافون من النّار وأنتم في كلّ وقت تقدّمون إليها بمعاصيكم، فأين خوفكم؟ والخامسة: إنّكم قلتم: إنكم ترغبون في الجنّة وأنتم في كلّ وقت تفعلون ما يباعدكم منها، فأين رغبتكم فيها؟ والسّادسة: إنّكم أكلتم نعمةَ المولى ولم تشكروا عليها. والسّابعة: إنّ اللّه أمركم بعداوة الشيطان، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾. فعاديتموه بلاقول، وواليتموه بلامخالفة. والثّامنة: إنّكم جعلتم عيوب النّاس نصب عيونكم وعيوبكم وراء

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٤٠٠ ـ ٤١١.

ظهوركم، تلومون من أنتم أحقّ باللوم منه، فأيّ دعاء يستجاب لكم مع هذا، وقد سددتم أبوابه وطرقه، فاتّقوا اللّه، وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا سرآئركم، وأمـروا بالمعروف وانْهوا عن المنكر، فيَسْتجيب اللّه لكم دعآءكم».[١]

---

١. بحارالأنوار، ج ٩٣، ص ٣٧٦.

[في بيان كون الليل سكنا والنهار مبصراً]

(٦١)﴿اللّٰهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّـيْلَ لِتَسْكُنُوا فِـيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللّٰهَ لَـذُو فَـضْلٍ عَلَى النّاسِ وَلٰـكِنَّ أَكْثَـرَ النّـاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾

أمر في الآية السابقة بالدعاء، ووعدالاستجابة للداعين؛ لأنّـه تـعالىٰ هـوالذي لاتصلح الألوهة إلّا له، ولاينبغي الدعاء والعبادة لغيره، فيقول تعالىٰ مخبراً عن نفسِه حتى يكون الداعي مسبوقاً بالمعرفة.

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِـيهِ﴾ من التعب الذي عرض لكم وجه النهار من جهة السعي، وتهدؤوا من التصرّف والتردّد والاضطراب للمعاش، ومن الأسباب التى كنتم تتصرّفون فيها في نهاركم، فتستريحون من كدّه وتعبه، ولهذه الغايات قرن الليل بمفعول له غاية لخلق الليل وجعله.

﴿وَالنَّهارَ مُبْصِراً﴾ نعمة من اللّٰه عليكم بأن جعل النهار مُـبصراً مُـضيئاً بشـمسه ذات البهجة والرواء تبصرون فيه مواضع حـاجاتكم، ومسـعى مـعاشكم بـالتردّد والحركة والسفر إلى جَوْب الأقطار. ولولا الإبـصار لمـا حـصل مكـنة التـصرّف فيالأمور على الوجه الأنفع، وجعل النهار مُبصِراً مقروناً بالحال دون الغاية لما كان يبصر فيه المبصرون، وإسناد الإبصار إلى النهار مجاز فيه مبالغةٌ، بمعنى أنّ المجوّز

في هٰذه المجازيّة المبالغة في الإبصار المنسوب إلى اليوم.

و قيل: في تقديم الليل على النهار في الآية الشريفة أنّ الظلّمة طبيعة عدميّة والنور طبيعة وجوديّة، والعدم في المحدَثات متقدّم على الوجود، ولهذا السبب قال في أوّل سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾ وهذه المناسبة علّة لقران الليل بالجملة الفعليّة ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ مفعولاً له، وقران لفظة النهار بلفظة مبصراً حالاً؛ فإنّ الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدميّة، فهو غير مقصود بالذّات. واليقظة وجوديّة ومقصودة بالذات، وقد بيّن الشيخ عبدالقاهر في دلائل الإعجاز: «إنّ دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال أقوى من دلالة صيغة الفعل عليهما».

﴿إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ﴾ متفضّل عليكم بمالا كِفاً له من الفضل والنعم الكثيرة التي لاتوازيها نعم من غير استحقاق منكم لذلك، ولاتقدّم طلبٍ، ففيه امتنان بالفضل العظيم الذي لايوصف.

﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ لايشكرونه بالطاعة له وإخلاص الألوهة والعبادة، بل يجحدون تلك النعم جهلاً منهم بالمنعم، ويكفرون بها إغفالاً عن مواقع النعم، وهذا تقريع لهم بعدم شكرهم له قبال هذا الفضل العظيم. وتكرير ذكر الناس وعدم الاكتفاء بذكر الضمير لتخصيص كفران النعمة بطبيعة الناس، وللإشارة إلى أنّهم هم الذين يكفرون فضل اللّٰه ولايشكرونه، فطبع الناس بماهم ناس كفران وعدم الشكر للخالق، كقوله تعالىٰ في موارد أخر: ﴿إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ﴾. و﴿إِنَّ ٱلإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ و﴿إِنَّ ٱلإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ﴾.

و في الدرّ المنثور حديث طويل ينبغي نقله وإن يطول بنا الكلام:

أخرج ابن مردويه عن عبداللّٰه بن مغفل، قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «إنّ عيسى بن مريم عليه‌السلام قال: يا معشر الحواريّين الصلاة جامعة، فخرج الحواريّون في هيئة العبادة قد تضمّرت البطون، وغارت العيون، واصفرّت الألوان، فسار بهم عيسى عليه‌السلام إلى فلاة من

الأرض، فقام على رأس جرثومة، فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ أنشأ يتلو عليهم آيات اللّه وحكمته، فقال: يامعشر الحواريّين اسمَعوا ما أقول لكم: إنّي لأجد في كتاب اللّه المنزل الذي أنزله اللّه في الإنجيل أشياء معلومة فاعملوا بها. قالوا: يا روح اللّه وما هي؟ قال: خلق الليل لثلاث خصالٍ، وخلق النهار لسبع خصالٍ، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه. خلق الليل لِتَسكن فيه العروقُ الفاترة التي أتبعتَها في نهارك، وتستغفر لذنبك الذي كسبتَه في النهار ثمّ لاتعود فيه، وتقنت فيه قنوت الصابرين، فثلث تنام، وثلث تقوم، وثلث تتضرّع إلى ربّك، فهذا ما خلق له الليل. وخلق النهار؛ لتؤدّي فيه الصلاة المفروضة التي عنها تُسأَل، وبها تُحاسَب، وبرّ والديك، وأن تضرب في الأرض تبتغي المعيشة معيشة يومك، وأن تعود فيه وليّاً للّه تعالىٰ كيما يتعهّدكم اللّه برحمته، وأن تشيّعوا فيه جنازة كيما تنقلبوا مغفوراً لكم، وأن تأمروا بمعروف وتنهوا عن منكر فهو ذروة الإيمان، وقوام الدين، وأن تجاهدوا في سبيل اللّه تزاحموا إبراهيم خليل الرحمن (عليه الصلاة والسّلام) في قبّته، ومن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة وهو عند مليك مقتدر».[١]

---

١. الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٥٦.

[إنّ اللّه تعالى خالق كلّ شيء فأينما تولّوا فثم وجه اللّه]

﴿ذٰلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ لا إِلـهَ إِلّا هُـوَ فَأَنّىٰ تُـؤْفَكُون﴾ ٦٢

ذلكم الذّي منّ عليكم بمنّه، وأنعم عليكم هذه النعم هو ربّكم، ومالِكُكُمْ، ومصلح أموركم، خالقكم، وخالق كلّ شيء والخلق لاينفكّ عن التدبير. ﴿لا إِلـهَ إِلّا هُـوَ﴾ فلا معبود ولاإله تصلح له العبادةُ عيره؛ لأنّه تعالىٰ إذا كان خالق كلّ شيء ومدّبر كـلّ شيء فلايكون فيالوجود ربّ غيره، لالكـم ولالغـيركم، والألوهـيّة مـن شـؤون الربوبيّة، فلا ربّ غيره، ولامعبود سواه. ﴿فَأَنّىٰ تُـؤْفَكُون﴾؟ فـإلى أيـن تـصرفون وتذهبون؟ وأيّ وجهٍ تأخذون؟ وكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غـيره؟ مـع وضوح الدلالة على خالقيّته وتوحيده وربوبيّته.

[عاقبة الجاحدين لآيات اللّه تعالى]

﴿كَذٰلِكَ يُـؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾

﴿كَذٰلِكَ﴾ كذهابكم أيّها القوم وانصرافكم عن الحقّ إلى الباطل، ومن الرشد إلى الضلال يؤفك الذين كانوا من قبلكم من الأمم، يصرفون مقهورون للدّعايات والدعاوي الباطلة فيحجدونَ بآيٰات اللّه، وينكرون حججه وأدلّته، ويكذّبونها فلايؤمنون، فسلكتم أنتم أيّها المشركون مسلكهم، وركبتم محجّتهم في الضلال.

[إنّ اللّه صوّركم في أحسن صورة ورزقكم من الطيبات]

٦٤﴿اللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ قَرٰاراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّباتِ ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾

﴿اللَّهُ ٱلَّذِى﴾ له الألوهة خالصةً متفردّة، أيّها الناس جَعَلَ لكم لنفعكم ولمصلحتكم ﴿ٱلأَرْضَ﴾ التي أنتم على ظهرها مستقرّين سكّاناً قَرٰاراً، هيّأها لكم بحيث تستقرّون عليها، وتسكنون فوقها، والقرار بمعنى الثبات، والسكون يجيء بمعنى ماقرّ فيه والمعنى موضع قرار ومكان ثبات وسكون والمطمئنّ منالأرض، كما في \القاموس. ﴿وَالسَّماءَ بِناءً﴾ بمعنى المبنيّ، أي قبّة مرفوعة فوقكم على ما قيل: إنّ البناء، بمعنى القّبة، ومنه أبنية العرب لقبابهم التي تضرب، وإطلاق ذلك لأنّ السماء في نظر العين كقبّة مضروبة على فضاء الأرض، وفيه إشارة لكرويّتها، والإطلاق مجازي على سبيل التشبيه وهو تشبيه بليغ، ﴿وَالسَّماءَ بِناءً﴾ بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها؛ لمصالحكم وقوام دنياكم إلى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ وبناء السماء لاستحكام النظام. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ خلقكم كلاًّ في صورة فأحسن خلقكم، والفاء تفسيريّة، فإنّ التصوير عين الإحسان، والإحسان عين التصوير، وتصوير اللّه لايكون إلّا حسناً، بل أحسن ﴿لَقَدْ خَلَقْنا ٱلإِنْسانَ

فِيأَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ صوّركم أحسن تصوير مقبولاً مرآة لجمال الجميل، وكلّ جميل من جمال اللّه، خلقكم منتصب القامة، باديً البشرة، متناسبي الأعضاء والتخطيطات، متهيّن لمزاولة الصناعات، واكتساب الكمالات، مجهّزين من دقائق التجهيز في صورتهم بما يقوون به من الأعمال المتنوّعة العجيبة على ما لايقوىٰ عليه سائر الموجودات الحيّة.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾ ورزقكم ممّا تستطيب نفوسكم إليه من حلال الرزق، و طيّبات المآكل والمشارب من أقسام الثمار، وفنون النبات، وأنواع اللحوم، وليس شيء من الحيوان له طيّبات المآكل والمشارب، مثل ما خلق اللّه سبحانه لابن آدم؛ لأنّ له أنواع الطيّبات واللذّات من الثمار، وفنون النبات واللحوم والدسوم بما لايحصى كثرةً، فهو يلتذّ من مزايا الحياة بما لايتيسّر لغيره أبداً.

﴿ذٰلِكُم اللّهُ رَبُّكُم﴾ أي ذلكم الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيّها الناس هذه النعم، هو اللّه الذي لاينبغي الألوهة إلّا له، ولاتصلح الربوبيّة إلّا له، وكلّ ما سواه مربوب مفتقر بالذات، معرّض للزوال، لاينفع ولايضرّ، ولايخلق ولايرزق.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللّهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾ فتبارك اللّه صفة خاصّة باللّه تعالى، أي تقدّس وتنزّه وتعالىٰ بذاته عن أن يكون له شريك في العبادة؛ إذ لاشريك له في شيء من تلك النعم ﴿رَبُّ العالَمِينَ﴾ مالك الخلائق ومربّيهم، والكلّ تحت ملكوته مفتقر إليه تعالى في ذاته ووجوده، وجميع أحواله بحيث لوانقطع فيضه جلّ شأنه عنه آناً لعدم بالكلّيّة وهو الدائم الثابت الذي لم يزل ولايزال.

و في المیزان: إنّ اللّه جلّ جلاله فرّع ربوبيّته للعالمين على ربوبيّته وتدبيره للإنسان إشارةً إلى أنّ الربوبيّة واحدة، وتدبيره لأمر الإنسان عين تدبيره لأمر العالمين جميعاً؛ فإنّ النظام الجاري نظام واحد روعي في انطباقه على كلٍّ انطباقُه على الكلّ، فهو سبحانه تبارك وتعالى منشأ للخير الكثير، فتبارك اللّه ربّ العالمين.

[طلب خلوص الدعاء للّه تعالى]

﴿هُوَ ٱلحَيُّ لا إِلـٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مَخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾

الإتيان بضمير الغائب للإشارة إلى أنّه تعالى غائب عن‌الحواسّ الظاهرة من جهة عظمته وكبريائه، وغائب عن‌الحواسّ الباطنة، لعدم دركه بحقيقته، وهو جلّ وعلا فوق إدراك المدركين.

﴿هُوَ ٱلحَيُّ﴾ الذي تفرّد بالحياة الذاتيّة لايدانيه موجود في ذاته وصفاته وأفعاله جلّ شأنه. وهو الحّي المتفرّد وحده، حيّ بذاته حياةً لايداخِلها موت، ولايزيلها فناء، وغيره كآئناً ما كان حيّ بإحيائه تعالى، فهو المستحقّ بذاته للعبادة، فإنّه الحيّ بذاته، ومُعطي الحياة لكلّ حيّ غيره بعنايته ولطفه، فلذا فرّع قوله: هوالحيّ بقوله: ﴿لا إِلـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهو المعبود بحقّ تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له، ولاموجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته. فاللّه الحّي المتفرّد المعطي لكلّ حياة هو المستحقّ بالاستحقاق الذاتي للدعاء، وبالتوحيد العملي، وإخلاص الدين له وحده، فقال سبحانه: فَادْعُوُه أيّها الناس ﴿مُخْلِصِينَ﴾ منصوب على‌الحالية ﴿لَـهُ ٱلدِّينَ﴾ مخلصين في دعائه، وعبادته، وطاعةٍ خاليةٍ من‌الشرك الخفيّ والجلّي، مفردين له

الألوهة، لاتشركوا في عبادته شيئاً سواه من وثنٍ، وصنمٍ، ولاتجعلوا له نداً، ولاعدلاً.

﴿ٱلحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلعالَمِين﴾ الشكر للّٰه الذي هو مالك العالمين ومربّيها قال الفرّاء: «و هو خبر، وفيه إضمار ،كأنّه قال: أُدعوه واحمدُوه على هذه النعم، وقولوا: الحمدللّٰهِ ربّ العالمين».

و في \المجمع: «روى مجاهد عن ابن عباس: من قال: لا إله إلّا اللّٰه فليقل على إثرها: الحمدللّٰه ربّ العالمين يريد قول اللّٰه: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الحمدللّٰه ربّ العالمين».

و في تفسير \البرهان:

عليّ بن إبراهيم، قال: حدّثني أبي عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود رفعه، قال: جآء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه‌السلام فسأله عن مسائِلَ ثمّ عاد ليَسأَلَ عن مِثلها، فقال عليّ بن الحسين: «مكتوب في الإنجيل: لاتطلبوا علم مالا تعملون ولمّا عملتم بما علمتم؛ فإنّ العالم إذا لم يَعمل به لم يَزدِد بعلمه من اللّٰه إلّا بُعداً». ثمّ قال: «عليك بالقرآن، فإنّ اللّٰه خلق الجنّة بيده لبنةً من ذهب ولبنةً من فضّة، وجعل ملاطَها المسكَ، وترابَها الزعفران، وحصاها اللؤلؤ، وجعل درجاتِها على قدر آيات القرآن. فمن قرأ القرآن قال له: اقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنّة لم يكن أحد في الجنّة أعلى درجةً منه ما خلا النبيّين والصدّيقين». وقال له الرجل: فما الزهد؟ قال: «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الرضى، ألا وإنّ الزهد في آيَة من كتاب اللّٰه ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلىٰ ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُم﴾ فقال الرجل: لاإله إلّا اللّٰه، وقال عليّ بن الحسين عليه‌السلام: «و أنا أقول: لا إله إلّا اللّٰه، فإذا قال أحدكم: لا إله إلّا اللّٰه، فليقل: ﴿ٱلحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلعالَمِين﴾ فإنّ اللّٰه يقول: ﴿هُوَ ٱلحَيُّ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَادْعُوهُ مَخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِين﴾».

[قال] الشيخ في مجالسه: قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضّل الليث بن محمّد بن الليث العنبري إملاءً من أصل كتابه، قال: حدّثنا أحمد بن عبدالصمد بن مزاحم الهروي سنةً إحدى وستّين ومائتين قال: حدّثنا خالي أبوالصلت عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: كنت مع الرضا عليه السلام لمّا دخل نيسابور وهو راكب بغلةً شهباء وقد خرج علماء نيسابور في استقباله، فلمّا صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا: يا ابن رسول‌الله، حدِّثنا بحقّ آبائك الطاهرين، حدِّثنا عن آبائِك (صلوات الله عليهم أجمعين)، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خزٍّ، وقال: حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة، عن أميرالمؤمنين، عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال: أخبرني روح‌الأمين عن اللّـه (عزّوجلّ، تقدّست أسمآؤه، وجلّ وجهه) قال: إنّي أنا الله بشهادة أن لا إله إلّا أنا وحدي. عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقيني عنكم بشهادة أن لا إله إلّا الله مخلصاً بها أنّه قد دخل الجنّة حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي». قالوا: يا ابن رسول‌الله، و ما إخلاص الشهادة لله؟ قال: «طاعةُ اللهِ ورسولِه، وولايةُ أهل بيتِه عليهم السلام».

محمّد بن يعقوب عن‌الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد وعدّة منْ أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، جميعاً عن الوشّاء. عن أحمد بن عائذ، عن أبي الحسن السوّان، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يا أبان إذا قدمتَ الكوفة فَارْوِ هذا الحديث: من شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً وجبت له الجنّة»، قال: قلت له: إنّه يأتيني من كلّ صنفٍ أفأروي لهم هذا الحديث؟ قال: «نعم يا أبان إذا كان يوم‌القيامة وجمع الله الأوّليـن والآخرين، فتسلب لا إله إلّا الله منهم إلّا من كان على هذا الأمر».[1]

---

١. البرهان، ج ٤، ص ١٠٢ـ١٠٣.

[الدعوة لصرف المشركين عن عبادة الأوثان والأصنام]

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ لَمّا جاءَنِىَ ٱلبَيِّناتُ مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾ ٦٦

أمر من اللّه جلّ شأنه لرسوله الكريم؛ ليصرف المشركين عن دعوتهم له لعبادة الأوثان والأصنام بِألْيَنِ قولٍ وألطِفه، قُلْ يا رسولاللّه للمشركين من قومك: ﴿إِنِّى نُهِيتُ﴾ نهاني اللّه أيّها القوم بطهارة الطينة، وفطرة العقل، والآيات البيّنات المنزلة ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ وأوّجه العبادة إلى ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ﴾ من هذه الأوثان والأصنام التي تجعلونها آلهةً، وصريح العقل يشهد بأنّ العبادة لاتليق إلّا به، وجعلُ الأحجاز المنحوتة والخشب المصوّرة شركاء له فيالمَعْبوديّة مستنكرة في بديهة العقل.

﴿لَمّا جاءَنِىَ ٱلبَيِّناتُ﴾ بعد تفضّل اللّه تعالى عليّ بهذه الآيات البيّنات آيات كتاب اللّه المنزل إليّ المشتملة على الحجج والبراهين المؤيّدة من أدلّة العقل من عند ربّي من ساحة ربّي وجهته، إشارة إلى أنّ دلائل التوحيد وشواهد أنوار الحقيقة لاتطلّع إلّا من مطلع الهداية الربوبيّة، وللملتمسين أن يتوجّهوا إلى ذلك الجانب بالإعراض عن السوى، وترك أصنام البدع والهوى.

وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ربّ كلّ شيء سواه فأستسلم، وأذلّ وأخضع لأمر ربّ العالمين الذي خلقكم وأوجدكم، ويملك تدبير الخلائق أجمعين. وفي الآية الشريفة إئياس للمشركين من موافقته ﷺ لهم في عبادة آلهتهم.

[في بيان مراحل خلقه الإنسان]

﴿٦٧﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

ثمّ عاد إلى ذكر الأدلّة فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ معاشر الخلائق ﴿مِنْ تُرابٍ﴾ خلق آباءكم من تراب، وأنتم نسله، وإليه ترجعون، وإليه تنتمون، فالمراد من خلقهم من ترابٍ خلقهم من أبيهم آدم، ويمكن أن يكون المراد من الخلق من ترابٍ تكوين النطفة الإنسانيّة من البسائط الممهّدة الأرضيّة، ثمّ خلقكم مِنْ ﴿نُطْفَةٍ﴾ أي ثمّ أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة الحقيرة ثمّ قلّبها إلى علقةٍ وهي القطعة من الدم ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ خلقكم بعد أن كنتم نطفاً ثمّ يخرجكم من بطون أمّهاتكم ومكمن مأمنكم ﴿طِفْلاً﴾ أي أطفالاً واحداً واحداً، ولذا اذكره بالتوحيد، كما قال: ﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾ لأنّ لكلّ واحد منهم أعمالاً قد خَسِرَبها.

قال يونس: «العرب تجعل «الطفل» الواحدَ والجماعة». قال اللّهُ تعالىٰ: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلىٰ عَوْراتِ النِّساءِ﴾[1]

---

١. النور: ٣١.

و في المصباح: قال ابن الأنباري: «يكون الطفل بلفظ واحدٍ للمذكّر والمؤنّث والجمع، وتجوز فيه المطابقة أيضاً». وقيل: «إنّ الطفل واحد لاجمع كماوهم».

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ متعلّق بفعل محذوف تقديره: ثمّ يُقيبكم لتبلغوا، فاللام للغاية. والأشُدّ جمع شدّة كأنعم ونعمة. والأشدّ من العمر زمان اشتداد القوى، وحال استكمال القوّة، فالمعنى: لتتكامل قواكم، ويتناهى شبابكم، وتمام خلقكم ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً﴾ طاغين فيالسنّ. وتشير الآية الكريمة إلى أنّ الإنسان على ثلاثِ مراتَب: الطفوليّة وهي مرتبة التزايد والنشؤ والنماء، والشبوبة والأشدّيّة مرتبة البلوغ إلى اشتداد القوىٰ واستكمال القوّة بلاضعف وهوان، ومرتبة الشيخوخة مرتبة التراجع وظهور آثار الضعف والنقصان.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أن يبلغ الشيخوخة والهرم، ومن قبْل أن يبلغ أشدّه. ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً﴾ أي يبلغ كلّ واحد منكم ما سمّي ووقّت له منالأجل الذي يموت عنده، وهوالأمد الذي لاسبيلَ للتغيّر إليه أصلاً. فالأجل المسمّى هوالميقات المعيّن للحياة، والأجل المحدود الذي لايتجاوز عنه، ولايتقدّم عليه، وهو غاية عامّة لجميع الناس كيفما عمرّوا. قال اللّه تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾[1].

و لذلك لم تعطف الجملة بثمّ حتّى تتميّز منالغايتين المذكورتين سابقاً.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وكي تعقلوا حجج اللّه عليكم بذلك، وتتدبّروُا آياته فتدركون الحقّ بالتعقّل المغروز فيكم. فتلتفتوا إلى ما أنعم اللّه عليكم من أنواع النعم، وعجائب أمر الحياة بمراحلها المختلفة والأطوار العجيبة من فنون الحكم والعبر حتى تلتفتوا إلى غاية خلقكم بحسب حياتكم المعنويّة، كما أنّ بلوغ الأجل المسّمى المشار إليه كان غاية حياتكم الدنيا الصوريّة.

---

١. الأنعام: ٢.

و في كنزالدقائق ونورالثقلين: في كتاب الخصال[1] عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «يؤتى بالشيخ يوم القيامة، فيدفع إليه كتابه، ظاهره ممّا يلي الناس، فلايرىٰ إلّا مساوئ، فيطول ذلك عليه، فيقول: يا ربّ، أتأمرنى إلى النار؟ فيقول الجبّار جلّ جلاله: يا شيخ، إنّي أستحيي أن أعذّبك وقد كنتَ تصلّي لي في دارالدنيا، اذهبوا بعبدي إلى الجنّة».[2]

١. الخصال، ص ٥٤٦، ح ٢٦.

٢. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٤١٣.

[في بيان أنّ إرادة اللّه تعالى فعله]

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ فَإِذا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٦٨

اللّه جلّ جلاله هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته، أو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته، أو الذي يفعل الإحياء والإماتة. وتقديم الضمير للحصر، فلا محيي ولا مميت إلّا اللّه ﴿فَإِذا قَضىٰ أَمْراً﴾ وإذا قضى وأراد كون امرٍ من الأمور الّتى يريد تكوينها. القضاء بمعنى إرادة وهي بمعنى الإيجاد والقضاء والإرادة من اللّه شيءٌ واحد ومعنى إراده أوقفه موقف تعلّق الإرادة فهو بمعنى أوجده. ﴿فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كان تامّة، أي يريد فيوجد من غير أن يتعذّر عليه ولا يمتنع. واللّه تعالىٰ لا يحتاج في إيجاد شيء ممّا أراده إلى ماوراء ذاته المتعالية من سبب يوجد الشيء له أو يعينه في إيجاده أو يدفع عنه مانعاً بمنعه والمراد من كلمة ﴿كُنْ﴾ هو نفس الإيجاد والوجود، فكلمة «كن» وهي نفس الإيجاد وهي نفس وجود الشيء الذي أوجده بغير معاناة ولا كلفة مؤونة. والفاء في ﴿فَيَكُونُ﴾ للتفرّع الرتبي. وليس المراد أنّ هناك أمر ينفصل عنه تعالىٰ يسمّى إيجاداً، ثمّ يتّصل الأمر بالشيء فيصير به موجوداً، فنفس الإيجاد وهي كلمة ﴿كُنْ﴾ هي وجود الشيء الذي أوجده لكن بما أنّه منتسب إليه

قائم به وأمّا من حيث انتسابه إلى نفس الشيء بما موجود ومخلوق، فظهر عـدم إمكان المراد من قوله تعالىٰ كلمة ﴿كُـنْ﴾ كلمة لفظيّة يتلّفظ بها. وإلّا احتاج نـفس التلفّظ وجوده إلى لفظ آخر، وهلّم جرّاً فيستلسل، ولا أنّ هناك مخاطباً ذا سـمع يسمع هذا الخطاب اللفظي حتّى لايكون اللفظ والخطاب مـتوجهّاً إلى المـعدوم، والخطاب بالمعدوم قبيح ومحال، واللّه تعالىٰ لايفعل القبيح والمحال فلايمكن أن يكون المراد الخطاب اللّفظي ولايمكننا فرض كون سامع مـخاطب حـتّى يسـمع الخطاب فيوجد به لاِدّائِه إلى الخلف المحال وكون الشيء موجوداً قبل وجـوده. فالمراد من كلمة ﴿كُنْ﴾ كما ذكرنا هو نفس إرادة الشيء التي هي نفسُ إيجاد الشيء ووجوده بلاتأخير ومهلة. فالكلام تمثيل لإفاضاته تعالى وجود الشـيء مـن غـير حاجة إلى شيء آخر وراء ذاته المتعالية، ومن غير تخلّف ومهلٍ.

و في كتاب التوحيد لابن بابويه رحمه الله عن موسى بن جعفر عليه السلام «فإرادة اللّه هيالفعل لاغير ذلك، يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ بلالفظ ولانطق ولاهمّة ولاتفكّر».[1]

١. التوحيد، ص ١٥٧، الباب ١١، ح ١٧ (طبع جماعة المدرّسين).

[في مذمّة الذين يجادلون في آيات اللّه تعالى]

﴿٦٩﴾ ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّٰهِ أَنّىٰ يُصْرَفُونَ﴾

خطاب للرسول الكريم وتعجب من أحوال المجادلين الشنيعة وآرائهم الركيكة، و تمهيد لما يعقّبه من بيان تكذيبهم بكلّ القرآن وبسائر الكتب والشرائع.

﴿أَلَمْ تَـرَ﴾ يا رسول‌اللّٰه، أنظر وأعجب من هٰؤلاء المكابرين في آياتنا الواضحة الموجبة للإيمان بها، الزاجرة عن الجدل فيها.

﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ يخاصمونك في حجج اللّٰه وآياته، ويعاندون في، دفعها وإبـطالها، والتعرّض لحال المجادلين هاهنا من حيث الإشارة إلى كونهم مصروفين عن‌الحقّ والهدىٰ من غير دليل وبرهان وذلك لما تقدّم من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي‌آياتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِـبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِـيهِ﴾ من حيث إنَّ الداعي لهم إلىٰ ذلك الكبر، وأنّهم لايبلغون ما يُريدون، فلا تكرار.

﴿أَنّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف يصرفون عنها؟ أيّ وجه يصرفون؟ ومن أين ينقلبون عن الحقّ والصراط المستقيم إلى الضلال، ويعدلون عن الرشد إلى العمى؟ فهذه المجادلة والصرف منهم للعناد والتخاصم في قبال الحقّ وإلّا لو كانوا يخاصمون في آيات اللّٰه بالنظر في صحّتها والتفكّر فيها لما ذمّهم اللّٰه تعالىٰ.

[في تهديد الذين كذّبوا برسل اللّه تعالى]

۞﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتابِ وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ نعت «للذين» الأولى. ﴿كَذَّبُوا﴾ بالكتاب وهو هـذا القـرآن؛ لأنّ سياق الآيات السابقة القريبة والتالية كون المراد من المجادلين هم المجادلون مـع النبيّ ﷺ، فالأنسب أن يكون المراد بالكتاب هوالقرآن.

﴿وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾ وكذّبوا أيضاً مع تكذيبهم بكتاب اللّه بـما أرسـلنا بـه رسلنا من الإيمان باللّه تعالى وتوحيده، وإخلاص العبادة له، والبراءة ممّا يعدّدونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد من اللّه للمشركين به، يقول جّل ثنآؤه: فسوف يعلم هٰؤلاء الذين يجالدون في آيات اللّه، المكذّبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به، وصحّة ما هم بـه اليـوم مـن تكذيبهم هذا الكتاب.

[بيان حال المكذّبون لرسل اللّه تعالى يوم القيامة]

﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ٧١

إذاالأغلال متعلّق بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ والمعنى على الاستقبال، والتعبير بلفظ «إذ» الدالّ على المضيّ للدلالة على تحقّقه حتّى كأنّه ماضٍ حقيقة، فهو بمعنى «إذا» الخاصّ بالمستقبل، فلاتنافر بين «سوف» الدالّة على الاستقبال وبين«إذ» الظرفيّة الخاصّة بالماضي، والمعنى: أي يعلمون حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنّم يسحبون. يجّر ويسحب هٰؤلاء الذين كذّبوا فيالدنيا وهم زبانيّة العذاب يوم القيامة فيالحميم وهوالمنتهي حرّه والبالغ غايته. ومكان ﴿يُسْحَبُونَ﴾النصب علىالحالية. والأغلال جمع غلّ وهو طوق يدخل فيالعنق للذلّ والألم والأذىٰ. وأصله الدخول من قولهم: انغلّ فيالشيء إذا دخل فيه. والغلول: الخيانة التي تصير كالغلّ في عنق صاحبها، والأعناق جمع عنق وهو مركب الرأس، العضو الفاصل بين البدن وبينه. والسلاسل جمع سلسلة وهي حلق منتظمة في جهة الطول مستمّرة، ويقال: تسلسلت المعاني إذا استمرّت شيئاً قبل شيء، كالسلسلة الممدودة.

[المكذّبون يسجرون في النار]

﴿فِى الحَمِـيمِ ثُمَّ فِى النّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ٧٢

﴿ثُمَّ فِى النّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يقذفون في‌النار، ويلقون فيها، أو تسجر بهم جهنّم، أي توقد بهم جهنّم؛ فإنّ السجر إلقاء الحطب في معظم النار، كالتنّور الذي يسجر بالوقود، وسجّرت التنّور: أو قدته. وسجّرته: مَلَأْتُه بالوقود، ومنه البحر المسجور، أي المملوء. ويقال للصديق: السجير كأنّه سُجِر بالحبّ. فهٰؤلآء الكّفار لجهنّم كالسجار للتنّور ووقوده، كما يؤيّده قوله تعالىٰ: في صفة جهنّم ﴿وَقُودُها النّاسُ وَالحِجارَةُ﴾[1]

و قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[2]

---

١. البقرة: ٢٤.

٢. الأنبياء: ٩٨.

[مذمّة الشرك باللّه تعالى]

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ٧٣

ثمّ قيل لهم: ـ إنّما يقال لهم توبيخاً وتقريعاً على ما كان من المشركين في الدنيا من الكفر باللّه، وطاعة الشيطان لإيلام قلوبهم كإيلام أبدانهم بالتعذيب ـ ﴿أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾ أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إيّاها من دون اللّه من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم وينقذوكم ممّا أنتم فيه من البلاء، ويخلّصوكم وينصروكم من عذاب اللّه مع ما كنتم تزعمون أنّهم سيشفعون لكم قبال عبادتكم لهم.

[بيان أقوال الكافرين يوم القيامة وكيفيّة استدلالهم]

﴿مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قالُوا ضَـلُّوا عَنّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذٰلِكَ يُـضِلُّ ٱللَّهُ ٱلكافِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾

قالوا: ضلّوا عنّا فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ﴿ضَـلُّوا عَـنّا﴾ غـابوا عـن عيوننا، وهلكوا، ولانراهم من قولهم: ضلّ الدار وضلّت الدابّة إذا لم يعرف مكانهما، و تركونا في هذا البلاء، ولانقدر عليهم ثمّ يستدركون ويضربون عن هذاالجـواب ويقولون: بل ما ضلّوا عنّا، ولكنّا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئاً، إى لم نكن نعبد شيئاً يستحقّ العبادة، ولاما ينتفع بعبادته وكانوا معنا. فتبيّن اليوم أنّهم لم يكونوا شيئاً، وما كنّا نعبد بعبادتهم شيئاً، كما تقول: حسبت أنّ فلاناً شيء فإذا هـو ليس بشيء، إذا جرّبته لم تجد عنده خيراً، وهذا الجواب منهم لِما يـظهرلهم أنّ الآلهـة الذين كانوا يزعمونهم شركاء لم يكونوا إلّا أسماء لامسمّيات لها، ومفاهيم لايطابقها شيء، ولم تكن عبادتهم لها إلّا سدىً، ولذلك نفوا أن يكونوا يعبدون شيئاً.

﴿كَذٰلِكَ يُـضِلُّ ٱللَّهُ ٱلكافِرِينَ﴾ يقول: كما أضلّ هؤلاء الذين ضلّ وغاب عنهم في جهنّم ما كانوا يعبدون فيالدنيا من دون اللّٰه من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم حتى لو طلبوا الآلهة، أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا، كذلك يضلّ اللّٰه أهل الكفر به

عنه، و عن رحمته، وعبادته، فلايرحمهم فينجيهم من النار، ولايغيثهم فيخفّف عنهم ماهم فيه من البلاء.

و في تفسير كنزالدّقائق: وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد وسهل بن زياد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب (عن ضريس الكناسي) قالوا: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ للّه ناراً فيالمشرق..... إلى أن قال: ـ فأمّا النصّاب من أهل القبلة، فإنّهم يُخَدّ لهم خدّ إلى النار التي خلقها (اللّه) فيالمشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمّ مصيرهم إلى الحميم، ﴿ثُمَّ فِى النّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾، أي أين إمامكم الذي اتّخذتموه دون الإمام الذي جعله اللّه للناس إماماً»؟ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة، وتمام الحديث في البرهان، فراجع.

و في بصائر الدرجات: عليّ عن العبّاس بن عامر، عن أبان، عن بشير النبّال، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «كنت خلف أبي وهو على بغلته، فنفرت بغلته، فإذاً شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه. فقال: يا علّي بن الحسين، اسقني اسقني. فقال الرجل: لاتسقه لاسقاه اللّه، وكان الشيخ معاوية».

الحجّال عن الحسن بن الحسين، عن ابن سنان، عن عبدالملك القمّي، عن إدريس، عن أخيه، قال: سمعتُ أباعبداللّه عليه السلام يقول: «بينا أنا وأبي متوجّهان إلى مكّة. وأبي قد تقدّمني في موضع يقال له: ضَجنان؛ إذا جاء رجل في عنقه سلسلة يجرّها، فأقبل عليَّ، فقال لي: اسقني، اسقني، قال: فصاح بي أبي: لاتسقه، لاسقاه اللّه، ورجل يتبعه حتى جذب سلسلته وطرحه في أسفل درك من النار».

أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن علّي بن المغيرة قال: نزل أبو جعفر عليه السلام بوادي ضجنان، فقال ثلاثَ مّراتٍ: «لاغفر اللّه لك» ثمّ

قال لأصحابه: «أتدرون لِمَ قلتُ ما قلتُ»؟ فقالوا: لِمَ قلتَ، جعلنا اللّٰه فداك؟ قال: «مرّ معٰاوية يجرّ سلسلة قد أدلىٰ لسانه يسألني أن أستغفرله، وأنّه يقال: إنّ هذا وادٍ من أودية جهنّم».

و في تفسير علّي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتابِ وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿يُضِلُّ اللّٰهُ الكافِرِينَ﴾: «فقد سمّاهم اللّٰه: كافرين مشركين بأن كذّبوا بالكتاب، وقد أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك كافر».[1]

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٤١٤ـ٤١٦.

[في مذمّة الكافرين ببيان مامضى عليهم في الدنيا]

﴿ذٰلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٧٥)

في كنز الدقائق:

«ذٰلِكُم» هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيّها المشركون المجادلون من تعذيبنا تعذيبناكم العذاب الذّي أنتم فيه بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي. «الباء» في «بما» للسببيّة أو المقابلة. وقال الراغب: الفرح انشراح الصّدر بلّذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك فى اللذّات البدنيّة.

و قال: المرح: شدّة الفرح والتوسّع فيه.[1] انتهى.

والفرح في الآية مقيّد بكونه بغير الحقّ، والمرح مطلق؛ لأنّ الفرح قد يكون بحقٍّ فيحمد عليه، وقد يكون بالباطل فيذمّ عليه، والمرح هو البطر والخيلاء، فلا يكون إلّا باطلاً، وبين الفرح والمرح في الآية الشريفة تجنيس حسن. ﴿بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وبمرحكم في الدنيا من الإشرار والبطر والفخر والخيلاء، والعمل في الأرض

---

١. كنز الدقائق، ج ١١، ص ٤١٥ـ٤١٦.

بالخطيئة، والمعنى: بما كنتم تعملون بالخطايا، وتبطرون وتأشرون. والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ؛ لأنّ ذمّ المرء في وجهه تشهير وتفضيح، كما قيل: النصح بين الملأ تقريع وتفضيحٌ.

و في البرهان و كنز الدّقائق: في تفسير عليّ بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الفرح والمرح والخيلاء كلّ ذلك في الشرك والعمل في الأرض بالمعصية».

و في كتاب الخصال: عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «و شعب الطمع أربع: الفرح، والمرح، والحاجة، والتكبّر، والفرح مكروه عند اللّه تعالىٰ، والمرح خيلاء».[1] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

---

١. المصدر، ص ٤١١ـ ٤١٦.

[سوء حال المشركين والمستكبرين يوم القيامة]

﴿فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوىَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٦)

ادخلوا أبواب جهنّم وهي دركاتها لكلّ باب منهم جزء مقسوم.

﴿خالِدِينَ فِيها﴾ مؤبّدين فيها لا انقطاع؛ لكونكم فيها، ولانهاية لعقابكم ونصب «خالدين» علىالحالية، والعامل فيه مقدّر، كأقيموا أو البثوا خالدين، ولايمكن أن يكون العامل «أُدخلوا»: لعدم الخلود حال الدخول إلّا أن يكون «أُدخلوا» مجازاً بمعنى «أقيموا».

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوىَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنّم، فالمخصوص بالذمّ محذوفٌ بقرينة السابقة. فبئس مقام المتكبّرين فيالدنيا، الذين تكبّروا عن عبادةاللّٰه، وتجبّروا عنالانقياد له، كما أشار إليه في الآية المتقدّمة: ﴿إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾، وحيث صدرالآية الشريفة بـ«أُدخلوا» كان مقتضى النظم الجليل أن يقال: فبئس مدخل المتكبّرين؛ ليتجاوب ويتلاءم الصدرُ والذيلُ، وعبّر «بالمثوى» لسببيّة الدخول المقيّد بالخلود للثواء، فصحّ التجاوب والتلاؤم معنىً بين الصدر والذيل.

[أمر اللّه تعالى رسوله بالصبر في تحمّل أدى المشركين]

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ٧٧

ثمّ أمرالله سبحانه رسولهﷺ بالصبر، وتحمّل أذى المشركين، فقال: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسولاللّٰه على مجادلة هٰؤلاء المشركين، ومكابرتهم في آيات اللّٰه التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إيّاك، وأذاهم؛ فإنّ اللّٰه منجزلك فيهم ما وعدك من الظفر، والعلوّ عليهم، وإحلال العقاب بهم.و معنى ﴿فَاصْبِرْ﴾ أثبت الحقّ وتحمّل عليه. فسّماه صبراً للمشّقة التي تلحق فيه كما تلحق بتجرّع المرّ.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ إنّ ما وعداللّٰه به المؤمنين على الصبر من الثواب والجنّة، وتوعّد الكفّار منالعقاب حقّ لاشكّ فيه، بل هو كائن لامحالة إمّا فيالدنيا، وإمّا فيالآخرة، ولهذا قال: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ «فإمّا نرينّك» يا رسولاللّٰه في هذه النشأة الدنيويّة في حياتك بعض الذي نَعِدُ هٰؤلاء المشركين من العذاب فيالدنيا بالنقمة والقتل والأسر والقهر، وأصل ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فإن نرينّك و«ما» مزيدة لتأكيد الشرطيّة، ولذلك لحقت النون الفعل، ولم تلحق مع إن وحدها، ولايقال: إن نرينّك. وإنّما قال: ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾؛ لأنّ المعجلّ من عذابهم فيالدنيا هو

بعض ما يستحقّونه، ولايمكن تعجيل جميع ما يستحقّونه من العذاب في الدنيا؛ لعدم تحمّل عالم الدنيا لجميع عذاب الآخرة.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وإن لم نفعل ذلك بهم وقبضناك إلينا قبل أن يحلّ ذلك بهم ﴿فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ فإلينا مصيرك ومصير هم، فنفعل بهم ما وعدناهم العقاب وأليم العـذاب. ونحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحقّ بتخليدنا إيّاهم في النار، وإكرامناك إيّـاك فـي جوارنا في جنّات النعيم.

و ظهور جملة ﴿فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ في كونها جواباً لكلتا الشرطيتين ﴿فَإِمّا نُرِيَـنَّكَ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ بمعنى أن نعذّبهم في حياتك وإن لم نعذّبهم فإنّا نعذّبهم في الآخرة أشدّ العذاب، ويدلّ على شدّة العذاب.

الاقتصار بذكر مجرّد الرجوع في هذا المعرض. ويمكن كـون الجـملة جـواباً لـ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وجواب لـ﴿نُرِيَـنَّكَ﴾ محذوف مثل فذاك.

و في تفسير كنز الدقائق:

و في تفسير عليّ بن إبراهيم: حدّثني أبي عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ـ جعلت فداك ـ ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهـم إمـام، ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: «أمّا هٰؤلاء، فإنّهم في حفرهم لايخرجون منها، فمن كان له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنّه يُخَدُّ له خَدّ إلى الجنّة التي خلقها اللّٰه بالمغرب، فتدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى اللّٰـه فـيحاسبه بـحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار، فهٰؤلاء الموقوفون لأمر اللّٰه ـ قال: ـ وكذلك يفعل بالمستضعفين، والبُله، والأطفال، وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، وأمّا النصّاب من أهل القبلة، فإنّهم يُخَدّلهم خَدَّ إلى النار التي خلقها اللّٰه في المشرق، فيدخل عليهم اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمّ بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم.

﴿فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ثم قيل لهم: ﴿أَيْنَ ما كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي إمامكم الذي اتّخذتموه دون الإمام الذي جعله الله لكم وللنّاس إماماً؟ ثمّ قال لنبيّه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يعني من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾».[1]

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٤١٧.

[إنّ اللّه تعالى يذكر نبيّه قصص بعض الأنبيا]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللّهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُونَ﴾ ۷۸

و لقد أرسلنا يا رسولَاللّه رسلاً من قبلك إلى أممهم ﴿مِنْهُمْ﴾ بعضهم مَنْ قصصنا عليك من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم انبأناك بأخبارهم، وما لقوه من أقوامهم. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ أخبارهم.

و روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «بعث اللّه نبيّاً أسودَ لم يقصّ علينا قصّته».

واختلفت الأخبار في عددالأنبياء، فروي في بعضها: «إنّ عددهم مائة ألف وأربعة و عشرون ألفاً». وفي بعضها «ثمانية آلاف نبّي، أربعة آلاف من بنيإسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم». والمذكور قصصهم أشخاص معدودة، والمشهور هوالأوّل.

و في البحار عن الخصال و الأمالي للصدوق إلى دارم، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام. قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: خلق اللّه عزّوجلّ مائة ألف نبّي وأربعة و عشرين ألف نبّي أنا أكرمهم على اللّه ولافخر، وخلق اللّه (عزّوجلّ مائة ألف وصّي وأربعة وعشرين ألفَ وصّي فعليّ

أكرمهم على اللّه وأفضلهم».[١]

و في البحار عن أمالي الشيخ: ابن بشران [ظاهراً]، عن عثمان بن أحمد بن الدقاق. عن الحسن بن سلام السواق عن زكريّا بن عدي، عن مسلم بن خالد، عن زياد بن سعد، عن محمّد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «بعثتُ على إثر ثمانية آلاف نبّي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل».[٢]

و في البحار عن معاني الأخبار و الخصال: عليّ بن عبداللّه الأسواري عن أحمد بن محمد بن قيس عن عمرو بن حفص، عن عبداللّه بن محمّد بن أسد، عن الحسين إبراهيم (كذا)، عن يحيى بن سعيد البصري، عن ابن جريح، عن عطاء، عن عتبة الليثي، عن أبي ذرّ (رحمه الله) قال: قلت: يا رسول اللّه كم النبيّون؟ قال: «مائة ألف و أربعة وعشرون ألف نبّي».قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً». قلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: «آدم»، قلت: وكان من الأنبياء مرسلاً، قال: «نعم، خلقه اللّه بيده، ونفخ فيه من روحه»،ثمّ قال: «يا أباذرّ أربعة من الأنبياء سريانيّون: آدم، وشيث، وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوح وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وأوّل نبّي من بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وستّمائة نبّي»، قلت: يا رسُول اللّه كم أنزل اللّه تعالى من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب. أنزل اللّه تعالى على شيث عليه السلام خمسين صحيفةً، وعلى إدريسَ ثلاثين صحيفةً، وعلى إبراهيم عشرين صحيفةً، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».[٣]

---

١. بحارالأنوار، ج ١١، ص ٣٠،ح ٢١.

٢. المصدر، ص ٣١،ح ٢٢.

٣. المصدر، ص ٣٢،ح ٢٤.

و في البحار عن بصائر الدرجات: أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبدالرحمن بن بكير الهجري، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل وصّي كان على وجه الأرض هبةاللّٰه بن آدم، وما من نبّي مضىٰ إلّا وله وصّي، كان عدد جميع الأنبياء مائة ألف نبّي وأربعة وعشرين ألف نبّي، خمسة منهم أولوالعزم: نوح وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمّد صلى الله عليه وآله، وأنّ عليّ بن أبى طالب كان هبة اللّٰه لمحمّد. ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين».[1]

﴿وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ بمعجزة أو آية ﴿إِلّا بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ وأمره سنّة عقليّة الهيّة. ﴿وَما كانَ﴾ وما جعلنا لرسول ممّن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي بآية فاصلة بينه وبينهم ﴿إِلّا بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ بذلك فياتيهم بها. يقول جلّ ثناؤه لنبّيه: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك يذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلّا أن نأذن له به؛ إذ الإيتان بالمعجزات إنّما يكون بحسب المصالح التي لايعلمها إلّا اللّٰه، ولااختيار لهم في ذلك.

﴿فَإِذا جاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بالعذاب في الدنيا والآخرة يوم القيامة. وعد شديد عقيب اقتراح الكافرين الآيات من النبيّ ﴿قُضِيَ بِالحَقِّ﴾ يعني بالعدل. وهو أن ينّجي رسله والذين ﴿آمَنُوا مَعَهُمْ﴾.

﴿وَخَسِرَ هُنالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ قال في القاموس: الباطل ضدّ الحقّ وأبطل جاء بالباطل، فالمبطل صاحب الباطل والمتمسّك به،كما أنّ المحقّ صاحب الحقّ والعامل به، يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم علىاللّٰه وادّعائهم له شريكاً. ومجادلتهم ومكابرتهم مع الأنبياء والرسل وآياتهم، فهم

---

١. المصدر، ص ٤١، ح ٤٣.

يخسرون ديناهم بالهلاك وآخرتهم بالعذاب الدائم، فهم يحرمون الجنّة، ويحصلون في النار بدلاً منها، و ذلك هوالخسران المبين.

و في تفسيري البرهان وكنز الدقائق: في أمالي الصدوق‌ﷺ بإسناده إلى أبي عبدالله‌ﷺ. قال: «كان بالمدينة رجل بطّال يُضحِك الناسَ، فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه يعني عليّ بن الحسين‌ﷺ، قال: فمّر عليّ‌ﷺ وخلفه موليان له، فجاء الرجل حتى انتزع رداءَه من رقبته ثمّ مضى، فلم يلتفت إليه عليّ‌ﷺ، فأتبعوه وأخذوا الرداء منه، فجاؤوا به، فطرحوه عليه، فقال لهم: «من هذا»؟ قالوا: هذا رجل بطّال يُضحِكَ أهلَ المدينة، فقال: «قولوا له: إنّ للّه يوماً يخسر فيه المبطلون».

ثمّ امتنّ سبحانه على عباده بنوع من أنواع نعمه التي لاتحصىٰ، فقال:

[من آثار قدرة اللّه خلق بعض الأنعام للركوب و...]

٧٩﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾ يحقّ العبوديّة المحضة له، ولاتصلح الألوهة إلّا للذي جعل لكم الأنعام الصالحة للركوب عليها من الإبل والبقر والغنم والخيل وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها الخلق لمركب أو لمطعم، واللّام ﴿لَكُمْ﴾ للتعليل لاللاختصاص، نظير نظائر الآية الشريفة، أي خلقها لأجلكم ولمصلحتكم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْها﴾ كالخيل والحمير، واللام للغرض ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾ كالإبل والبقر والغنم.

فانظر: إنّ اللّٰه تعالىٰ خلق لانتفاع الخلائق هذه الأنعام بركوبها، والأكل منها، وهو تعالىٰ لايريد القبيح ولاالمباح من خلقه وعنايته ولطفه، فلابدّ أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة إليه. وكذلك في عصرنا الحاضر التي تبدّلت المراكب بمراكب مخترعة مصنوعة بأيدي البشر من السفائن البرّيّة والبحريّة والفضائيّة وكلّ ذلك من منن اللّٰه تعالى وآياته لمصالح عباده في الحقول المعيشيّة الماديّة.

[بيان أنواع استفادات الناس عن الأنعام]

(٨٠) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ وذلك أن جَعَلَ لكم من جلودها ﴿بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] ومنافع جمع منفعة بمعنى النفع، والمراد مواضع المنفعة؛ لأنّ المصدر لايثنّى ولايجمع ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ ولتبلغوا بالحمولة على بعضها والركوب عليها تبلغوا المواضع التي تقصدونها لحوائجكم التي في صدوركم، وخواطركم تترقّبونها، ولم تكونوا بالغيها لولاالأنعام إلّا بشقّ أنفسكم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾[2]

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ وعلى هذه المركوبات بأنواعها واختلافها على

---

١. النحل: ٨٠.

٢. النحل: ٧.

سطح الأرض والبرّ، وعلى الفلك والسفن في البحر تحملون وتبلغون مقاصدكم، والله تعالى هوالذي يسيّرها في البحر تحملون بالريح إلى حيث تقصدون، وتبلغون أغراضكم منها، والله تعالى يعلم احتياج العباد إلى السفر في البرّ والبحر، فخلق مراكب للبرّ ومراكب للبحر. ولم يقُل: في الفلك للازدواج والتطابق والمشاكلة.

[توبيخ منكري آيات اللّه تعالى ومذمّتهم]

﴿وَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَأَيَّ آياتِ اللّٰهِ تُنْكِرُون﴾ (٨١)

يقول اللّه تعالى مخاطباً للكفّار الذين جحدوا آياته، وأنكروا أدلّته الدالّة على توحيده وإخلاص العبادة. ﴿وَيُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ التكوينيّة والتشريعيّة من الحجج الإلهّية، ومنالآيات التكوينيّة إهلاك الأمم الماضية؛ فإنّهم بعدالنعم العظيمة صاروا إلى النعم الرهيبة؛ لأنّهم عصوا، فاقتضى ذلك العصيان أوّلاً والنقمانَ ثانياً.

﴿فَأَيَّ آياتِ اللّٰهِ تُنْكِرُون﴾ فأيّ حجج اللّه يريكم أيّهاالناس فيالسماء والأرض تنكرون صحّتها؟ وتكذّبوُنها، وتدعون من دونِه إلهاً غَيره؟«و أيّ» للاستفهام التوبيخي، توبيخ لهم على جحدها، وإضافة الآيات إلى اللّه الاسم الجليل؛ لتعظيم المهابة، وتهويل وإنكارها. وإنكارها الآية الإلهيّة تارةًبجحدها أصلاً، وأخرى: بجحد كونها دالّة على صحّة ماهي دالّة عليه، والخلاف فيالدلالة يكون من ثلاثة أوجه: إمّا في صحّتها في نفسها، أو في كونها دلالةً، أو فيهما، وإنّما يجوز منالجّهال دفع الآية بالشبهة مع قوّة الآية وضعف الشبهة لأمور: منها: اتّباع الهوى، ودخول الشبهة التي تغطّي الحجّة حتى لايكون لها فيالنفس منزلة. ومنها: التقليد لمن ترك النظر في الأمور. ومنها: السبق إلى اعتقادٍ فاسدٍ بشبهةٍ، فيمتنع ذلك من توليد النظر للعلم.

و قوله تعالى: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ جاءت علىاللعنة الشائعة المستفيضة المقبولة. وقولك: فأيّة آيات اللّه قليل؛ لأنّ التفرقة بين المذكّر والمؤنّث فيالأسماء غيرالصفات، نحو: حمار وحمارة، وإنسان وإنسانة غريب، وهي في «أيّ» أغرب، لإبهامه؛ لأنّه اسم استفهام عمّا هو مبهم مجهول عندالسائل. والتفرقة تنافي الإبهام؛ لأنّها تقتضي التمييز بين ما هو مؤنّث ومذكّر، فيكون معلوماً لامبهماً مجهولاً.

و من قلّة تأنيث «أيّ» قوله:

بأيّ كتابٍ أو بأيّةِ سنّةٍ ترىٰ حبّهم عاراً عليّ وتَحْسبُ

و ما ذكرنا من تذكير «أيّ» مطابقاً لما هو الشائع المستفيض في غيرالنداء؛ فإنّ اللغة الفصيحة الشائعة أن تؤنّث «أيّ» الواقعة في نداء المؤنّث، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة﴾ ولم يسمع أن يقال: يا أيّها المرأة بالتذكير. وهذا من أجل أنّ النداء يُخرِج أيضاً من الإبهام فيالجملة، فلابدّ من الفرق بين المؤنّث والمذكّر.

[ترغيب الناس للسير في الدنيا لرؤية إبادة الأقويا]

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثاراً فِى الأَرْضِ فَمٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

لمّا ذكر اللّٰه تبارك وتعالىٰ فصلاً في دلائل الإلهيّة وكمال القدرة والرحمة والحكمة، أردفه بفضلٍ فيالتهديد والوعيد، فحثّ تعالىٰ أن ينظر المشركون الذين يجادلون في آيات اللّٰه، ويكابرون الرسول طلباً للرئاسة والجاه، والحصول على المال، وكسب الحظوظ الدنيا، وأبان أنّ هٰذه الدنيا فانيةً ذاهبةً، فما فيها من مالٍ وجاهٍ ظلّ زائل لايغني مناللّٰه شيئاً.

و قد لَفَّتَ أنظارهم إلى الغابرين الذين كانوا قبلهم وكانوا أكثر عدداً، وأشدّ قوّةً وآثاراً فيالأرض، فلم ينفعهم شيء من ذلك حين حلّ بهم بأس اللّٰه، وتركوا الشرك وآمنوا باللّٰه وحده حين رأوا البأس الشديد، وأنّى لهم ذلك؟ وهيهات هيهات.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ صدّرت الآية بفاء التفريع وكأنّ الكلام تفريع على قوله تعالى: ﴿فَأَيَّ آيٰاتِ اللّٰهِ تُنْكِرُونَ﴾ ففيالكلام التفات منالخطاب إلى الغيبة، فكأنّه لمّا ذمّهم وأنكر إنكارهم لآياته، رجع وانصرف عنهم إلى النبيّ ﷺ مشيراً إلى سقوطهم من منزلة الخطاب، فقال سُبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أفلم يسِر ـ يا رسولاللّٰه ـ هؤلاء

المجادلون في آيات الله من مشركي قومك فيالأرض والبلاد بأن يمرّوا في جنبأتها و جوانبها، فإنّهم أهل السفر إلى الشام واليمن، رحلتهم فيالشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا منالبلاد إلى وقائعنا ممّن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عاقبة المتكبّرين المتمرّدين منالهلاك والبوار مع أنّهم كانوا أكثر عدداً، ومالاً، وجاهاً من هؤلاء المشركين المجادلين معك، ولم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة، والدولة القاهرة إلّا الخيبة، والخسار، والحسرة والبوار؟ مع أنّهم كانوا أكثر عدداً من هٰؤلاء، وأشدّ بطشاً، وأقوى جنداً، وأبقىٰ فيالأرض آثاراً بالأبنية العظيمة التي بنوها، والقصور المشيّدة التي شيّدوها، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً، ويتّخذون مصانع ونحوها.

﴿فَمَا أَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فلمّا جاءهم بأسنا وسطوتنا لم يغن عنهم ما كسبوه منالأموال والبنيان، وما كانوا يعملون منالبيوت فيالجبال، ولم يدفع عنهم ذلك شيئاً، ولكنّهم بادوا جميعاً فهلكوا.

ففي هذا مُعتبِر إن اعتبَروا، ومتّعظ إن اتّعظوا، وأنّ بأسنا إذا حلّ بقومٍ مجرمين لم يدفعه دافع، ولم يَمنع مانع، وهو واقع بهم إن لم ينيبوا إلى تصديقك. وما قلنا بناءً على كون «ما» الأولى نافية، والثانية موصولة مرفوعة، فاعل ﴿ما أَغْنىٰ عَنْهُمْ﴾.

و قيل: إنّ «ما» بمعنى أيّ وتقديره: فأيّ شيء أغنىٰ عنهم كسبهم على وجه التهجين لفعلهم، والتقريع لهم، فتكون «ما» الأولى نصباً ومفعُولاً، وموضع الثانية رفعاً و فاعلاً. و«الفاء» في ﴿فَمَا أَغْنىٰ عَنْهُمْ﴾ نتيجة قوله تعالى: ﴿كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾.

[في استحقار المكذّبين للرسل أنبياء اللّه بما جاؤوهم]

﴿٨٣﴾﴿فَلَمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلعِلْمِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾

فلمّا جآءت هٰؤلاٰء الأمم الماضية البائدة المكذّبة رسلها ﴿رُسُلُهُمْ﴾ الذين أرسلهم اللّه إليهم ﴿بِالبَيِّناتِ﴾ الواضحات من حجج اللّٰه عزّوجلّ الداعية إلى توحيده وإخلاص العبادة له.

و «الفاء» في ﴿فَلَمّا جاءَتْ﴾ جارية مجرى البيان والتفسير لقوله تعالىٰ: ﴿فَما أَغْنىٰ عَنْهُمْ﴾ كقولك: رُزِق زيد المال، فمنع المعروف، فلم يحسن إلى الفقراء.

﴿فَرِحُوا﴾ واستحقروا علم الرسل ﴿بِما عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلعِلْمِ﴾ من العقائد الرائفة، والشبهات الداحضة بأنّهم لن يبعثوا، ولن يعذّبهم الله على طريق التهكّم؛ لأنّهم كانوا يقولون: لانبعث ولانُعذّب، وما أظنّ الساعة قائمة، وهذا جهل منهم بحقيقة ما تخيّلوه علماً منهم، فأُطلق اسم العلم على جهلهم على اعتقادهم، كما قال: ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ﴾[1] وقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ ٱلكَرِيمُ﴾[2] يعني أنت العزيز الكريم

١.الشورى: ١٦.

عند نفسك وعند قومك. والمراد بفرحهم بما عندهم من العلم شدّة إعجابهم بما كسبوه من الخبرة والعلم الظاهري، وانجذابهم إليه استهانتهم بها وسخريّتهم لها.

و ربّما يقال: إنّ الضمير في ﴿فَرِحُوا﴾ يرجع إلى الرسل، وتقدير الكلام أنّه: لمّا جاءتهم رسلهم بالبيّنات، فجحدوها وأنكروا دلالتها، وعَدَاللهُ تعالى الرسل بإهلاك أممهم، ونجاة الرسل، وفرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك، ومن الواضح أنّ في هذا التقدير تعسّف وتكلّف؛ لما فيه من حذف مالا دلالة في الكلام على حذفه وهو وعداللّه تعالى الرّسل بالنجاة وإهلاك الأمم، والإنصاف أنّ هذا التأويل والتقدير خلاف ظهور الآية الشريفة، ولولاه لكانَ وجهاً لطيفاً.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ ما كانُوابِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ و«حاق بهم» جزاء جهلهم واستهزائهم من عذاب الله ما كانوا به ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ رسلهم، ويستعجلون بمواعيد عذابهم استهزاءً وسخريّةً.

٢.الدخان: ٤٩.

[عدم فائدة الإيمان باللّه بعد مجيء بأس اللّه تعالى]

﴿فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

ولكن هؤلاء المستهزئين المستعجلين والمكذّبين رسلهم، فلمّا رأوا بأسنا، أي عقاب الله الذّي وعد به رسلهم، وقد حلّ بهم، والنقمات التي نزلت بهم والبأس شدّة العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿بِعَذابٍ بَئِيسٍ﴾،[1] ﴿قالُوا آمَنّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ﴾، قالوا: كفرنا بالأصنام والأوثان، وأقررنا بتوحيد الله، وصدّقنا أنّه لا إله غيره، وخلعنا الأنداد من دونه.

﴿وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ وكفرنا وجحدنا المعبودات الباطلة التي كنّا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله، ونعبدها معه، ونتّخذها آلهَة وهي لاتجدي فتيلاً ولاقطميراً.

و في تأويل الآيات الباهرة في تفسير الآية الشريفة: قال عليّبن إبراهيم في تفسيره: ذلك إذا قام القآئم عليه السلام في الرجعة. وفي كنز الدقائق: وفي عيون الأخبار في باب ما جاء به عن الرضا عليه السلام، عن العلل بإسناده الى محمدبن إبراهيم بن محمّد

١.الأعراف، ١٦٥.

الهمداني، قال: قلت لأبي الحسن الرضاعليه السلام: لأيّ علّة غرّق الله تعالىٰ فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟

قال: «لأنّهٗ آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية الباس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالىٰ ذكره في السلف والخلف.

قال الله عزّوجلّ: ﴿فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا﴾ وقال عزّوجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ وَ هٰكَذا فرعون لمّا أدركه الغرق، قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقيل له: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾»، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.[1]

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٤٢١.

[في جريان سنّة اللّه وعدم فائدة الإيمان بعد نزول البلاء]

(85) ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ ٱلكافِرُون﴾

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنه﴾ فلم يك ينفعهم تصديقهم بتوحيد الله عند معاينة عقابه النازل عليهم، وعذابه الحالّ بهم؛ لأنّهم صدّقوا حين لاينفع التصديق مصدّقاً، ولا الاعتراف معترفاً، بل إنّهم صاروا عند ذلك ملجئين، وفعل الملجأ لايستحقّ به الثواب، وقال تعالىٰ لفرعون حين الغرق وحين قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلمُفْسِدِين﴾[1]

﴿سُنَّتَ اللّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبادِهِ﴾ مطّردة في كلّ الأمم بأنّ من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته، والسنّة التى قد مضت في خلقه بأنّ الله تبارك وتعالىٰ ترك إقالة الكافرين المشركين، وعدم قبول توبتهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسله بعد معاينة بأس الله قد نزل بهم.

﴿وَخَسِرَ هُنالِكَ ٱلكافِرُون﴾ وخسر هنالك غبنت صفقتهم، وباعوا الآخرة بالدنيا،

---

١. يونس: ٩١.

و بدّلوا المغفرة بالعذاب والإيمان بالفكر.

وهنالك اسم مكان استعير للزمان، أي خسر ذلك الزمان الكافرون بربّهم. الجاحدون توحيد خالقهم، والمتّخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم.

و في كنز الدقائق:

و في الكافي: محمّدبن يحيى، عن محمّدبن أحمد، عن جعفربن رزق الله (أو رجل عن جعفربن رزق الله) قال: قُدِّمَ إلى المتوكّل رجل نصراني فجر بأمراة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه فأسلم. فقال يحيى‌بن أكثم: قد هدم إيمانُه شركَه وفعلَه. وقال بعضهم: يُضْرب ثلاثة حدود. وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا. فأمر المتوكّل بالكتاب إلى أبي الحسن الثالث وسؤاله عن ذلك، فلمّا قرأ الكتاب كتب «يُضْرب حتّى يموت»، فأنكر يحيى بن أكثم وأنكر فقهاء العسكر ذلك. فقالوا: يا أميرالمؤمنين نسأل عن هٰذا، فإنّه شيء لم ينطق به كتاب، ولم تَجِئ به سنّة.

فكبت إليه، إنّ فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا، وقالوا: لم تجئ به سنّة، ولم ينطق به كتابٌ، فبيّن لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب ﴿بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ. فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللّٰهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ ٱلكافِرُون﴾

فأمر به المتوكّل، فضرب حتى مات[1].

اَللّٰهُمَّ، يا من لايبلغ أدنى ما استأثرت به من جلالك وعزّتك أقصىٰ نعوت الناعتين، يا من تقاصرت عن الإحاطة بمبادئ أسرار كبريآئه أفهام المتفكّرين وأنظار المتأمّلين، لاتجعلنا بفضلك ورحمتك في زمرة الخاسرين المبطلين.

---

١. كنزالدقائق، ج ١١، ص ٤٢١.

ولاتجعلنا يوم القيامة من المحرومين؛ فإنّك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، والحمدلله ربّ العالمين. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الأطيبين الأطهرين، واللعنة الدائمة علىٰ أعدآئهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

* * *

تمّ بألطاف الله جلّ جلاله تبييض هذا التفسير المبارك في يوم العشرين من شهر ذي القعدة الحرام، سنة ١٤٢٣ الهجريّة القمريّة (٨١/١١/٤) [المطابق ليوم الرابع من الشهر الحادي عشر من سنة ألف وثلاثمائة وواحد وثمانين الهجريّة الشمسيّة] في كرمانشاه بيد مؤلّفه ومفسّره عبدالله الفقير إليه مرتضى الحُسيني النجومي غفرالله له ولوالديه.

الحمدلله أوّلاً وآخِراً

المصادر

القرآن الكريم

ألف: المصادر التفسيريّة

١. تفسير ابـن عـبّاس، عـبداللّـه بـن العـباس، صحابي.

٢. تفسير أبى الفتوح الرازي

٣. تفسير الاثنا عشري

٤. أحسن الحديث

٥. أطيب البيان

٦. الانتصاف حاشية الكشّاف

٧. أنوار التنزيل

٨. البحر المحيط لأبي حيّان

٩. البرهان

١٠. تأويل الآيات الظاهرة

١١. التبيان، أبوجعفر، محمدبن حسن الطوسي، شيخ الطائفة.

١٢. جوامع الجمع، الطبرسى،

١٣.الجواهر

١٤. الدرّ اللقيط

١٥. الدرّ المنثور، السيوطي.

١٦. روح البيان، الآلوسي.

١٧. روح المعاني

١٨. الصافي، الفيض الكاشاني.

١٩. تفسير الطبري، محمدبن جرير طبري.

٢٠. فتح القدير

٢١. الفرقان

٢٢. الكشّاف

٢٣. كشف الأسرار

٢٤. كنز الدقائق، لكراچكي.

٢٥. مجمع البيان، الطبرسي
٢٦. مخزن العرفان
٢٧. تفسير المراغي للمراغي
٢٨. معانى القرآن للفرّاء، الفراء
٢٩. مفاتيح الغيب
٣٠. مقتنيات الدرر
٣١. منهج الصادقين، ملا فتح اللّه كاشانى.
٣٢. من هُدَى القرآن
٣٣. الميزان، سيد محمدحسين الطباطبائي.
٣٤. نفحات الرحمن
٣٥. تفسير نمونه، الشيخ ناصر المكارم الشيرازي.
٣٦. نورالثقلين
٣٧. النهر المادّ
٣٨. التفسير الوجيز

ب: المصادر الحديثيّة:

٣٩. بحارالأنوار، العلّامة المجلسى، محمدباقر.
٤٠. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ابن بابويه.
٤١. الخصال، الشيخ الصدوق، ابن بابويه.
٤٢. الدروع الواقية
٤٣. سفينة البحار، الشيخ عباس القمى.
٤٤. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ابن بابويه.

ج: المصادر اللغويّة

٤٥. مجمع البحرين، الطريحي.
٤٦. المعجم المفهرس لألفاظ بحارالأنوار، مركز التحقيقات لدفتر التبليغات.
٤٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن اثير الحلبي.
٤٨. لسان العرب، ابن منظور، الإفريض.

چکیده

سوره مؤمن، چهلمین سوره قرآن و در ادامه مطالب سوره زمر، و نخستین سوره از حوامیم سبع و مشتمل بر موضوعات گوناگون اعتقادی مانند: عرش، کرسی، میزان و معاد و مطالب تاریخی نظیر: داستان موسی و مؤمن آل فرعون می‌باشد (تنها در این سوره از مؤمن آل‌فرعون سخن به میان آمده و شاید به همین مناسبت نام این سوره «مؤمن» است).

این سوره بیشتر به تهدید کافران و جباران، و دعوت به توحید و آیات الهی و بطلان شرک و کفر و دعوت مؤمنان به صبر و پایداری در راه خداپرستی پرداخته است.

مؤسسه بوستان کتاب
(مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم)
پرافتخارترین ناشر برگزیدهٔ کشور
نشانی دفتر مرکزی: ایران، قم، اول خیابان شهدا، ص پ: ۹۱۷ / ۳۷۱۸۵
تلفن: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۵+ ، فاکس: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۴+ ، پخش: ۹۸۲۵۱۷۷۴۳۴۲۶+

المؤمن
فی تفسیر سورة المؤمن

آیةالله سیدمرتضی حسینی نجومی

به اهتمام ناصرالدین انصاری قمی



Abstract

The surah of Al-Mumen (The Believer), which is the 40th surah of The Quran and the 1st surah of a group of surahs called Al-Hawamim (a title given to the seven surahs of The Quran which begin with the letters Ha, Mim.). The issues discussed in the surah of Al-Zumar (The Troops, Throngs) are continued in this surah. It embraces some ideological issues such as the Divine Throne, the Divine Pedestal, the balance, and resurrection, and some historical issues such as the stories of Moses and the Believing Man of Pharaoh's People. This has only been mentioned in this surah and may be the reason behind the naming of this surah. In this surah the oppressors and the individuals who reject faith are threatened and the believers are invited to patience and endurance in the way of worshiping God. Moreover, this surah invites to monotheism.

Būstān-e Ketāb Publishers

Frequently selected as the top publishing company in Irān, Būstān-e Ketāb Publishers is the publishing and printing house of the Islāmic Propagation Office of Howzeh-ye Elmīyeh-ye Ghom, Islāmic Republic of Irān.
P.O. Box: 37185-917
Telephone: +98 251 774 2155
Fax: +98 251 774 2154
E-mail: info@bustaneketab.com
Web-site: www.bustaneketab.com

The Believer

in the Exegesis of the Surah of Al-Mumen (The Believer)

Ayatollah Sayyid Morteza Husayni-Nojoumi

Editor: Naser al-Din Ansari-Qomi

Bustan-e Ketab Publishers
1389/2010